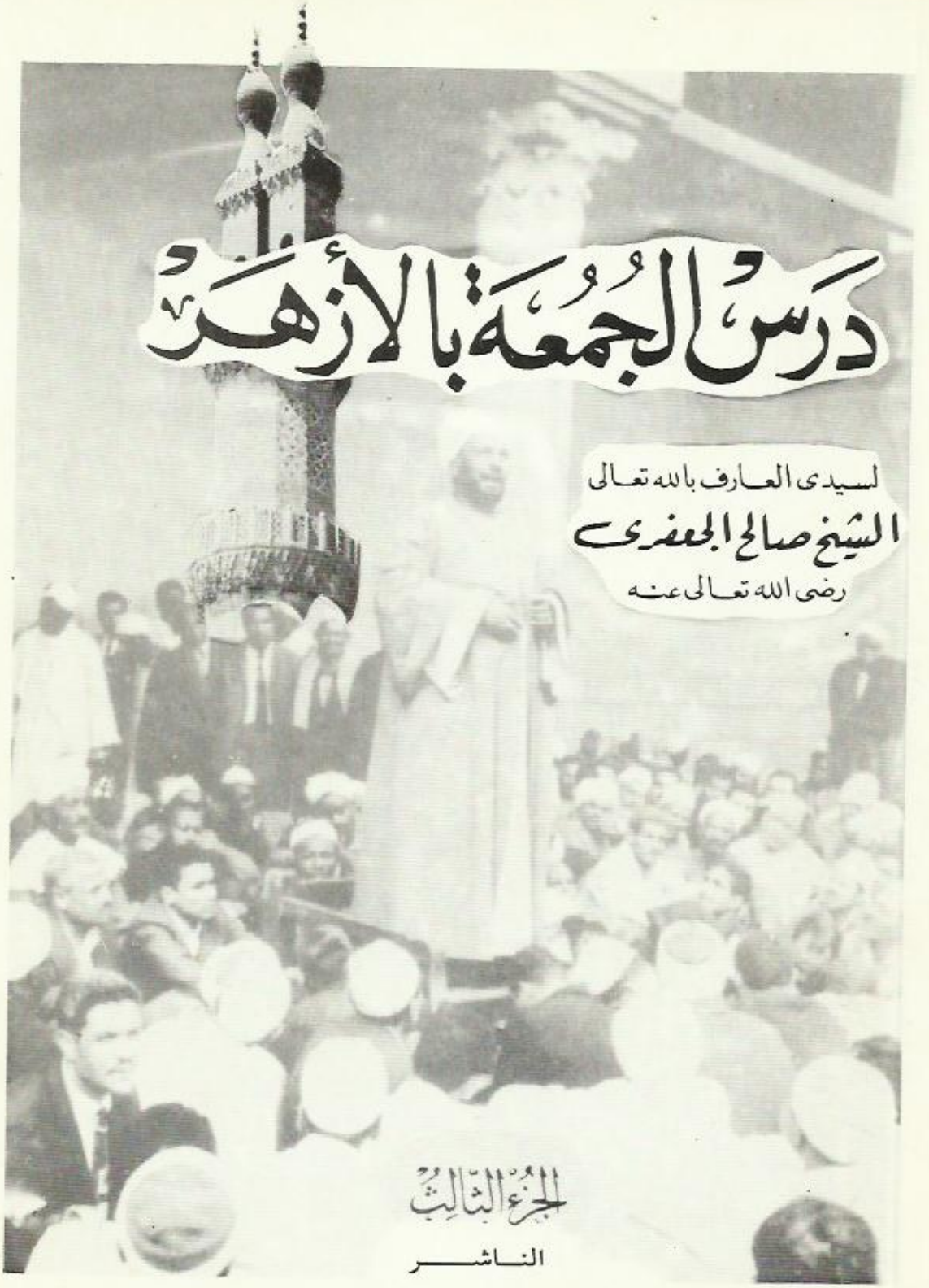

درس الجمعة بالأزهر

لسيدى العارف بالله تعالى

الشيخ صالح الجعفرى

رضى الله تعالى عنه

الجزء الثالث

الناشر

دار جوامع الكلم

مشيخة الطريقة الجعفرية

١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى - الدراسة - القاهرة - ت ٩٢٧٣٦٧

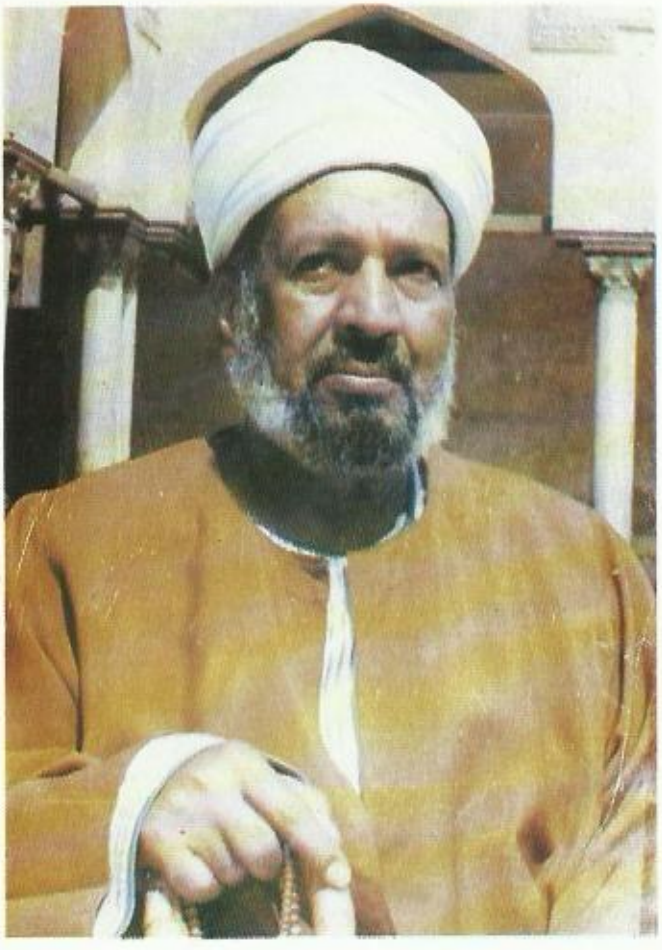

سيدى الإمام العارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى صاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف ومؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية رضى الله تعالى عنه .

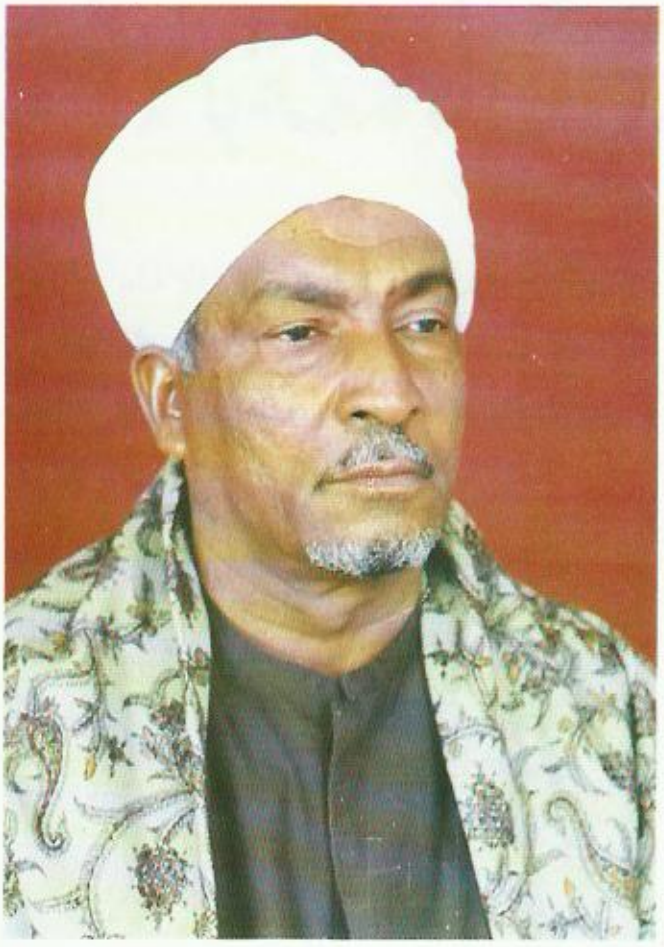

فضيلة الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية
رضى الله تعالى عنه

درس الجمعة بالأزهر

لفضيلة العارف بالله تعالى الإمام الأزهرى
الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه
إمام الجامع الأزهر وصاحب درس الجمعة

الناشر
دار جوامع الكلم
مشيخة الطريقة الجعفرية
١٧ ش الشيخ صالح الجعفرى ـ الدراسة ـ القاهرة ـ ت ٩٢٧٣٦٧

صور نادرة لدرس سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

صور نادرة لدرس سيدى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

بســـم الله الـرحـمٰن الـرحيـم

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله .

الحمد لله الذى اصطفى سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم وذريته وجعل العلماء العاملين ورثته .

وصـلاة الله تعـالى وسـلامـه وتحياته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد الهادى إلى صراط الله الـه ستقيم والآخذ بيد أمته إلى جنات النعيم .

ورضى الله تبارك وتعالى عن أهل بيته وعترته الذين عمروا الكون بعلومهم وأنوارهم وكانوا نجوم هداية للحائرين ونبع سعادة للمسلمين .

وبعـــــد

فيسعد دار جوامع الكلم أن تلتقى معك أيها القارىء الكريم في الجزء الثالث من درس الجمعة للعالم الأزهرى سيدى الشيخ صالح الجعفرى .

وهذا الكتاب درة من درارى شيخنا وجوهرة من جواهره .

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعم به النفع ، وأن يجزى مؤلفه سيدنا الشيخ صالـح الجعفـرى ، وجامعه سيدنا الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى خير الجزاء إنه تعالى سميع مجيب للدعاء .

النـــاشـــــر
دار جوامع الكلم

المقـــــدمـــــة

الحمد لله ذى الفضل العظيم والكرم العميم نحمده على ما أولانا من نعمة التوفيق وسدد خطانا على أقوم طريق .

ألا وهو طريق شيخنا ـ عليه ـ رضوان الله تعالى ـ كما نحمده سبحانه أن هدانا لبعث تراثه ونشره ليعم به النفع وتكمل به الفائدة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيمًا لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم .

وبعـــــد

فإنه لمن أطيب الأمنيات وأعظم الغايات أن نقدم لأبناء الإمام الجعفرى ـ أبنـاء الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية ـ والأحباب والمريدين ولكافة المسلمين . نقدم لهم الجزء الثالث من درس الجمعة لسيدى الشيخ صالح الجعفرى والذى صدر منه الجزء الأول والثانى قبل ذلك ونحن إذ نقدمه نشكر الله ـ تعـالى ـ الذى يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل وفى غضون تقديمه نتوجه بالشكر والتقدير للإخوان الذين أسهموا معنا بصدق وإخلاص فى بعث ذلك التراث الإسلامى الثمين :

فقدموا لنا الأشرطة المسجلة والمذكرات المدونة التى سجلوها ودونوها عن لسان شيخنا ـ رضوان الله تعالى عليه .

وكـذلك الإخوة الذين قدموا لنا ما احتفظوا به من صور تذكارية لأحوال شيخنا فى حلقات درسه العامرة . .

إلى هؤلاء جميعًـا الشكـر والتقـدير والعرفان جزاء ما استجابوا لنداءاتنا المتكررة بجمع تراث الشيخ وتقديمه .

فجزاهم الله خيرًا وأعظم له المثوبة والعطاء .

عبـد ربـه الغنى
عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا محمد وآله فى كل لمحة ونفس عددما وسعه علم الله .

قدم سيدى عبد الغنى صالح الجعفرى للجزء الأول والثانى من درس الجمعة بمقدمتين رأينا أن نلحقهما بمقدمة الجزء الثالث لأهمية ما جاء فيهما من حديث له علاقة بدرس الجمعة بالنسبة للقارىء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الجزء الأول

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الانبياء ، ورفعهم عنده إلى أعلى الدرجات ، وحفظ بهم علوم الإسلام من البدع والضلالات ، وبعث بعد كل مائة عام لهذه الأمة عالما يوضح لها ما خفى عليها من المسائل العويصات ، وكرم العلم والعلماء ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[1] والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، الذى بعثه الله معلما ، ومبينا للناس ما نزل إليهم ، فهو القائل ـ صلى الله عليه وآله وسلم :ـ ﴿ **انما بعثت معلما** ﴾[2] وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، الذين تعلموا العلم ، وعملوا به ، فنالوا رضا الله تعالى فى الدنيا والآخرة أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب .

أما بعد

فلقد شهد الأزهر الشريف على مر عصوره أعلاما من أبنائه ، يجوبون مشارق الأرض ومغاربها ، رافعين راية الإسلام ، داعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، حاملين أعلام الدعوة الإسلامية ، كتابا وخطباء ومحاضرين ومدرسين فى أقسام الوعظ ، ولقد سطر التاريخ أسماء هؤلاء الأعلام بمداد من نور ، ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل : شيخنا وأستاذنا العارف بالله تعالى سيدى ـ صالح الجعفرى ـ مؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف ، وشيخنا عليه رضوان الله تعالى يتصل نسبه الشريف بالإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

---

(١) المجادلة : ١١ .

(٢) رواه ابن ماجة .

وقد ولد شيخنا عليه رضوان الله تعالى ببلدة « دنقلا » من السودان الشقيق فى الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨ هـ ، وبها حفظ القرآن الكريم وأتقنه فى مسجدها العتيق ، ثم وفد إلى مصر ، ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف ، واتصل بأهله المقيمين بقرية « السلمية » بمركز الأقصر من محافظة « قنا » ويحدثنا الشيخ رضى الله تعالى عنه عن أهله وأجداده الجعافرة فى السلمية ، فيقول عن أسرته :

« من بلدة الأقصر بصعيد مصر ، من القبيلة التى هى من الجعافرة ، وتسمى « العلوية » وهم مفرقون بين الاقصر والحلة والحليلة والدير ، وقد قل عددهم والبقاء لله ، وفى السلمية يوجد قبر جد والدى محمد رفاعى بمقبرة جد الجعافرة الشريف السيد الأمير « حمد » ، حيث إنه كان يقيم هناك ، وللجعافرة نسب كثيرة محفوظة قديمة ومن أشهرهم فى إظهار تلك النسب أخيرا : الشريف السيد إسماعيل النقشبندى وتلميذه الشيخ موسى المرعيانى ، ولا تزال ذرياتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة .

وقد أخذ شيخنا عليه رضوان الله طريقة سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن سيدى محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ ويحدثنا شيخنا الإمام الجعفرى عن ذلك فيقول :

« وقد أجازنى بهذا الطريق شيخى وأستاذى مربى المريدين الشريف السيد محمد عبد العالى ، عن والده سيدى عبد العالى ، عن شيخه العلامة : السيد محمد بن على السنوسى عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه »[٣] .

ثم كان حضوره إلى مصر للالتحاق بالأزهر بإشارة من شيخه ، سيدى عبد العالى ـ رضى الله تعالى عنه ـ وعن ذلك يحدثنا شيخنا رضى الله تعالى عنه فيقول :

« قبل مجيئى إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد ، بأول جزء من شرح النووى على صحيح مسلم ، فاستعرته منه وصرت أذاكر فيه ، فرأيت سيدى عبد العالى الإدريسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ جالسا على كرسى ، وبجواره زاد للسفر ، وسمعت من يقول : ان السيد يريد السفر إلى مصر ، إلى الأزهر ، فجئت وسلمت عليه ، وقبلت يده ، فقال لى مع حده : « العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب » ، وكررها ، فاستيقظت من منامى ، وقد ألهمنى ربى السفر إلى الأزهر ، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى المحدث ، وهو

---

(٣) المنتقى النفيس ص ٢ ، ٣ .

يدرس شرح النووى على صحيح مسلم ، فجلست عنده ، وسمعته يقرأ حديث : « **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فانفروا**»[٤] رواه مسلم .

وقد تلقى الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ العلم بالأزهر الشريف ، على يد نخبة من كبار العلماء العاملين ، الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة ، منهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطى ، والشيخ محمدبخيت المطيعى ، والشيخ حبيب الله الشنقيطى ، العالم المحدث المشهور صاحب « زاد المسلم » وغيره من المصنفات المفيدة ، الذى كان للشيخ معه لقاءات وكرامات ، يحدثنا شيخنا ـ رضى الله عنه ـ فيقول :

« ذهبت إلى بيت الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، بجوار القلعة ، ناويا بقلبى أن أستأذنه فى أن أكون مقرئا له متن حديث البخارى ومسلم ، فلما وصلت البيت وجلست بغرفة الاستقبال ، وهى أول مرة أزوره بها ، جاءنى مبتسما ، فلما سلمت عليه وقبلت يده ، قال لى : أنت الذى ـ إن شاء الله ـ ستكون سرادا لى فى هذا العام ، ومعنى « سرادا » : مقرئا ، والحمد لله قد لازمته خمس عشرة سنة ، إلى الممات ، ونزلت قبره ، ولحدته بيدى ، والحمد لله وكنت أقرأ للإخوان الحاضرين درسا قبل حضوره بالمسجد الحسينى ، فإذا عارضنى انسان أو شاغبنى يهمس لى فى أذنى عند جلوسه على الكرسى بقوله : يعاكسونك وأنت خير منهم ، كأنه كان معى ، ثم يأتى فى دروسه بكل موضوع قصرت فيه وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة .

وكان إذا حصل له عذر يرسل تلميذا أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ ، وفى يوم أرسل لى ورقة مكتوبة بخط يده ، فيها : « قد وكلتك بقراءة الدرس » فتعجبت من ذلك ، لماذا غير الشيخ عادته من المشافهة إلى المكاتبة ؟ وماأشعر إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس ، فسألنى : وهل وكلك الشيخ ؟ قلت : نعم ، قال : وأين التوكيل ؟ فقدمت له الورقة المرسلة من الشيخ ، ففرح بها ، ودعا لى بخير ، فكانت هذه كرامة منه ـ رحمه الله تعالى ، وغفر له ، وأسكنه فسيح الجنان ـ فإنه كان يحبنى كثيرا ويقول لى : أنت بركة هذا الدرس . وقد أجزتك بجميع اجازاتى ومؤلفاتى .

وكان يقول لى : عليك بشرحى على زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ، فإنى ماتركت فيه شاذة ولا فاذة »[٥] .

---

(٤) فتح وفيض : ص ١١ ، ١٢ .

(٥) الذخيرة المعجلة : ص ٢٨ .

ومن شيوخه الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله ، الذى يقول عنه شيخنا رضى الله عنه : « وكان أيضا من العلماء العارفين ، وقد لازمت درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف ، بالرواق العباسى سبع سنين ، وكان السيد الحسن الإدريسى إذا جاء من السودان يلقانى فى درسه وبعد الدرس يسلم على الشيخ ، فيفرح فرحا عظيما ، فيقول : السيد أحمد ابن إدريس قطب ، لا كالأقطاب .

وكان الشيخ الدجوى قد أخذ الطريقة الإدريسية عن شيخى السيد محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ والشيخ الدجوى من هيئة كبار علماء الأزهر وله مؤلفات نافعة ، ومقالات قيمة فى مجلة الأزهر الشريف ، وقد حضرت عليه التفسير من سورة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ شرح البخارى بعده ، وكان يحفظ القرآن الكريم بالتجويد والقراءات ، ويذكر أقوال المفسرين ، ويعرب الآية اعرابا دقيقا ، ويبين الألفاظ اللغوية فيها ، ويتعرض للأحكام الفقهية على المذاهب وكان يقرأ الحديث بالسند ، ويترجم لرجاله ترجمة طريفة ، ويذكر أقوالا كثيرة قيمة فى أدلة التوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر أكثرها فى مجلة الأزهر ، المسماة (وقتها) نور الإسلام »[٦] .

ولقد كان شيخنا ـ رضى الله عنه ـ يحضر دروس هؤلاء العلماء ، حضور الواعى المتفهم ، المحب للعلم وأهله ، فكان كثيرا ما يناقش شيوخه ويحاورهم ، وكانوا يعجبون به وبفطنته وقوة حافظته وحجته ، فيثنون عليه خيرا ويدعون له بالتوفيق والبركة .

ويذكر لنا شيخنا رضى الله عنه صورة من ذلك مع شيخه الدجوى السالف الذكر ، فيقول :

« كان رحمه الله مرة يقرأ حديث سؤال القبر فى صحيح البخارى ، وكنت قد ذاكرت شرح الكرمانى على البخارى ورأيت فيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يظهر للمسئول عند قول الملك له : ماتقول فى هذا الرجل ؟ وبعد انتهاء الدرس قبلت يده وقلت له : يقول الشيخ الكرمانى : إنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يظهر للمسئول ، فوكزنى فى صدرى وقال لى : أنا ذاكرت شرح الكرمانى واطلعت فيه على هذه المسألة ، لم لم تذكرنى بها فى الدرس حتى يسمعها منى الناس » .

ومرة كان يتكلم على رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مناما فقال : وإن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا جاء فى صورته الأصلية ، والمعتمد أيضا أنه

---

(٦) الذخيرة المعجلة : ص ٢٩ .

لا يتمثل به إذا جاء فى غير صورته الأصلية فقلت له : روى شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى كتابه المسمى « روح السنة » أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « من رآنى فقد رآنى فإنى أظهر فى كل صورة » ، ففرح فرحا عظيما ، وقال لى : هذا الحديث هو الدليل على أن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولو جاء فى غير صورته الأصلية ، أنت مبارك يا شيخ صالح ، نفع الله بك المسلمين »[٧] .

ومن شيوخه الشيخ على الشايب ـ رحمه الله ـ الذى حضر عليه الشيخ شرح منظومة الشيخ اللقانى المسماة « جوهرة التوحيد » ، يقول عنه شيخنا :

« وكان يدرسها فى أول عام حضرت فيه إلى الأزهر الشريف ، وكان يدرسها غيبا ، متنا وشرحا ، وكان من العلماء الصالحين ، وكان إذا دخل قبة سيدنا الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ يحصل له حال خشوع عجيب ، كأنه يشاهده وينزل عليه عرق كثير ، وكنت أدرس عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، وفى ليلة من الليالى رأيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى النوم وكان يحدثنى فى مسألة علمية أخطأت فيها ، فغضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال لى : يا ولد ، وذلك من ضمن كلام يطول ، فلما أصبحت حضرت فى الدرس ، قلت فى نفسى وأنا جالس : يقول النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا ولد ، فهل أنا صغير ؟ فالتفت إلى الشيخ ـ وهو يدرس ـ وقال : إنما قلنا لك يا ولد كعادة العرب ، لا لأنك صغير .. وأمثال هذا الشيخ عند الصوفية يسمون أرباب القلوب ، ولعلهم أن يكونوا المحدثين الذين منهم سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كما فى حديث البخارى »[٨] .

ومنهم الشيخ حسن مدكور ، والشيخ عبد الرحمن عليش ، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازى ، والشيخ عبد الحى الكتانى ، والشيخ أبو الخير الميدانى ، شيخ علماء سوريا ، والشيخ أحمد الشريف الغمارى ، وأخوه الشيخ عبد الله الغمارى ، والشيخ على أدهم المالكى السودانى ، والشيخ حسن المشاط من علماء مكة المكرمة ، والشيخ مصطفى صفوت ، والشيخ عبد الحليم إبراهيم ، والشيخ أبو يوسف ، والشيخ محمد الحلبى ، والسيد عبد الخالق الشبراوى ، والشيخ محمد عطية البقلى ، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى ، والشيخ محمد العنانى شيخ السادة المالكية ، والشيخ الدليشنى ، والشيخ سلامة العزامى ، والشيخ صادق العدوى ، والشيخ أحمد وديدى من بلدة « رومى » بالسودان ، والشيخ على محمد إمام وخطيب مسجد دنقلا ، والشيخ سيد حسن أفندى ، والشيخ على بن عوف ،

---

(٧) الذخيرة المحللة : ص ٢٩ .

(٨) فتح وقبض : ٢١ ، ٢٢ .

والشيخ أحمد النجار ، المدرسان بمسجد دنقلا – رحمهم الله تعالى – وغيرهم من مشايخ الأزهر الشريف .

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر فى سعة علم الشيخ – رضى الله تعالى عنه – مع ماوهبه الله من ذكاء وقوة حافظة ، فأكب الشيخ على دروسه وجاهد وثابر حتى نال الشهادتين العالية والعالمية من الأزهر الشريف ، ثم أصبح صاحب حلقة ومدرسا بالأزهر الشريف .

أما قصة تعيين الشيخ – رضى الله تعالى عنه – مدرسا بالجامع الأزهر الشريف فهى جديرة بأن تروى لما فيها من دليل ساطع على موهبة الشيخ العلمية ، ومحبته للعلم وشيوخه ، يحدثنا عنها الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فيقول : « ومن مواقف الشيخ التى بلغ التأثير فيها روعته ، موقفه فى رثاء أستاذه الكبير الشيخ يوسف الدجوى – رضى الله تعالى عنه – فقد كنا طلابا فى كلية اللغة العربية ، ونادى الناعى منذرا بوفاة الشيخ الكبير ومحددا ميعاد الجنازة ، فسارعت إلى توديعه ، وكان المشهد مؤثرا ، تتقدمه جماعة كبار العلماء ، برئاسة أستاذهم الأكبر ، الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الأزهر فى ذلك الوقت) وحين بلغ الموكب فيها نهايته عند القبر ، انتفض الشيخ صالح الجعفرى خطيبا ، يرثى أستاذه ، فبدأ مرثيته ، مستشهدا بقول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : « إن الله – تعالى – لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »[٩] ، ثم أفاض فى إيضاح منزلة العالم الفقيد ، وأشاد ببعض مواقفه الجريئة أمام المبتدعة والملاحدة ، وكان جلال الموقف ورهبة المناسبة ، واحتشاد الجموع ، مما جعل نفس الرائى ممتدا يتسع ويتدفق ويجيش ، وكان لصوته الحزين هزة تحرك النفوس ، وتعصف بالألباب ، وما ان انتهى الخطيب من مرثيته حتى سأل عنه الأستاذ الأكبر معجبا ، ثم بادر بتعيينه مدرسا بالجامع الأزهر »[١٠] .

ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ – رضى الله تعالى عنه – يلقى دروسه بالجامع الأزهر الشريف ، وقد أشربت نفسه حب العلم ، اقتداء برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول شيخنا رضى الله تعالى عنه :

« وكان – صلى الله عليه وآله وسلم – يرشد الناس بالدروس العلمية وبالقرآن العظيم ، وقد تبعه شيخنا السيد أحمد بن إدريس – رضى الله تعالى عنه – فى ذلك ، فكان يرشد الناس

---

(٩) رواه البخارى ومسلم .

(١٠) مجلة الأزهر العدد : شوال سنة ١٣٩٩ هـ سبتمبر سنة ١٩٧٩ م من مقال للدكتور محمد رجب البيومى .

بالقرآن الكريم والعلم . واستمر على ذلك حتى لقى ربه ، فقد سألت الله ـ تعالى ـ أن يوفقنى إلى ما كان عليه شيخنا العالم السيد أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس ـ رضى الله تعالى عنه .

فعلى جميع إخوانى أن يساعدونى فى حضور الدروس العلمية وأن يحفظوا شيئا من القرآن الكريم ، فما عندنا إلا الدروس وحفظ القرآن ، فأعينونى بعلو همتكم ، فما جمعتكم إلا على هذا الدرس ، الذى فيه تفسير القرآن وشرح الأحاديث النبوية والفقه فى الدين وحفظ القرآن وتلاوته ، فالعبادة لله وحده والعلماء هم الوارثون المرشدون »[١١] .

« والشريعة مدارها العلم ، والنبوة ، والرسالة هى العلم ، وإنما تشرف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالعلم والنبوة والرسالة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « ان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[١٢] .

فيجب على كل عالم أن يدرس ما استطاع ، وأن يعلم الناس الشريعة الغراء ، ولو كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الآن لعلم الناس العلم ، لأنها هى وظيفته ، وقد دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ المسجد ، فوجد حلقتين : وجد قوما يقرأون العلم ويتدارسونه فيما بينهم ، ووجد قوما يذكرون الله تبارك وتعالى ، فأثنى على المجلسين خيرا ، ثم جلس مع الذين يتدارسون العلم ، ثم قال : « إنما بعثت معلما »[١٣]

وقد خاطبه ربه بقوله : « **لتبين للناس ما نزل إليهم** » »[١٤] .

ومن تعلم يوشك أن يعمل وأما الجاهل فبعيد عليه العمل ، فعليكم أيها الناس بسماع العلم ، ومذاكرة العلم لأنه هو النور الذى يسترشد الإنسان به ، قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه : « **الناس موتى وأهل العلم أحياء** »[١٥] .

أما عن حلقة درس شيخنا الإمام الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف فقد كانت جامعة إسلامية صوفية ، تعقمت فيها أصول الدين

---

(١١) اعطار أزهار أنوار حظيرة التقديس ١٤٣ ، ١٤٤ .
(١٢) رواه الإمام أحمد وابن النجار عن أنس .
(١٣) رواه ابن ماجه .
(١٤) النحل : ٤٤ .
(١٥) منبر الأزهر : ١٧٤ .

والشريعة علما ، وكان فيها أصول روحانية التصوف تربية ، فكانت مظهرا للحقيقة الصوفية ، وكان منهجه : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، بما ورثه من هدى نبوى عظيم ، من الدوحة المحمدية الطاهرة نسبا ، العظيمة أثرا ، نفخ فيها الإيمان من روحه ، فخلصت خلوص الزهد والروع والتقوى والصلاح ، وسطعت سطوع الهدى وصفت صفاء الفطرة ، التى تبلورت فيها محمدية الإسلام الموروثه ، وصوفيه الصفاء الموهوبة فصار – رضى الله عنه – لسانا لهداية الخلق ، ففى دنيانا فجر للناس من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم ، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذى لم يسبقه إليه سابق ، ذلك لأنه – رضى الله تعالى عنه – لم يكن يملك عقلا مكتسبا ، وإنما كان يملك عقلا موهوبا ملهما من الله – عز وجل – مقتديا برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فكان يعطى من كنوز عقله ، ومواهب فكره ، وفيوضات قلبه ، وروحانيات روحه ، ومن إنسانية نفسه ، فكان يخاطب الخواطر والضمائر ، ويجيب على تساؤلات العقول ، وهواجس النفوس ، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية ، علمية المذهب ، صوفية المشرب ، تربط بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن ، والنفس والروح ، والعقل والخاطر .

وعن نفس هذا المعنى يحدثنا أحد العلماء الصالحين ، الذين أحبوا الشيخ – رضى الله عنه – وحضروا دروسه وهو الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى – مدير الوعظ الأسبق بالقاهرة – رحمه الله تعالى وغفر له – فيقول فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بمولد الشيخ – رضى الله تعالى عنه – سنة ١٤٠٣ هـ :

« دخلت يوما مسجد الأزهر ، وكنت فى صباح ذلك اليوم أقرأ فى سورة الكهف ، فلما وصلت إلى قوله تعالى : « **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** »[١٦] أردت أن أعرف معنى كلمة « **الوصيد** » ولما هممت أن آتى بالمصحف المفسر لأكشف عن معناها تذكرت أننى أقيم فى مكان بعيد ، فقلت فى نفسى : أذهب لألقى درسى ، ثم إذا عدت إلى البيت أكشف عن معنى هذه الكلمة ، وكان شيخنا – الشيخ صالح الجعفرى – يلقى الدرس من الظهر إلى العصر كعادته ، فدخلت عليه وجلست فى حلقته ، وبينما يسير الدرس سيرا متصلا بتفسير آية من القرآن الكريم – ليست من سورة الكهف – سكت الشيخ ، فقلت : ماذا يقصد شيخنا بقطع درسه ؟ ثم أخذ الشيخ يقرأ آيات مرتلة من سورة الكهف ، إلى أن وصل إلى قوله تعالى : « **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** » وعند ذلك قال الشيخ : « إن الكلب بسط يديه على هيئة كذا وكذا ، والوصيد هو الفناء .. نعود بعد ذلك إلى درسنا يا أحباب !!» ، فقلت فى نفسى : جزاك الله تعالى خيرا .. وهذا من نور الله » .

---

(١٦) الكهف : ١٨ .

وقصة أخرى يرويها لنا رجل من أهل العلم وكان من تلاميذ العارف بالله سيدى محمد الشريف ، وهو الشيخ محمد عبد الجواد العدوى ، الذى كان يعمل موجها بوزارة التربية والتعليم ، فيقول ـ رحمة الله تعالى ـ : « كنت أسكن فى رواق الصعايدة ، حينما كنت فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، وكنت أحضر دروس الجمعة دائما ، وقد رأيت كرامات عديدة من الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى دروسه ، وهذه واحدة منها :

فى أحد الدروس سأله رجل من كبار المسئولين ، وكان يعمل مستشارا وكان يأتى بسيارته ليحضر الدرس ، فقال للشيخ : هل من الممكن أن يظهر سيدنا الخضر فى صورة رجل أى رجل ، أم أن له صورة معينة يظهر فيها ؟ فلم يرد عليه الشيخ ، ثم سأله رجل آخر كانت تبدو عليه آثار الفقر والحاجة ، فأجابه الشيخ عن سؤاله ، ومضى الرجل ، ثم التفت الشيخ إلى السائل الأول قائلا : أين الذى سأل السؤال الأول ؟ فقال الرجل : أنا يا فضيلة الشيخ ، فسأله الشيخ : ماذا كنت تقول ؟ فأعاد الرجل السؤال عليه مرة أخرى ، فأجابه الشيخ قائلا : إن الذى سألنى بعدك هو سيدنا الخضر عليه السلام . فأخذ الرجل يتلفت يمنة ويسرة ، باحثا عن السائل فى حلقة الدرس ، فلم يجده !!

هكذا كانت حلقات درس الشيخ رضى الله عنه ، حافلة بالأسرار والكرامات ، وكانت جامعة لشتى أنواع المعارف والعلوم ، من علوم شرعية فيها الفقه المبين للحلال من الحرام ، وتفسير لكتاب الله تعالى ، وشرح لأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رواية ودراية ، وشرح لمسائل التوحيد وتلقينها للسامعين ، كما كان الشيخ رضى الله تعالى عنه يتناول فى درسه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان صفاته ومعجزاته ـ وما كان عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حياته ، وما يتعلق بحقوقه فى حياته وبعد مماته ، وكذلك ما يتعلق بسيرة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أجمعين وسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى ـ يتناول فى درسه المشكلات الاجتماعية التى تحدث فى المجتمع ، فيعالجها علاجا ناجعا ، فكان كل من يحضر درسه يجد حلا لمشكلته بالتصريح أو التلميح ، وكان المهتم بالفقه يعرف الأحكام الشرعية من فقهه الجامع لمختلف المذاهب ، وكان المتصوف يرتوى من أسراره وإشاراته لمعانى آيات كتاب الله تعالى الظاهرة والباطنة ، وكان طلاب الحديث يجدون لديه بغيتهم من دقة الرواية ، والفهم النافذ والبصيرة الثاقبة بمعانى الحديث ، وكان المهتم بالتفسير يعرف من تفسير الشيخ معانى جديدة لم يقرأها ولم يسمع بها من قبل ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، إذ القرآن الكريم لا يزال بكرا إلى يوم القيامة ، مع بصر الشيخ ومعرفته بأسرار اللغة ومعانيها وضبطه الدقيق لألفاظها وكلماتها .

وكان الشيخ – عليه رضوان الله تعالى – يخاطب السامعين بما يناسب فهمهم وادراكهم ، ويوصل العلم إلى عقولهم وقلوبهم بأسلوب سهل مبسط محبب إلى النفوس ، ممزوج بالطرائف والنوادر التى تجذبهم وتروح عنهم وتدفع الفتور والملل .

وهذه الدروس التى نقدمها بين يدى القراء المحبين للشيخ رضى الله تعالى عنه هى جزء من الدروس الكثيرة التى ألقاها الشيخ رضى الله تعالى عنه بالأزهر الشريف ، جمعها ودونها بعض تلاميذ الشيخ ، وقد أذن لهم بكتابتها أثناء حضورهم درسه المبارك بالأزهر الشريف ، وقد روعى فى إخراجها منهج الاختزال المتعارف عليه عند أهل العلم .

فعليكم أيها الأحبة بقراءتها وفهمها وتبليغها للناس ، فقد كان الشيخ رضى الله عنه يحث على ملازمة دروس العلم ، فقال :

ولازم العلم واجلس فى مجالسه لاتشتغل بحطام المال والنعم

وكان يدعو لمن حضر درسه وانتفع به فيقول :

وارض عمن سمعوا منى الهدى فى دروس العلم ممن شغفا
بسمـــاع الـــدرس فى إلقائـــه دررا تضوى ونورا صدفا
من بحار المصطفى خير الورى صاحب العلم الذى قد أتحفا

فرضى الله تعالى عن شيخنا الإمام سيدى صالح الجعفرى وأرضاه وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء

عبد ربه الغنى
عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية
بمصر والسودان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الجـــزء الثانـى

الحمد لله الذى كرم العلم والعلماء ، وجعلهم أهلا لمعرفته وخشيته ، وأمر الناس بالاقتداء بهم ، والانتفاع بعلمهم ، فقال ـ عز وجل ـ « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** »[1] ، **وقال سبحانه « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »**[2] .

وصلى الله ـ تبارك وتعالى ـ على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ، إمام العلماء وقدوة الصلحاء ، الذى حمل العلماء أمانة العلم ، وأمرهم أن يبلغوه للناس ودعا لهم بالرحمة والمغفرة ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« رحم الله خلفائى » قالوا : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال « الذين يأتون من بعدى يبلغون الناس سنتى » رواه الطبرانى فى الأوسط .

ودعا للعلماء بالنور والبركات فى الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام .

« نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها ، فأداها كما سمعها » . رواه الإمام أحمد والترمذى .

أما بعد

فهذا هو الجزء الثانى من كتاب درس الجمعة للإمام العارف بالله ـ تعالى ـ شيخنا سيدى صالح الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وجزاه عن العلم والعلماء خير الجزاء .

ولقد يسر الله تعالى لنا الطريق إلى اخراج الجزء الأول من درس الجمعة ، فلقى بحمد الله تعالى ـ استجابة وقبولا من القراء ، ولا ريب فى أن العلم النافع والموعظة الحسنة تجد الرضا ، وتقع الموقع الحسن من قلوب المؤمنين ، لأن أنوار العلماء العارفين المخلصين تسبق كلامهم ،

---

(١) ٢٨ فاطر .

(٢) ٤٣ : النحل .

فتدخل إلى سويداء القلوب فتنيرها ، وتطرد الوساوس والأهواء والأغيار منها ، يقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى ـ رحمه الله :ـ

« تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، فحيث صار التنوير وصل التعبير ، وكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز » .

وتلك كانت حال شيخنا الإمام الجعفرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ ، كما عرفه أبناؤه وأحبابه ومريدوه ، وكما تشهد بذلك طريقته وسيرته ، وآثاره ومؤلفاته ، فكان يجعل دروس العلم فى حلقته بالأزهر المعمور وسيلة إلى تربية النفوس ، وطريقا إلى العلم النافع الذى تكون غايته الكبرى معرفة الله ـ تعالى ـ وعبادته .

وإن الذى سعد برؤية شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى ـ وفاز بسماع صوته ليدرك هذه المعانى تمام الإدراك ، فلقد كان العلم يخرج من قلب الشيخ ، وقد اكتسى بأنوار المعرفة ، فيعبر عنه بلسان أودع الله ـ تعالى ـ فيه حلاوة النبرات وألقى على مخارج حروفه الخشوع والهيبة والوقار ، وكان الجالسون فى حلقة درسه ينتظرون كلامه بلهفة واشتياق ، حتى إذا سمعوه استقرت معانيه فى قلوبهم فتحيا به كما تتلقى الارض المجدبة ماء السماء ، فكنت ترى فيهم ما أراد لقمان أن يعلمه لابنه حين قال له : « يا بنى : جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله تعالى ـ يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء » .

ولقد كان هدفنا الأول من إخراج هذه الدروس إلى القراء هو نقل صورة من درس الجمعة كما كان شيخنا ـ رضى الله تعالى عنه ـ يلقيه بعد صلاة الجمعة بساحة الأزهر الشريف مع المحافظة على روح الدرس وطريقته ، وليلتقى أبناء الشيخ وأحبابه ومريدوه بروحه تخاطب عقولهم وقلوبهم ، فإن القارىء لهذه الدورس ليجد فيها ـ بتوفيق الله تعالى ـ بغيته من علم إلى علم ، ومن حكمة إلى حكمة ، ومن إجابة على سؤال فى الفقه والحديث والتوحيد والتصوف وسائر العلوم إلى إنشاد بعض القصائد فى مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله الطاهرين ـ إلى غير ذلك من لطائف الدرس ، وكأن المتابع لدرس الشيخ يرتاد روضة غناء مثمرة عامرة بأصناف الفواكة وألوان الزهور ، فيأكل من هذه ، ويقطف من تلك ، لا يمل ولا يسأم مهما طال به الوقت ، وامتد به الطريق .

ونحن ـ بعون الله وتوفيقه ـ نعد القراء أن نلتقى معهم مرة أخرى حول مجموعة أخرى دروس الشيخ التى تمثل ـ بحق ـ خير ماتركه الإمام الجعفرى لما فيها من العلم الذى ينتفع الناس به ـ بإذن الله تعالى ـ إلى يوم الدين .

ورضى الله تبارك وتعالى عن شيخنا ـ سيدى صالح الجعفرى وأرضاه ، وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء ، وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ونبينا ومولانا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وسلم فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله .

عبد ربه الغنى
عبد الغنى صالح الجعفرى
شيخ عموم الطريقة الجعفرية

افتتاحية الدرس

كان شيخنا ـ عليه رضوان الله ـ يقدم لدرسه بهذه المقدمة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم »[1] .

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين »[2] .

وبالسند المتصل إلى أئمة التفسير والقراءات والحديث من علماء الأزهر الشريف وغيرهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم ونفعنا الله وإياكم بهم وبعلومهم آمين .

---

(١) البقرة : ٣٢ .

(٢) الأنعام : ٥٩ .

الدرس الأول

فى تفسير قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإيَّاك نستعين ﴾[1]

أى : نعبدك وحدك ، ولا نعبد أحداً غيرك ، فمعنى (إياك نعبد) أى : نخصُّك بالعبادة وحدك ، ولا نعبد أحداً معك أبداً .

فالوالد يطاع فقط ، والأم تطاع فقط ، والشيخ يطاع ، والحاكم يطاع ، أما العبادة فلله وحده ، سبحانه وتعالى .

العبادة لا تكون إلا لله :

(**إياك نعبد**) أى : وحدك نعبدك ، فلا تصح العبادة ولا تجوز لغيرك ، فمن عبد غيرك فقد كفر ، نحن لا نعرف حقيقة العبادة التى هى لله وحده ، ماهى ؟

العلماء فسروها فقالوا : هى غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع فيه الألوهية ، فأنت تذلل وجهك ، وتضعه على التراب ، تذللاً وخضوعاً لله ، مع أنك تمسح عن وجهك ذرة التراب التى تعلق به ، ولكن خضوعك وتذللك وتواضعك لمن ؟

لمن تعتقد فيه الألوهية ، فأنت الخاضع ، وأنت تسجد لمن ؟ لله ، وتعتقد فيه أنه الإله ، وما معنى الإله ؟

الإله هو الذى خلقنى من العدم ، وخلق العوالم كلها ، من سموات وأرضين وما فيهن من العدم ، إذن فهو خالق ، والخالق يعبد ، فأنا أسجد لمن خلقنى ورزقنى ، فهو خالق ، رازق ، خلق الوجود كله ، بشيئين فقط ، هما : قوام وسلوك ، ما معنى هذا الكلام ؟

مثلاً : أنت عندك (معزة) انظر إلى قوامها ـ أى جسمها ـ كيف ركّب ، كيف نظم جسدها ، تأتى لها بالبرسيم لتأكل ، فهذا هو قوامها ، ثم تشرب ماء ، وتأكل علفاً ونخالة ، وإذا أردت أن تشرب من لبنها فإنك تحلبها !

---

(١) الفاتحة : ٥ .

معنى ﴿ أعطى كل شيءٍ خلقه ﴾[٢]

أى ما خُلِقَ لأجله ، لماذا خلق الماعز ؟ لأجل أن تحلب لنا لبنا ، ولأجل أن نذبحها لنأكل من لحمها ، فأعطاها خالقها ـ سبحانه ـ خَلقها ، فجعل فيها لبنا نحلبه ونشربه ، وجعل فيها لحماً نأكله ، وهذا هو معنى خَلْقِها .

﴿ **أعطى كلَّ شيء خلْقه ثم هدى**) : ثم هداها لما خلقت من أجله ، فهى لا ترفض أكل البرسيم وتطلب البطاطس أو الملوخية أو الأرز !!

لأن الله خلقها لتأكل البرسيم والتبن والردَّه ، فهى لا تردُّ شيئاً من هذه الأطعمة ، وإنما تفرح وتأكل وتسكت ، ولو كانت تتكلم لقالت لنا : لماذا أنتم تأكلون كذا وكذا ، وتعطوننى كذا وكذا ؟

لكن الله ـ تعالى ـ الذى قال ﴿ **الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ هداها أى : دلَّها على ما خلقت له ، فعندما تحضر لها نخالة فإنها تأكل ولا تطلب شيئاً آخر ، أما أنت فإنك تطلب أصنافاً كثيرة ، ثم تقول : أريد شاياً . لأن رأسى تدور ، هاتوا أرزا ، هاتوا كذا ، وكذا .. ولو كانت الأنعام هكذا لما كان أحد اشترى بقرة ولا ماعزا .

﴿ **الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ ، قولوا : سبحان الله !

فالعبادة : هى غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع فيه الألوهية ، تتذلل وتخضع ، وتسجد لربك ، وتعتقد فيه الألوهية ، أى بأنه خالق ، وأنه رازق ، وأنه محيى ، وأنه مميت .

فعندك آيتان ، لاتَنْسهما ، واحدة مضت ، والثانية آتية فى الطريق ، وهما آيتان من آيات الله تعالى ﴿ **وفى أنفسِكم أفلا تبْصِرون** ﴾[٣] .

الآية الأولى : يوم وُلدتَ ، ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ خلقك خلقاً جديداً أخرجك إلى الدنيا ، وأعطاك رزقك . هذه هى الآية الأولى .

والثانية : يوم رحيلك من الدنيا :

لابـــد للغـــريب من سفْـــره ومـــــــن طلب بلاده عاش

فنحن غرباء جئنا إلى الدنيا ، غرباء ما دمنا مسافرين فيها ، والمسافة طويلة ، ولكن يأتى يوم

---

(٢) طه : ٥٠ .

(٣) الذاريات : ٢١ .

ينتهى فيه السفر ، كل يوم يقطع خطوة من مسافة العمر ، إلى أن تنتهى الخطوات ، فينتهى ابن آدم ، ويخرج من الدنيا ، قال الشيخ البرعى ـ رحمه الله تعالى ـ

وكلّما مَرَّ يوم منها فليس يعودُ
فاستكثروا الزاد فيها إن الطريق بعيدُ
تنبهوا يا رقودُ إلى متى ذا الجمود

كيف تنام وأنت مسافر ؟

يسرُّ المرءَ ماذهبَ الليالى وكان ذهابهن له ذَهَابَا

يعنى : ان الإنسان يفرح بمرور الأيام ، وخاصة الموظفين أصحاب المرتبات ! دائماً يسألون : فى أى يوم من الشهر نحن ؟ يريد الموظف أن ينتهى الشهر حتى يقبض ! ولا يدرى أن هذا الشهر يخصم من عمره ، كان من حقه أن يبكى على اليوم الذى يمر ؛ لأنه محسوب من العمر :

وكلما مَرَّ يومٌ منها فليس يعودُ

إذا مرَّ انتهى ، والإنسان يفرح بذهاب الأيام والليالى والسنين ، وفى ذهابها ذهاب لعمره .

والعرب كانوا فصحاء ، فالشاعر يقول : يسرُّ المرء ما ذهب الليالى ، فرحٌ بمشْى الأيام والليالى ـ وكان ذهابهن له ذهابا ـ فَمشْىُ الأيامِ مَشْى له هو ، فهو أيضا ذاهب ، ليس بقاعد !

موعظة الدهر لابن آدم

وقد ورد فى الأثر « كل يوم تَطْلُعُ فيه الشمس يومٌ جديد » كل يوم يأتى الجديد ، ويمضى القديم ، كل يوم يأتى يخاطبك :

« يا ابن آدم : أنا خلق جديد » .

الدنيا مليئة بالمخلوقات : بقر ، ماعز ، وجمال ، وفيها طيور .. إلخ

فلماذا ينادى اليومُ ابنَ آدم ؟ لأن ابن آدم هو المكلّف ، كلّفهُ ربه ، وسيبعثه ويحاسبه ، فاليوم ينادى على ابن آدم :

« أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد » .

أنا خلق جديد : ربنا خلقنى ، ويوم القيامة أكون شهيداً على عملك ، « ثم لا يعود إلى يوم القيامة » .

يقول اليوم هاتين الكلمتين حتى تغرب الشمس ، ثم يودعنا ، ولا يعود إلى يوم القيامة ، فهل نفهم هذا الكلام ؟ نعم نفهمه ، ونعرف أن اليوم شاهد علينا ، ولماذا تقول لنا ذلك أيها اليوم ؟! قال : شفقة منى عليكم ، لأجل خاطر النبى ـ ﷺ ـ حبيب رب العالمين ، وحبيب الملائكة ، وحبيب الدنيا كلها ، فأنا أنصحكم ، وأقول لكم : انتبهوا لى ، ولا تعملوا فىّ المعاصى ، لا تخالفوا ربَّ العالمين ، لأنى سأشهد عليكم ، ثم لا يعود إلى يوم القيامة .

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ : نخصك بالعبادة ، لا نسجد لغيرك ، لا نطلب الرزق من غيرك ، لا نطلب طول العمر من غيرك ، أنت الرزَّاق ، أنت الفتَّاح ، وأنت المعطى ، وأنت المانع .

ماذا قال المغربى ؟ :

يا قلبُ ثقْ باللـــــــــهْ إنك لله راجـــــــــعْ
وارض بقضاء اللـــــــــهْ الخِيَـــــــرةُ فى الواقِـــــعْ
لا تذكـــــرْ إلا اللـــــهْ فى سرِّكْ والإعـــــلانْ
واعلَـــــمْ بأن اللـــــهْ حاضرْ فى كلّ مكـــــانْ
إن كان نفـــعكْ اللـــهْ حاشا يضرك إنسانْ
صفّيها مـــن الأغْشَـــاشْ إن كنت تطاوعنـــى
تدبيرك ما يسواشْ ومـــن تدبيرك دَعْنِـــى

فهذا رجل مغربى ناصحٌ لبيب ، كثير من الناس تكلموا بالشعر ، وتكلموا بالنثر ، لمن ؟ للناس لأجل أن يفهموا هذا الكلام ، يقول (لا تذكر إلا الله فى سرّك والإعلان) يعنى : فى الباطن والظاهر ، (واعلم بأن الله حاضر فى كل مكان) والذى لا يعتقد هذا يكون كافراً ، إذا لم يعتقد أن الله حاضر فى كل مكان فهو كافر ، لماذا ؟ لأن الله تعالى يقول ﴿ **وهو معكم أينما كنتم**)[٤] أى : فى أىّ مكان كنتم .

رجلٌ أصابه عطش شديد وهو صائم فى رمضان ، فقال : أغطس فى البحر ، ثم أشرب بعض الماء ، ولا أحد يرانى ، فغطس فى الماء ، فإذا بوتد فى قاع البحر يضربه فى زَوْره ، فيجرحه ، فخرج من الماء وهو يصيح : الله موجود حتى فى الماء ! هذا رجلٌ مغفَّل ، لا يدرى أن الله تعالى موجود فى كل مكان ، فى السماء السابعة ، وفى الأرض السابعة ، قال

---

(٤) الحديد : ٤ .

النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لو أنكم دَلَّيتم بحبل إلى الأرض السُّفْلى لهَبَطَ على الله** »[٥].

فى الأرض السابعة تجد ربك ، فى السماء السابعة تجد ربك ، الله موجود ، وأحاط بكل الوجود ، قولوا : « الله » هذه كلمة تهتز لها السماء .

سأل بعض أهل العلم أحد العلماء قائلين : هل لربنا ـ سبحانه ـ جهة ؟ فقال لهم : قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **لا تفضلونى على يونُسَ بنِ مَتَّى** »[٦] .

فقالوا للرجل : لقد أتيناك لتحل لنا مشكلاً فأوقعتنا فى إشكال ثانٍ ، نحن نعتقد أن النبى ـ ﷺ ـ أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين ، فما معنى : « لا تفضّلُونى على يونُسَ بن مَتَّى » ؟ قال : هذا جواب سؤالكم ، قالوا له : كيف ذلك ؟

يعنى : أن النبى ـ ﷺ ـ يقول : لما عرج بى إلى السماء السابعة ، وتكلمت مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويونس بن متى وهو فى بطن الحوت فى البحر تكلم مع الله ـ تعالى ـ فلا تفضلونى عليه ، ولا تقولوا : أنى كنت أقرب إلى الله ـ تعالى ـ من يونس بن متى ، أو أن الله ـ تعالى ـ كان أقربَ إلىَّ من يونس ـ عليه السلام ـ .

فالذى فى البحر ، والذى فى السماء السابعة بالنسبة إلى الله ـ تعالى ـ واحد فى القرب والعلم ، عالم بنا ، وقريب منّا ، بلا تفاوت . فهذا جوابكم : أن الله ـ تعالى ـ ليس فى جهة ، بل أحاط بجميع الجهات ، وليس فى مكان معين ، بل أحاط بجميع الأمكنة ، وآخر ما يمكن أن يقال : إن العقول لا تتصوره ، كيف يتصور الله عقلٌ خلقه الله ؟ اللهم ارزقنا الفهم ، وعلمنا يارب .

فمتى خضعت له ، واعتقدت فيه الألوهية فإن عملك وقولك يسمّى عبادة . إذا رأيت والدك قادماً من بعيد ، فقمت واقفاً ، وقلت له : أهلاً وسهلاً ، وقفتُ احتراما وتعظيماً له على أنه والدى ، هل يسمى ذلك عبادة ؟ لا ، فماذا تسمّى إذن ؟ تسمى احتراما وتوقيراً .

المؤذن حينما يقول : قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، فإذا قمتُ للصلاة ، ماذا يسمّى قيامى هذا ؟ يسمّى عبادة ؛ لأننى قمت لله ، وأنا أعتقد فى الله الألوهية .

---

(٥) رواه الترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً وقال : غريب ، وفسره بعضهم فقال : لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، وهذه المذكورات فى كل مكان لأنه تعالى بصفاته مع العباد ، وهو معكم أينما كنتم ، وقال الحافظ ابن حجر : معناه أن علم الله يشمل جميع الأقطار ، فالتقدير لهبط على علم الله ، والله سبحانه منزه عن الحلول فى الأماكن فإنه تعالى كان قبل أن يحدث الأماكن ، ونقل أن الشيخ الأكبر ـ قدس سره ـ نقله فى أثناء أربعين حديثاً له وشرحه . (انظر : كشف الخفاء ٢/٢٢٠ ، ٢٠١).

(٦) رواه القاضى عياض فى الشفا وذكره الحافظ ابن كثير فى قصص الأنبياء .

فأى عمل تعمله لمن تعتقد فيه الألوهية ، فإن عملك وقولك يسمى عبادة ، أما ماعدا ذلك ، فإنه يسمّى احتراماً وتوقيراً فقط .

من أحوال الصحابة عند زيارة النبى ﷺ :

ورد أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ـ كان إذا جاء قبر النبى ـ ﷺ ـ رفع يديه وقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، وإذا جاء قبر سيدنا أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين يا أبا بكر ورحمة الله وبركاته ، ثم يتحول ناحية قبر أبيه عمر ـ رضى الله عنه ـ ويقول : السلام عليك يا أبت ورحمة الله تعالى وبركاته[٧] .

فكان عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كعادة العرب إذا احترم شيئاً ووقّره يرفع يديه جميعا ، ويشير بهما ، دليلاً على الاحترام والتوقير . فما كان يفعله عند الزيارة يسمى طاعة لله ، لأنه يحترم النبى ـ ﷺ ـ .

ولكن : عندما يأتى عبد الله بن عمر ، ويرفع يديه للتكبير فى الصلاة ، قائلاً : الله أكبر ، فإن رفع يديه فى الصلاة يسمى عبادة ؛ لأنه يرفعهما لله ، فالعمل لله يسمّى عبادةً ، والعمل لغيره لا يكون عبادة . فغاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع فيه الألوهية كما تقول : يارب اغفر لى وارحمنى ، هذا يسمَّى عبادة ، لماذا ؟ لأنك تكلمُ من تعتقد فيه الألوهية .

وعندما تقول : السلام عليك يا سيدنا الحسين ورحمة الله وبركاته ، ادع الله أن يفرّج عنا ، ادع الله يا ابن بنت رسول الله ـ ﷺ ـ فهذا لا يسمّى عبادة ، لماذا ؟ لأنك تكلم مخلوقاً مثلك .

إذا قال إنسان : ياألله ، فهذا يسمّى عبادة ، لأنه يكلم الإله الواحد ـ سبحانه ـ أما حين تكلم مخلوقاً فلا يسمّى عبادة ، لأنه كان فى الدنيا مخلوقاً مثلك ، وكان الناس يأتون إليه ، ويقولون : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ـ ﷺ ـ ادع الله لنا ، فكذلك السلام عليه بعد انتقاله ـ رضى الله عنه ـ .

ولما كان الحسين ـ رضى الله عنه ـ يحجُّ فى حياته كان الناس يأتون إليه ، ويسلمون عليه ، ويطلبون منه الدعاء ، فهو مخلوق لله ، نحترمه لله ، وقد ذهب النبى ـ ﷺ ـ إلى أهل البقيع وسلَّم عليهم قائلاً :

---

(٧) ذكر القاضى عياض فى « الشفا » أنَّ الذى رفع يديه عند الزيارة هو أنس بن مالك وبقية الأثر لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

« السلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ والمُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ رَحِمَ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ وإنَّا إنْ شاء اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ »[٨] .

فكلامه ـ ﷺ ـ مع أهل البقيع تحيةٌ لهم ، ولا يسمى عبادة ؛ لأنهم مخلوقون ، أما الكلام مع الخالق فيسمّى عبادة ، وأى كلام مع غيره لا يسمّى عبادة ؛ فالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يكلّم أهل البقيع قائلاً « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين » ؛ لأنهم يسمعون ، فالمسلمون يعتقدون أن الأموات يسمعون مثل الأحياء تماماً ، ولا فرق بينهم فى ذلك . وفى زمن الجاهلية كان الناس يعتقدون أن الميت صار ترابا لا يسمع ، ولو وقف أحدهم أمام الأموات وقال : السلام عليكم لقالوا له : إنك لمجنون ، أتخاطب ترابا ؟!

قال الله ـ تعالى ـ حكاية عنهم ﴿ **وكانوا يقولون أئذا مِتْنا وكنّا تُراباً وعظاماً أئنا لمبعوثُون** ﴾[٩] .

أما الإسلام فإنه يقول عن الأموات : إنهم موجودون بأرواحهم الحية ، وسيأتى يوم القيامة فيقومون من قبورهم ، كما قال ـ سبحانه ـ ﴿ **كما بَدأكُم تعودون** ﴾[١٠] ، وهذا هو الفرق فى العقيدة بين المسلمين والكفار .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تَتولّوا قوماً غضِبَ اللهُ عليهم قد يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كما يئِسَ الكفار من أصْحابِ القُبُورِ** ﴾[١١] .

أما نحن المسلمين فنعلم بأن أصحاب القبور سيبعثون كما كانوا فى الدنيا . فالكلام مع أحد غير الله ـ تعالى ـ لا يسمّى عبادة ، فحين تقول لإنسانٍ ما : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أريد رغيفاً أفطر به ، فهذا لا يسمّى عبادة ، لماذا ؟ لأن الذى تتكلم معه وتطلب منه الطعام مخلوق مثلك ، أما إذا طلبت من الله ـ تعالى ـ أن يرزقك الطعام ، فإن هذا هو الذى يسمى عبادة .

فكلامك مع الله عبادة ، وكلامك مع المخلوق لا يسمى عبادة ، ولو كان المخلوق رئيساً أو مديراً .

---

(٨) ذكره ابن الحاج المالكى فى المدخل .

(٩) الواقعة : ٤٧ .

(١٠) الأعراف : ٢٩ .

(١١) الممتحنة : ١٣ .

فالعبادة هى غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد الخاضع فيه الألوهية ، كالدعاء والصلاة وغيرها .

أما الخضوع للوالدين ـ مثلاً ـ فهو طاعة لهما ، وطاعة لله ـ تعالى ـ لأنك قد أطعت الله فى قوله ـ سبحانه ـ ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالِدَيْن إحْسَاناً** ﴾[١٢] .

وتثاب على هذه الطاعة ثوابا عظيما .

فمقام الألوهية عظيمٌ ، وأى عمل لله ـ تعالى ـ ولو كان صغيرا ـ فإنه يصير عظيماً عنده ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا ناديت على الفقير وأعطيته تمرة ، قائلاً : خذْ هذه التمرة لله ـ تعالى ـ يكتب لك ثوابها من حسنة إلى سبعمائة ، ويكون عملك هذا طاعة وعبادة لله تعالى .

أما إذا أطعمت نفسك مائة بلحة فإن ذلك لا يسمّى عبادة ، ولكن إطعام الفقير لوجه الله هو الذى يسمّى عبادة .

أى عمل لوجه الله يسمّى عبادة وله أجر : إذا وجدت جاموسة تقف فى الشمس المحرقة فأخذتها وفككت حبلها ، ثم حولتها إلى الظلّ وربطتها فيه فإن عملك هذا يسمّى طاعة لله تعالى وعبادة له ، لأنك تعبد الله تعالى بطاعة أمره ؛ لأنه أمرنا بالرحمة ، وقد ورد فى الحديث « أن العبد يقف يوم القيامة ، فيطيل الله وقوفه ، فيقول العبد : يارب ارحمنى ، فيقول الله ـ تعالى ـ أى شىء رحمت من خلقى ؟ ماذا رحمت من خلقى ؟ هات ولو عصفوراً »[١٣] .

قال شراح الحديث : فكان السلف الصالح يتبايعون العصافير ثم يعتقونها وحينما تذكر الله ـ تعالى ـ بأسمائه الحسنى فتقول : ياعظيم ، يا كبير ، يا غفّار ، يا ديّان ، يا حنّان ، يا منّان .. فكل هذا عبادة .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ولله الأسْماءُ الحُسْنى فادعُوه بِهَا** ﴾[١٤] .

من عنده أسماء مثل أسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ لا أحد ، وأسماؤه ـ جل وعز ـ كثيرة :

وعندنـــا أسماؤه العظيمـــة كذا صفـــات ذاتِـــهِ قديمه

قل : « يا الله » تلذَّذْ بها ، ولذّذْ روحك ، فما أحلاها من كلمة ! لسانك عندما تضع

---

(١٢) النساء : ٣٦ .

(١٣) أورده السيد أحمد بن ادريس فى « روح السنة » .

(١٤) الأعراف : ١٨٠ .

عليه قطعة من الحلوى فإنه ينتعش ، لأن طعمها حلو ، وعندما تضع عليه قطعة من الصبار المرّ ، فإنه يلفظها ولا يستسيغها ، ويتكدر منها ؛ لأنها مرَّة .

فجسدك فيه روح لها ذوق ، فعندما تفعل المعصية تتكدر روحك كما يتكدر اللسان من الأشياء الكريهة ، ولكن عندما تقول : يا أالله ، يا أالله ، يا أالله ، فإن روحك تحسُّ حلاوة ، وتجد لذة ، أما قولك : فلان فعل كذا ، فلان عنده كذا ، فليس فى ذلك حلاوة ، أما ذكر المهيمن فإنه للنفوس شفاء .

ولذلك أمرنا أن نذكره ، وأن نذكر صفاته ، ﴿ **الحمدُ للّهِ رب العالمِين** ﴾[١٥] **ما معناها ؟**

أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لمّا علم أن خلقه عجزوا عن حمده حمد نفسه بنفسه فقال ـ تعالى ـ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّن** »[١٦] .

شبهات حول حقيقة الاستعانة :

﴿ **اياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ الاستعانة : طلب العون ، يعنى : يارب نطلب منك العون ، ولا نستعين إلا بك .

كيف نوفق بين هذه الآية وبين قوله ـ تعالى ـ ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[١٧] . أى كل واحدٍ منكم يعين أخاه على البر والتقوى ، وكذلك قوله ـ تعالى ـ مخبراً عن ذى القرنين ﴿ **فَأَعِينُونى بقوّة** ﴾[١٨] وما فيها من طلب العون من الناس ؟ الإجابة فى كلمتين نفهمهما : اطلب العون من الله ـ تعالى ـ على أنه الإله ، واطلب العون من غيره على أنه مخلوق .

تقول : يا فلان : تعال ساعدنى لنرفع جوال القمح هذا ، يعنى : أعنّى ، ففلان هذا الذى ساعدك مخلوق لله ، وذو القرنين يقول : تعالوا ساعدونى ، وأعينونى وأحضروا لى حديدا ونحاساً ، لأبنى لكم سدا يحول بينكم وبين يأجوج ومأجوج ، فهو يطلب منهم العون على أنهم عبيد لله ، مخلوقون لله ، أما الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإننا نطلب منه العون على أنه الله الخالق .

---

(١٥) الفاتحة : ١ .

(١٦) رواه البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل .

(١٧) المائدة : ٢ .

(١٨) الكهف : ٩٥ .

وحين تقول لمخلوق : أقرضني قرشين ، ساعدني ، فأنت تسأله على أنه مخلوق ، لكن المعونة تطلب من الله ـ تعالى ـ على أنه إله قادر . فإذا طلب من غيره على أنه إله فهذا كفر والعياذ بالله . وإنما تقول لغيره : ساعدني ، معتقداً أنه مخلوق .

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، وقد أوصى النبي ـ ﷺ ـ عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال له :

﴿ **إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعن باللّه** ﴾[١٩] .

فهنا ـ في الحديث ـ أمر بالاستعانة بالله تعالى وحده ، ما معنى هذا ؟ كان الكفار في الجاهلية يتخذون أصناماً ، ويعتقدون فيها الألوهية ، وكانوا يسألونها على أنها آلهة ، فكأن النبي ـ ﷺ ـ يقول لابن عباس : إذا سألت إلهاً فاسأل الله ؛ لأنه لا إله غيره ، فلا تسأل أحداً غيره .

أما الخلق فإنك تطلب منهم ، ولكن لا تعتقد فيهم الألوهية لأنه كفر ، لكن لو سألت ابن آدم على أنه مخلوق فلا كفر .

الفرق بين سؤال الخالق وسؤال المخلوق :

فالإنسان عندما يسأل المخلوق يسأله بعقل ، وفيما هو ممكن ، مثلاً أنت قادم من الريف فعرجت على مسجد السيدة زينب ، فحان وقت الغداء ، وأنت جوعان فقلت : هاتوا لنا غذاء يا أهل البيت ، فياتيك الرد بالإيجاب ، فأنت قد سألت غير الله من خلق الله على أنهم مخلوقون ، لا على أنهم آلهة .

مررت على الجبانة ـ المقبرة ـ فاسترحت تحت ظل شجرة بجوار الأموات ، ثم قلت : السلام عليكم أيها الأموات ، نريد طبق ملوخية ورغيفين ، فلو كان الموتى يتكلمون مع الأحياء لقالوا لك : أنت رجل أبله ، وهل عندنا طعام أو نعرف الطبخ ، انزل البلد ، عند الناس الأحياء ، وقل لهم : هاتوا رغيف ، وهاتوا طبيخ ، أما نحن فلا رغيف ولا طبيخ عندنا !

فلابد أن يكون السؤال بعقل : فلا تذهب مثلاً إلى قبر أمك المتوفاة ، فتقول لها : السلام عليك يا أمي ، هاتي لي الإفطار ! ، فيقال لك : أنت رجل أبله أو مهبول ، وهل عند الميتين إفطار ؟ ادخل بيتك فاطلب الطعام من أختك أو زوجتك يأتيك الإفطار ، فالطلب يكون بالعقل .

---

(١٩) رواه الترمذي وأحمد .

تجلس فى المسجد ـ مكان الصلاة والعبادة ـ وتقول : يارب هات لنا فول مدمس وعيش ! ، فهذا كلام رجل أبله ، نعم إن ربنا ـ سبحانه ـ قادر على كل شيء ، لكن جعل الأسباب ، فاذهب إلى بيت من بيوت الصالحين واطلب (مدمس وعيش) ! .

وكان هناك رجل فى الحجاز ـ من مائة عام ـ فجاءه بعض الناس الجهلاء بعصا ، وقالوا له : هذه العصا أحسن من محمد ـ ﷺ ـ !! فسألهم مستغرباً : لماذا ؟ قالوا لأنها تنفع ، والميت لا ينفع ! ثم احضروا جملاً ، وبرّكوه ، ثم قالوا للجمل : محمدٌ يقول لك : قم ، فلم يقم الجمل ؟ ، فأحضروا العصا وقالوا للجمل : قم ، فقام !

وهذا الرجل ـ الذى وقعت له هذه الحادثة ـ كان تركياً ، فقام إلى الجمل وبرّكه ثم قال له : الله يقول لك قم ! فلم يقم الجمل ، فأحضر العصا وقال للجمل : قُمْ ، فقام الجمل !!

فقال لهم الرجل العاقل الذكى : إذن العصا هذه أحسن من ربنا !! لأنها أنهضت الجمل !! ما دخلُ العصا فى هذا الكلام الفارغ الذى تقولونه ؟! ، فالذى خلق العصا هو الله ، والذى خلق الجمل هو الله ، والذى خلق سيدنا محمداً ـ ﷺ ـ هو الله ، وقد جعل لكل مخلوق عملاً ، وجعل لكل شيء أثراً مناسباً ، فالجمل له عمل ، والعصا لها عمل ، ورسول الله ـ ﷺ ـ له عمل ، وهكذا .. وإذا كان النبى ـ ﷺ ـ غاب عنَّا فهل معنى ذلك أنه راح عن عالمنا ؟ فأين إذن قول الله ـ تعالى ـ ﴿ **إنّ اللهَ وملائكتَهُ يصلُّون على النبى** ﴾[٢٠] .

متى صلّوا عليه ؟ من زمن طويل .

روى الحافظ الترمذى عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال :

« **كنتُ نبياً وآدمُ بينَ الروحِ والجَسَد** » .

فمن يوم أعطاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ النبوة ، فهو يصلّى عليه من قبل أبينا آدم عليه السلام .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلموا تسْلِيماً** ﴾ ، وأمر المؤمنين ، ذكراً وأنثى ، إنساً وجناً ، أن يصلوا ويسلّموا عليه ، فهل يا ترى بعد أن مات لا نصلى عليه ؟

كيف يكون ذلك ، وأنت تسلّم عليه فى كل صلاة ، تقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، تسلّم عليه سلام الحاضر : (السلام عليكَ) بكاف الخطاب فهو حى عند ربه ، والأموات أحياءٌ بأرواحهم فى عقيدة المسلمين ، والدعاء يصلهم كما قال ـ

---

(٢٠) الأحزاب : ٥٦ .

تعالى ـ : ﴿ **والذينَ جاءُوا من بعْدِهم يقولونَ ربنا اغفِرْ لنا ولإخوانِنا الذين سَبقُونا بالإيمَانِ** ﴾[٢١] .

فهم يدعون للأروح الحية ، ولا يدعون للتراب ، يدعون للأرواح الحية الموجودة ، والله تعالى أخبرنا عن الكافر بعد موته أنه لم يذهب سدى ، والملائكة أخذت روحه وهو ينادى ﴿ **ربِّ ارْجِعُون لَعلّى أعملُ صَالِحاً فيما تركْتُ** ﴾[٢٢] .

وعند ذلك تتوقف الملائكة ، لأن الرجل قد دعا ربه ـ ودعاء الله عندهم عظيم ـ فيرد الله ـ تعالى ـ عليه بقوله « كلا » أى كفّ عن هذا المقال ـ وهى كلمة ردع وزجر ـ يعنى : اسكت ، لا تتكلم ، (**إنها كلمةٌ هو قَائِلُها**) أى : يا ملائكتى هذه كلمة هوىً لا اعتبار لها عندى ، فخذوه ، واذهبوا به ، إلى أين ؟

﴿ **ومن ورائِهِمْ برزخٌ إلى يومِ يُبْعَثُون** ﴾[٢٣] . والبرزخ : هو الحاجز بين الأحياء والأموات توضع فيه الروح فى مكانها المعدّ لها إلى يوم القيامة .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **القبرُ إما روضةٌ من رياضِ الجنّة ، وإما حُفْرة من حُفَرِ النّار** » .[٢٤]

وهذا يستمر إلى يوم القيامة .

أسئلة والجواب عنها :

س : يقولون : إن الجنة لها ثمانية أبواب ، وفيها درجات ، فما الفرق بين الأبواب والدرجات ؟

جـ : أمامك عمارة بها عشرة أدوار ، ولها بابان ، فهل الأبواب هى الأدوار ؟ أم الأبواب غير الأدوار ؟

الأبواب هى التى تدخلك إلى العمارة ، والأدوار هى الدرجات : دور أول ، ودور ثان ، ودور ثالث ، وهكذا .

---

(٢١) الحشر : ١٠ .

(٢٢) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٣) المؤمنون : ١٠٠ .

(٢٤) رواه الترمذى .

فالجنة لها ثمانية أبواب ، لكن لها ملايين الدرجات ، فالدرجات غير الأبواب .

وفى الحديث : « **إن أهلَ الجنة ليتراءَوْن الغُرَف فى الجنة ، كما تَتراءَوْن الكَواكِبَ فى السّمَاءِ** »[٢٥] .

ونحن نقف فى الجنة ـ إن شاء الله تعالى ـ يعلمنا ربنا ويرينا المنازل والدرجات ، فيقول أحدنا للآخر : انظر يا أخى . هذا بيت سيدنا أبى بكر ، وهذا بيت سيدنا عمر ، وهذا بيت سيدنا عثمان ، وهذا بيت سيدنا على ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ تتراءى بيوتهم كما تتراءى النجوم لأهل الأرض .

س : ما حكم العمل فى رمضان ؟

جـ : العمل فى رمضان يعتبر عبادة ، والعبادة تذلل ، فحينما تصوم لله فأنت تتذلل له وتخضع ، فالله ـ تعالى ـ أمرنا بالصوم ، فأنت حينما تصوم فأنت قد أطعت أمر الله ـ تعالى ـ والسعى لطلب الحلال عبادة أيضا ، قال المجاهد الشيخ عمر المختار لأحد تلاميذه ، وكان يخدمه حينما أراد أن يفارقه :

« أعبد ربك يُوَرِّيك فضايله » .

أى : اعبد ربك يريك صفاته وكرمه وإحسانه ، وعلمه ، وبالعبادة تنال كل شىء ، تعرف قدر الصحابة وأهل البيت ، وتتصل بهم ، ويتصلون بك ، وتكلمهم ويكلمونك ، كما ترى الملائكة الكرام ، والجنَّ المؤمن ، وترى المؤمنين من الأموات .

س : لماذا لا يستطيع الشيطان أن يتمثل بالنبى ـ ﷺ ـ فى المنام ؟

جـ : إن الشيطان يعرف صورة النبى ـ ﷺ ـ لأنه قد رآه وعرف وجهه وعينيه وشعره ، وسائر جسده ، فهو عندما يحب أن يمثل صورته ، يمنعه الله ـ تعالى ـ من ذلك حتى لا يضلل الناس .

س : قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **قُلِ انظُرُوا ماذا فِى السمٰوات والأرضِ وما تُغنِى الآياتُ والنذُرُ عن قومٍ لا يؤمِنُون** ﴾[٢٦] . فهل الانتفاع بالنظر لجميع الناس أم لا ؟

جـ : الانتفاع بالنظر لمن يتقى الله من المؤمنين ، الله ـ تعالى ـ يقول : انظروا وأنا أريكم ، فمن يتقى الله فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يريه أشياء كثيرة .

---

(٢٥) رواه البخارى والدارمى

(٢٦) يونس : ١٠١ .

س : كم مكث سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ فى بطن الحوت ؟

جـ : لم يعين أحد من المفسرين الأيام التى مكث فيها فى بطن الحوت ، لعدم ورود حديث صحيح يحددها ، فمنهم من قال : مكث ثلاثة أيام ، ومنهم من قال : بل أكثر من ذلك .

قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **وذَا النُّونِ إذ ذهَبَ مُغَاضِباً فظنّ أن لن نقْدِرَ علَيْهِ فَنَادَى فى الظُّلُماتِ أن لا إلهَ إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إنّى كُنتُ من الظَّالِمِين فاستَجَبْنَا له ونجيْنَاهُ من الغمِ وكذلك نُنْجِى المؤْمِنِينَ** ﴾[٢٧] .

وقال ـ تعالى ـ فى سورة أخرى ﴿ **وإن يونُسَ لَمِنَ المرسَلِينَ إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المشْحُونِ فَسَاهَمَ فكان من المُدْحَضِينَ . فالتَقَمَه الحُوتُ وهو مُلِيمٌ . فلولا أنه كَانَ مِن المُسبّحِينَ لَلَبِثَ فى بَطْنِه إلى يوم يُبْعَثُون** ﴾[٢٨] .

فقوله ـ تعالى ـ (فنادى فى الظلمات) تدل الغاء فيه على التعقيب أى بعد أن التقمه الحوت أخذ فى التسبيح ، فا ستجاب الله تعالى دعاءه سريعاً ، وهذا معنى الفاء ، فكأن الله ـ تعالى ـ يقول لنا : يا عبادى : نادانى يونس ، فنجيته ، والمؤمنون كلهم كذلك ، إذا نادونى أنجيتهم ، كما قال ـ سبحانه ـ عن سيدنا نوح ـ عليه السلام : ﴿ **ولقد نَادَانا نوحٌ فلنِعْمَ المُجِيبون** ﴾[٢٩] .

فإجابة الله ـ تعالى ـ لجميع المؤمنين (وكذلك ننجى المؤمنين) ، رزقنا الله وإياكم العلم والفهم ، وكفانا وإياكم شرَّ الغرور .

س : أنا شاب عمرى ٢٧ سنة وأريد الزواج وأنا أسأل الله تعالى أن ييسر لى ذلك وأرى الوقت قد تأخر بى ، فماذا تنصحنى ؟

جـ : لابد أنك تغالى فى شروطك أو تطلب ماليس مناسباً لك ، فلعلك تقول : مثلا ـ يارب : زوجنى بنت أفندينا ! ، فكيف يزوجك بها ولست أهلا لها ؟ ولا كفؤاً لها ؟ ابحث عن زوجة تناسبك وقل : يارب زوجها لى ، يزوجها لك ، أما بنت أفندينا فى الدور السابع ! فأنت إذاً لم تمدَّ رجلك على قدر غطائك !

فمعنى قول النبى ـ ﷺ ـ « **ادعوا الله وأنتم مُوقِنون بالإجَابة** »[٣٠] . يعنى ادعوا دعاء

---

(٢٧) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢٨) الصافات ١٣٩ ـ ١٤٤ .

(٢٩) الصافات : ٧٥ .

(٣٠) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة .

بعقل ، ولا تتغالوا فى طلباتكم ، أما أن تقول : يارب : أريد أربعة آلاف جنيه ، وشقه فى الزمالك ، فهذا إغراق فى الخيال ولا يدخل معنا فى العلم . وهو من دعاء الحشاشين .

س : ما معنى قوله ـ ﷺ ـ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا : وما الجهاد الأكبر؟ قال : جهاد القلب »[٣١] .

جـ : المراد به : جهاد النفس ، اللهم ارزقنا جهادها ، وانصرنا عليها ، فابن آدم القوى الشديد الذى يظن أنه لا يغلب ، تأتى النفس التى لا يراها ، ولا يقيم لها وزنا فتغلبه وتنتصر عليه .

س : أنا رجل أعمل فى شركة مصر للطيران ، وأحب أن أصلى الصلاة فى وقتها ، وأخاف أن يمنعنى أحد من المسئولين ، فماذا أفعل ؟

جـ : اشتغل مع الله ، ولا تشتغل مع الخلق ، وقل : يارب : أنت الذى قدرت لى هذه الوظيفة ، وأنت الذى أحضرتها لى ، وأنت الذى أمرتنى بالصلاة .

فإذا جاء وقت الصلاة فتوضأ وصل ، ولا تخف من أحد ، فلن يستطيع أحدٌ أن يكلمك ولو جاء رئيس العمل شخصياً فلن يستطيع أن يكلمك فى هذا ، بل سيخاف منك ، وقل : يارب : الوظيفة من عندك ، والحياة من عندك ، والملك ملكك ، والخلق خلقك ، وأنا أريد رضاك عنى .

---

(٣١) رواه البيهقى .

الدرس الثانى

« المحافظة على وحدة المسلمين »

وعليك صلى الله يا علم الهدى ما حنَّ مشتاق إلى مثواكا
يا سيِّدَ السادات جئتك قاصداً أرجو رضاك وأحتمى بحماكا
أنت الذى لولاك ما خُلِق امرُؤٌ كلا ولا خُلِق الورى لولاكا
أنت الذى من نورِك البدرُ اكتسى والشمسُ مشرقةٌ بنورِ بهاكا

ثبت بالتواتر أن النبى ـ ﷺ ـ حىٌّ فى قبره ، أجمع على ذلك علماء جميع الأمة الإسلامية على اختلاف آرائهم ومذاهبهم غير أنهم يفسرون هذه الحياة بتفسيرين :

فريق يقول : إنه حىٌّ بجسده وروحه كما كان فى الدنيا .

وفريق آخر يقول : إنه حىٌّ بحياة برزخية يعلمها الله تعالى غير أننا نعتقد أنه يسمع السلام ، ويردّ السلام على من يسلّم عليه ـ ﷺ ـ ولم يختلف الفريقان فى ثبوت الحياة له ـ ﷺ ـ ، ولم يختلفا فى أنه ـ ﷺ ـ يسمع ويردّ السلام ، لذلك يقول الفخر الرازى :

يا سيد السادات جئتك قاصداً أرجو رضاك وأحتمى بحماكا

أى : جئتك قاصداً زيارتك ، لأنها سنة يثاب عليها المؤمن ، « أرجو رضاك » : إذا ثبتت حياتك بعد الموت فزيارتك ترضيك فجئت لزيارتك لترضى ، (وأحتمى بحماك) أى برضاك ، لأنك إذا أنت رضيت عن المؤمن فقد رضى الله ـ تعالى ـ عنه .

أنت الذى لولاك ما خُلِق امرؤ كلاً ولا خُلِق الورى لولاك

إننى كنت فى أول المعترضين على المادحين بمثل هذا الكلام « لولاك ما كان شمس ولا قمر » .. الخ .

حتى اطلعت ـ بعد ثلاثين سنة ـ على حديث فى مسند الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ـ ﷺ ـ « **لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك** » .

والأفلاك : جمع فَلَك ، كل شيء فى الكون يُسَمَّى فَلَك .

ومعنى هذا الحديث : خلقت الخلق لعبادتى ، وأرسلتك داعياً لعبادتى فلولا عبادتى ما خلقت الخلق .

فـ « لولاك » معناها : لولا أنك تدعو الناس لعبادة ربك وتوحيده ، وإرشاد الناس إلى صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى ، وكلامه الأسنى ما خلقت الخلق ، لولاك : لولا دعوتك بالحق إلى الحق ما خلقت الخلق .

أنت الذى من نورك البدر اكتسى والشمس مشرقة بنـور بَهَـاكا

كلام عربى ، جاء على نهج اللغة العربية الفصحى أى : أنت نور من نور الله عز وجل ، والشمس والقمر نوران من نور الله ـ عز وجل ـ ، وفاق نورك الذى وهبه الله ـ تعالى ـ لك نور الشمس ونور القمر .

وهذا الشرح قصدت به أن أوجه السامعين إلى عدم الاعتراض على الفخر الرازى رحمه الله ـ تعالى ـ :

دفاع عن الإمام البوصيرى ـ رحمه الله تعالى ـ :

ولمَّا قال الإمام البوصيرى ـ رحمه الله ـ :

ومَنْ تكن برسول الله نُصْرَتُه إنْ تَلْقه الأُسْدُ فى آجامِها تجِم

قال رجل : أشرك البوصيرى ! لماذا لم يقل : ومَنْ تكن بالله نصرته ؟ يا هذا ؟ أما تعرف النحو ؟ ألم تقرأ فيه أن من معانى الباء السببية ؟ فالمعنى : ومن تكن بسبب طاعته لرسول الله ـ ﷺ ـ نُصْرته من الله إن تلقه الأُسْد فى آجامها تجم .

فمن المعلوم الثابت أنه لا مَلَك ، ولا رسول ، ولا نبى ، ولا ولى يخلق فى هذا الكون ذرة ، وأن جميع المخلوقات لها خالق واحد ، هو الله ـ تعالى ـ يخلقها بقضاء ، ولا قضاء إلا لله ، بقدر ، ولا قدر إلا لله ، بقدرة ، ولا قدرة إلا لله ، بإرادة ، ولا إرادة إلا لله .

(ومن تكن) النصرة حاصلة له من عند الله بسبب طاعته ومحبته لرسول الله ـ ﷺ ـ (إن تلقه الأسد فى آجامها تجم) .

ولماذا قال البوصيرى ـ رحمه الله ـ هذا الكلام ؟ قال : لحادثة حصلت وهى أن جماعة كانوا مسافرين إلى الشام ، وفيهم رجل كان خادما لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ـ فتعرض لهم الأسد فى الطريق ، فنزل من على فرسه ، وتقدم ماشيا إلى الأسد بشجاعة وهمة حتى وقف

أمامه ، والأسد ينظر إليه ، ثم قال : يا أسد أنا خادم النبى ـ ﷺ ـ إما أن تفسح لنا الطريق وإلا شكوتك لرسول الله ـ ﷺ ـ ! فولى الأسد مدبراً[1] ، وليس من عادة الأسد الجرى ، ولكن هذه معجزة للنبى ـ ﷺ ـ وخصوصا عند الأجم ، والأجم : هو بيت الأسد الذى يسكنه ، ويكون ذا شدة وقوة عند أجمه ، ولا يعفو عن أحد وصل إلى أجمه ، فكيف ولى مدبرا عند أجمه ؟ معجزة ، فقال البوصيرى ـ رحمه الله ـ إن تلقه الأسد فى آجامها تجم .

فلا اعتراض يا أخا العرب على البوصيرى .

بين الشيخ ـ رضى الله عنه ـ وبين رجل من أهل السودان :

وقد جادلنى رجل ـ منذ عشرين سنة ـ فى بلد من بلاد السودان ، وكان يشتد كثيراً على البوصيرى ، فناظرته فى هذا البيت ، وشرحته له كلمة كلمة حتى تاب ورجع إلى الله وقال : لقد ظلمت البوصيرى إذن ! ثم قال لى : كيف يقول البوصيرى :

يا أكرمَ الخلق مالى مَنْ ألوذُ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

فقلت له : معنى « يا أكرم الخلق » : يا أفضل الخلق ، أفلا تصدق أنه ـ ﷺ ـ أفضل خلق الله ؟ قال : بلى . فقلت له : معنى (مالى مَنْ ألوذُ به) أى : ليس لى من أتوجه إليه إلا أنت ، يعنى : لا أحد غيرك ألجأ إليه (عند حلول) أى : حصول (الحادث) الشيء المفزع (العمم) أى : العامّ .

ولا يكون كذلك إلا فى يوم القيامة .

فكأن البوصيرى ـ رحمه الله ـ يقول : يا رسول الله : لا أتوجّه إلى أحد غيرك فى يوم الحادث العامّ ، وهو يوم القيامة .

يشير إلى حديث البخارى ومسلم وغيرهما من أن الناس يوم القيامة يأتون النبى ـ ﷺ ـ ويسألونه الشفاعة فيقول « **أنا لها ، أنا لها** » فهل أنت تعارض فى ذلك ؟ قال : لا . وتاب ورجع واستغفر الله مما قال .

---

(١) أخرج ابن سعد والبزار وابن منده والحاكم وأبو نعيم أن سُفَيْنَة رضى الله عنه ـ مولى رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « ركبت سفينة فى البحر فانكسرت ، فركبت لوحا منها ، فأخرجنى إلى أجمة فيها أسد ، إذ أقبل الأسد ، فلما رأيته قلت : يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ـ ﷺ ـ فأقبل يبصبص بذنبه ـ أى يحركه ـ حتى قام إلى جنبى ، ثم مشى معى حتى أقامنى على الطريق ، ثم همهم ساعة فرأيت أنه يودعنى » وهذا الحديث صححه الحاكم ، وسفينة كان مولى لأم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ فأعتقته ، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ ما عاش ، وكان اسمه مهران وقيل : رومان ، وقيل غير ذلك ، وإنما سماه رسول الله ﷺ سفينة لأنه حمل أمتعة للصحابة ـ رضى الله عنهم ـ ثقلت عليهم فقال له رسول الله ﷺ (احمل فإنما أنت سفينة) انظر السيرة الحلبية ٣/٤٢١ ، ٤٢٢ .

لأن الكلام على المعانى ، وأغلب الناس الذين ينكرون ، ويتشدقون بالانكار على النبى – ﷺ – أو على أولياء الله الصالحين ، إنما كان ذلك بسبب عدم البحث والتنقيب عن معانى العلم ، ومعانى الكلام .

يقول أحد هؤلاء – مثلاً – أنا محمدى ! ماذا تعنى بذلك ؟ ألا مذهب لك ؟

يقول : لا مذهب لى ، لا أعرف مالكاً ولا غيره ، فهذه كلمة زور أريد بها حق ؛ لأن هذا الرجل مسكين ، فهو لا يفهم معنى كلمة « مذهب » .

معنى « مذهب » : العلم الذى أخذه الإمام من القرآن ومن السنة ومن القياس ، ومن الإجماع ، هذا العلم الذى يسمى : الفقه الإسلامى نبع من القرآن العظيم ، من السنة الغراء ، من القياس ، من الإجماع .

أصول الأحكام فى الإسلام :

قال النبى – عليه الصلاة والسلام : – لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « **بم تحكم يا معاذ ؟** » وفى رواية : « **كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟**» **قال : بكتاب الله . قال : « فإن لم تجد ؟ » قال : فبسنة رسول الله – ﷺ – . قال « فإن لم تجد ؟ » قال : أجتهد رأيى ولا آلو . قال : فضرب رسول الله – ﷺ – صدره ، وقال : الحمد لله الذى وفّق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله »**[٢] .

فأعجب النبى – ﷺ – بذكاء معاذ – رضى الله عنه – وحُسْن استنباطه ، وحمد الله – تعالى – وشكره على ذكاء هذا الرجل الذى أرسله ليفقه الناس فى الدين .

وقد وهب الله – تعالى – الذكاء للأئمة الأربعة الذين قاموا باستنباط أحكام الفقه للأمة الإسلامية .

فالحمد لله الذى وفّق مالكاً ، والشافعى ، وأبا حنيفة ، وابن حنبل إلى ما قاله معاذ بن جبل أمام النبى – ﷺ – :

كتاب ، وسنة ، وقياس ، وإجماع ، لا تجتمع الأمة على ضلالة فكيف يقول أحدهم : لا مذهب لى ؟!

الحرص على توحيد المسلمين :

وكان الملك عبد العزيز ملك الحجاز – رحمه الله تعالى – ذكياً حادّ الذكاء فطناً لبيباً ، ولما تولى الملك ، قرأتُ فى إحدى الجرائد أنه سُئِل : ما مذهبكم ؟

---

(٢) رواه أبو داود ، والترمذى ، وأحمد .

فقال : مذهبنا مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

فلأنه يعلم أن الذى لا مذهب له لا علم عنده ولا فقه ، قال : نحن حنابلة ، وهو كذلك ، لأنه كان موفقا للصواب .

وقد روى عالم سودانى عنه قال : لما دخل المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ـ قال : الناس يقولون عنّى أننى خامسىّ[٣] ، ولكن إن شاء الله ـ تعالى ـ سأيسّر الطريق لزيارة هذا البلد بما لم يسبق له مثال منذ خلق الله الدنيا ، وقد كان ما وعد به ، فقد مَهَّد الطريق إلى المدينة المنورة ، وتمَّ رصفه ، وتعبيده بما لم يسبقه إليه أحد قبله !

معنى كلام الملك عبد العزيز : لو كنت خامسياً كما يقولون لما يسَّرت لهم الطريق لزيارة الحرَم النبوى بهذه الطريقة الميسَّرة .

وفى الكتاب الذى جمعه وألَّفه يقول : وبعد أن تصلى فى الحرم النبوى ركعتين يستحب لك أن تزور قبر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسلِّما عليه .

إذن فلا خلاف بيننا وبين السعوديين فى هذا المقام ـ وهو زيارة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى مشروعية السفر لزيارة الحرم النبوى والصلاة فيه وفى كوننا نزور سيدنا حمزة ، ونزور شهداء أحد ، ونزور البقيع ، وهم يوافقوننا على ذلك .

أما أهل البقيع فهم أولياء الله ، ونحن نزور الأولياء وهم يزورونهم وقد سَهَّلُوا الطريق لزيارتهم .

وأما سيدنا حمزة بن عبد المطلب والشهداء الذين معه ، فهم سادات الأولياء ، شهد الله لهم فى القرآن بذلك .

فَهُمْ قد عبَّدُوا لنا الطريق ، ورصفوه « بالأسفلت » ، وجاءوا بالسيَّارات ، وينادون : مزارات : مزارات !

فكيف نقول عنهم : وهابية ؟

أنت لا تدرى معنى « وهابية » ! فهذه كلمة يراد منها : الفتنة والوقيعة بين المسلمين .

إن السعوديين يمكنونك من زيارة النبى ـ ﷺ ـ ويسرون لك الزيارة للأولياء ، وهم أصحاب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى البقيع فماذا تريد منهم بعد ذلك ؟!

نعم ! إنهم أدخلوا تعديلاً شرعياً على الزيارة ، فعند زيارة سيدنا حمزة ـ رضى الله عنه ـ

---

(٣) ليس تابعا للمذاهب الأربعة (قال شيخنا إنه حنبلى)

وهو عمُّ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو سيِّد الشهداء ، فإن السعوديين يمنعون اختلاط الرجال بالنساء ، وهم يرشدون الناس إلى آداب الزيارة ، والأدب فى الكلام ، تقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ياعمّ النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يا سيِّد الشهداء .

هذا كلام طيِّب ، خيرٌ من أن تأتى امرأة عامية ، تتكلم كلاماً فارغاً ، أو رجل عامىّ يتكلم بما لا يليق ، أو واحد يدق مسماراً عند القبر ، ويقول : لابد من قتل فلان ، ولابد من كسر فلان !! هذا فِعْل الجهال ، وكلام الجهَّال .

فالسعوديُّون قد عملوا عملا طيبا ، وهم يوافقوننا تمام الموافقة فى زيارة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وزيارة قبور الصالحين فى البقيع ، وفى أُحُد ، وفى بَدْر .

لم يمنعوك . بل يسَّروا لك طريق الزيارة ، ما منعوك من أن تقول : السلام عليك ياعمّ النبى ـ ﷺ ـ ، السلام عليك يا سيِّد الشهداء .

هذا كلام طيِّب ؛ لأن حمزة ـ رضى الله عنه ـ له مقام عند الله ، فهو شهيد وأثنى الله ـ تعالى ـ عليه فى كتابه فقال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٤) .

فإذا زرنا فيجب علينا أن نعتز به ونحترمه ، وأن نكلمه بكلام معقول ولا نتكلم بالكلام الفارغ ، فما يفعله السعوديون فى هذا الموضوع أمرٌ نوافقهم عليه .

حكم وضع اليد على المقصورة

س : هل يجوز وضع اليد على الشباك (شباك المقصورة) عند زيارة النبى ـ ﷺ ـ ؟ فقد رأيناهم يمنعون الناس من وضع اليد على الشباك ، ويقولون : هذا حديد ! حرام عليك ، فما حكم ذلك ؟

جـ : اسمع يارجل وَضْع يدك على الشباك ليس من الزيارة ، فلتفرض أنك رأيته ـ ﷺ ـ جالساً فى مقامه الشريف فهل تقف أمامه بأدب ، وتسلِّم عليه تسليم الحياء ، وتكلمه بأدب . أم تتحسَّس بيدك الحديد ؟

أجب عن سؤالى !

السائل : بل أسلم عليه ، وأكلمه بأدب وحياء .

إذن ! فالأرق والأعلى أن تسلِّم عليه تسليم الحياء ، تقول : السلام عليك يا رسول الله ،

---

(٤) آل عمران : ١٦٩ .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك بلَّغت الرسالة ، وأدَّيت الأمانة ، يا شفيع الأمة ، يا صاحب الحوض المورود ، يا صاحب المقام المحمود .

إذا زرت إنساناً فى بيته ، فهل تتركه ، وتتلمَّس بيدك الأبواب والشبابيك ؟! هل يرضى منك بذلك ؟ هل أتيت له هو أم للشبابيك ؟!

فما الحكم شرعاً إذا وضع واحد يده على شباك المقصورة ؟

الحكم : الجواز ، ليس محرماً ، ولا مكروها .

وقال العلماء : إذا كان ذلك على سبيل المحبة والتبرُّك ، فإنه يجوز .

وقال بعضهم : لا لزوم لذلك ، فالزائر ينبغى له أن يجعل المحبة فى قلبه ، ويشاهد النبىَّ ـ ﷺ ـ بقلبه .

فمشاهدته ـ ﷺ ـ تغنى الزائر عن الكون وما فيه ، وهى أعظم بركة ، وأعظم خير .

فإذا وضعت يدك للتبرُّك فلا شىء عليك ، وإن سلَّمت من غير أن تضع يدك فلا شىء عليك ، فلا لزوم للخلاف الذى يدعو إلى الشقاق :

وجئناك نطوى إليك القفارَ ونرسل إثْرَ القطار القطارَا

عليه الصلاة والسلام .

معنى البركة والتبرُّك

والبركة موجودة ؛ لأنها من الله تعالى ، فوجود الله ملأ الكون بركة قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ من رواية البخارى : « **البَرَكَةُ مِنَ الله** » .

قال الله تعالى :

﴿ وإن مِنْ شَيْءٍ إلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾(٥) .

فهو سبحانه ينزل على نبيه ـ ﷺ ـ بركات (بملايين الطرناطة)(٦) .

فبارك على روحه ، وبارك على جسمه ، وبارك على قبره ، وبارك على كل شىء حوله .

---

(٥) الحجر : ٢١ .

(٦) أى : لا تحصى عددا .

كما أنزل بركات (بالطرناطه) على بيت المقدس الذى قال فيه : ﴿ **الذى باركنا حَوْلَهُ** ﴾[٧] .

فإياك أن تفهم أن المعنى أنه بارك حوله ولم يبارك فيه .

وإنما المعنى : أنزلت على بيت المقدس رحمات وبركات كثيرة ، فامتلأ حتى فاض بالبركات ، فصار المسجد مملوءاً بالبركات ، وفاضت حوله البركات ، وكذلك النبى ـ ﷺ ـ .

كذلك الكعبة أنزل الله ـ تعالى ـ عليها البركات والرحمات ، حتى عمَّت ما حولها ، فالبركة من الله ، والرحمة من الله .

وحيثما وَجَدْتَ محباً لله فاعلم أن فيه البركة إن كان حياً أو ميتاً ، بركات عنده من الله متزاحمة .

فإن أردت أن تضع يدك لتحصل لك بركة ، فلا شيء عليك لماذا ؟ لأن المرجع إلى الله .

ولماذا بارك الله فى الأنبياء والمرسلين حيث قال :

﴿ **وبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلَى إسْحاق** ﴾[٨] . لأن الله يحبهم ، للمحبة .

وأعظم بركة عند النبى ـ سيدنا ومولانا رسول الله ـ ﷺ ـ وعند أهل بيته كما قال الله تعالى : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت** ﴾[٩] .

وعند أصحابه بسببه هو ـ ﷺ ـ ، وعندك أنت ! إذا اتبعت سنته وشريعته ، تنزلت عليك البركات .

وإن لم تزرْ قبره ، وإن لم تضَعْ يدك على المقام . فالبركات من الله ـ تعالى ـ نازلة عليك بسببه ـ ﷺ ـ

فلا يخلو مؤمن من بركات النبى ﷺ ..

هذا كلام مسلَّم به ، لا نزاع فيه ، وأنا أرى المسلمين جميعاً متحدين ، فى أى شيء ؟ فى الإسلام .

---

(٧) الإسراء : ١ .

(٨) الصافات : ١١٣ .

(٩) هود : ٧٣ .

المسلمون أمة واحدة

قال عليه الصلاة والسلام :

« بُنِيَ الإسلامُ على خمْس : شهادةِ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وحجِّ البيتِ وصوْمِ رمضانَ »(١٠) .

ومتى فعل المسلمون هذه الأشياء الخمسة فالكلُّ إخوة قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« الصلاةُ عمادُ الدّين : من أقامهَا فقدْ أقامَ الدِّينَ »(١١) .

فإذا وقفت للصلاة ، وصلى معك أخوك المؤمن ، فهو أخوك فى عماد الدين (مش عماد الدين الشارع اللى هنا) معنى « عماد الدين » : عمود الدين الكبير . فاللهم حبِّب المسلمين بعضهم فى بعض ، وأزل الخلافات التى بينهم واجعلهم متحابين .

لا نريد الاختلاف : جماعة يقولون : نحن شرعيون .

وجماعة يقولون : نحن صوفية .

ونحن لا نستطيع أن نفرق بين الشرعيين والصوفيين .

مثال : هل تستطيع أن تفرق بين الرغيف والفطيرة ؟!

نعم ! من أى شيء صنعا ؟ من القمح ، ولكن الفطيرة معجونة بالماء وعليها شيء من السَّمن والسكر ! أما الرغيف فمعجون بالماء فقط ، والاثنان يستويان فى الأصل !

إذن فالصوفى والشرعى يرجعان إلى أصل واحد ، ولكن الصوفى عليه شيء من السمن والسكر !! فلا خلاف بين المسلمين ، لا بين الشرعيين والصوفيين ولا غيرهم .

أنت يا أخانا : ألكونك تلبس عمَّة بعَذَبة ، تريد أن تفرق بين المسلمين ؟ فهذا أخوك ، وذاك ليس بأخيك ، كل ذلك من أجل « العذبة » ؟! فهل جاء فى أى آية أو حديث أن من شروط الإسلام « العَذَبة » ؟ أو أن من ترك « العذَبة » يكون ناقصاً فى إيمانه وفى إسلامه ؟!

فلماذا تجعل هذه المسألة البسيطة سبباً فى التفرقة والبغض بين المسلمين ؟ أما تعلم أن النبى ـ ﷺ ـ لبس عمامة سوداء ؟ أما تعلم أنه لبس العمامة البيضاء ؟ أما تعلم أنه أرخى عذبتين ؟ أما تعلم أنه أرخى عذبة واحدة ؟ أما تعلم أنه أرخى عذبة من فوق تارة ، أما تعلم أنه لبس العمامة تارة أخرى بغير عذبة ؟ أما تعلم أنه لبس القلنسوة بدون عمامة ؟ .. هذا كله وارد فى كتب السنة .

---

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١١) رواه البيهقى .

فهل نحن إذا رأيناك لابساً عمامة بيضاء بعذبة واحدة نقول لك : إن دينك ناقص ! أو نقول لك : أين العمامة السوداء ؟ أين العذبتان ؟!

ولكننا لا نقول لك ذلك ؛ لأن لبس القلنسوة بدون عمامة ورد ، ومن عمل عذبة واحدة فإن ذلك ورد فى السنة ، ومن عمل عذبتيْن فقد ورد فى السنة أيضا .

ولم يجعل الفقهاء لذلك أهمية فى كتب الفقه على المذاهب الأربعة ، فلم يحكموا على مَنْ ترك العذبة بنقص ثواب صلاته ، أو نقص إيمانه ، أو نقص إسلامه أبداً .

ولم يرد عن النبى ـ ﷺ ـ أنه جمع أصحابه ، وأمرهم باتخاذ العذبة ، أو أنه قال : من ترك العذبة فليس من إخواننا ! لا .

بين الشيخ ـ رضى الله عنه ـ وتلاميذ الشيخ السبكى ـ رضى الله عنه ـ

الشيخ محمود خطاب ـ رحمة الله عليه ـ شيخى وأستاذى وقد تلقيت عنه العلم ، ولمَّا مات حملنا النعش إلى المدفن ، فجاء جماعة ـ أربعة أو خمسة ـ فلاَّحين ، جهلة ، لهم لِحىً طويلة ، لا تغنى عن جهلهم شيئا ! فقالوا للحاضرين : انظروا هل الذين يحملون نعش الشيخ من إخواننا أم لا ؟!! .

فقلتُ لهم : المسلمون جميعاً إخوة ، والشيخ لكم وللمسلمين وللمؤمنين جميعاً ؛ لأنه كان رجلاً مسلماً مؤمناً ، وما قال الشرع : لا يحمل الجنازة إلا من كان ذا عذبة ! فكلامكم هذا بدعة ، وضلالة ، ويدعوا إلى الخلاف ، فسكتوا ولم يرد منهم أحد بكلمة !

هذا شيخ وعالم من علماء الأزهر ، ومذهبه مالكى ، وكان يُدَرِّس فى الأزهر هنا مذهب الإمام مالك ، وهو شيخ للمسلمين ، فكيف لا نحمل نعشه أو لا نشيع جنازته ؟ من أين أتيتم بهذه الكلمة . هذا من إخواننا ، وهذا ليس من إخواننا . كلام فارغ ، يا أحباب مثل هذا الكلام يؤدى إلى البغضاء وإلى العداوة .

رجل يصلى إماماً ، ينظرون إليه ، فإذا رأوه بغير عذبة ! لا يصلون خلفه !!

فأين الدليل من الشرع على أن العذبة لابد منها فى الصلاة ؟ ماعدَّها فقيهٌ واحد من سنن الصلاة ، ولا من مستحباتها فمن أين لك هذا ؟!

إذن : فالمرجع إلى الإسلام ، ﴿ **بنى الإسلام على خمس** ﴾ مادام أخوك المسلم يصلِّى ويزكِّى ويحج ويصوم فهو أخوك .

لاتقل : هذا من إخواننا وذاك ليس من إخواننا ، التفرقة بين المسلمين لأمور بسيطة لا تجوز .

لأنَّهُ قال لك (حرماً) بعد صلاتك ، تقول له : هذه بدعة وضلالة وأنت فى النار !! هذا لا يجوز .

أسئلة والجواب عنها :

س : ما حكم الإمام الذى يصلى عارى الرأس ؟

جـ : الإمام الذى يصلِّى عارى الرأس نقول له : البس طاقية أو عمامة ، لكن كلمة « كفر » أو « أشرك » لا يجوز أن تقال له أبداً نعم ! هو فعل شيئاً مكروهاً ، فعلينا أن ننبه . أما صلاته ، فهى صحيحة ، ولكن عليك أن تنبه إلى تغطية رأسه .

س : ما حكم الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ بعد الأذان ؟

جـ : الذى يصلى على النبى ـ ﷺ ـ بعد الأذان دعه يُصَلِّى ، والذى لا يصلى عليه بعد الأذان ، فدعه وشأنه ! وبذلك لاتختلف ؟ لماذا ؟

لأن الذى يصلى على النبى ـ ﷺ ـ بعد الأذان إنما هو يمتثل للأمر الذى أمره به الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

« **صَلُّواْ عَلَيْهِ** »[١٢] .

والذى يترك الصلاة يقول : الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لم يصلواْ على النبى ـ ﷺ ـ بعد الأذان . وهذا دليله .

ونحن لم ندرك الصحابة ، ولم نسمعهم ، ولكننا سمعنا القرآن العظيم يقول : « **صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** » .

فلم نر سيدنا بلالاً ـ رضى الله عنه ـ ولم نسمع هل هو صلَّى أم لا ، ولكننا سمعنا القرآن ، وعلمنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إذا سمِعتُم المُؤذِّنَ فقُولواْ مثلَ ما يقُولُ ثمَّ صَلُّواْ علىّ ، فإنه من صلَّى علىَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً** .. »[١٣] .

فهذا حديثه ، ولم نَرَ ذاته ـ ﷺ ـ والشرع المتبع هو المأخوذ من الأحاديث النبوية ، فما أدركنا زمنه ، ولا سمعنا منه ـ ﷺ ـ ولكن هذه هى سنته تنطق وتقول : « **ثم صلُّواْ علىّ** » .

فمن امتثل وصلَّى نقول له : بارك الله فيك !

---

(١٢) الأحزاب : ٥٦ .

(١٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

ومَنْ لم يصلِّ وتوقَّف نقول له : لا عليك ، ولا توجد عداء وبغضاء بين المسلمين .

أحد الحاضرين : يا سيدنا الشيخ صالح : اقرأ الفاتحة للشيخ عبد ربه سليمان !

الشيخ : الفاتحة للشيخ عبد ربه سليمان ـ رضى الله عنه ـ ، وقد رايته فى قبة مولانا وسيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، وهو فرح ومغتبط ومسرور ! فهل الدين جاء ليوفق بين الناس أم ليخالف بينهم ؟ لقد جاء الدين ليوفق بين الناس ويجعلهم متحابين متعاطفين ـ فماذا يصنع بعض المسلمين ؟

عندما يرى أحدهم رجلاً يلبس عمامة ، وله لحية يقول لأخيه : انظر خلفه : هل لعمامته عذبة أم لا ؟!!

فإن كانت له عذبة قال : تعال نسلِّم عليه ، هذا من إخواننا .

وإن كانت بغير عذبة قال : هذا ليس من إخواننا ، ويتركانه بغير سلام !

وهذا التصرُّف شاهدته بنفسى .

يا أخى ما دام يلبس عمامة ، وله لحية ، فما ضرورة العذبة ؟ وهل هى شرط لازم ليكون من إخوانك ؟ ومن قال لك هذا الكلام ؟! إن الناس فى الحج يسيرون برءوسهم عارية ، لا عمة ولا عذبة ، فهل نقول : ليسوا من إخواننا ! ماهذا الكلام ؟ هل بنى الإسلام على خَمْس وعَذَبة ؟!!

قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ كذِباً على ليْسَ ككذِبٍ على أحدٍ ، من كذب علَىَّ متعمداً فليتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النارِ »[١٤] .

---

(١٤) متفق عليه .

الدرس الثالث

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ يَمْحُو اللَّهُ مايشَاءُ ويُثبِتُ وعندَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾[1] .

صدق الله العظيم

الله سبحانه وتعالى ـ خلق لوحاً فى السماء السابعة ، يسمى : اللوح المحفوظ . لا يعلم سعته إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ ثم خلق القلم ، فقال للقلم : اكْتُبْ فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب ما كان ، وماهو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم ما كان وماهو كائن إلى يوم القيامة ، كما أمره وعلَّمه ـ سبحانه وتعالى .

فالله ـ تبارك وتعالى ـ خلق القلم ، وعلَّم القلم ، وعلَّم بالقلم .

مثلاً : زيد من الناس يولد فى يوم كذا ، ويفعل فى الدنيا من الخير كذا ، ومن الشر كذا ، ويرزق فى الدنيا من المال كذا ، ومن الذرية كذا ، هذا لا يبدَّل ولا يُغَيَّر فى اللوح المحفوظ إلى منتهى الحياة الدنيا .

أما الذى يُغَيَّر ويبدَّل فما يكتبه الملكان ، ملك اليمين وملك الشمال ، فإذا فعل الإنسان سيئة كتبها ملك الشمال ، فإذا تاب ورجع إلى الله ـ تعالى ـ محاها ملك الشمال من الصحيفة التى على شمال الإنسان ، وأثبتها ملك اليمين فى الصحيفة التى على يمينه :

تاب فلان ورجع إلى ربه ، فمحا عنه الشقاوة ؛ لأن ملك الشمال يكتب : فلان من الأشقياء ؛ لأنه زنى ، وسرق ، وقتل ، فإذا تاب وحسنت توبته محا ذلك عنه ملك الشمال ، وأثبت ملك اليمين : أن فلاناً قد تاب ، ورجع إلى الله ـ تعالى ـ ، ودخل فى زمرة السعداء ، فيمحو الله من صحيفة الشمال ما شاء بسبب التوبة ويكتب فى صحيفة اليمين ما شاء بسبب التوبة والعمل الصالح .

« **يمحو اللهُ ما يشاء** » من صحيفة الملك الذى على الشمال ، « **ويثبت** » ما يشاء من التوبة والأعمال الصالحة فى صحيفة الملك الذى على اليمين .

---

(١) الرعد : ٣٩ .

« **وعنده أُمُّ الكتاب** » اللوح المحفوظ ، لا يبدل ولا يغيَّر ، فإن فعل سيئة فهى مكتوبة قبل أن يفعلها ، وإن فعل حسنة فهى مكتوبة قبل أن يفعلها ، وإن أصابته مصيبة فهى مكتوبة قبل أن تصل إليه ، وإن أصابهُ شيء من الدنيا فهو مكتوب قبل أن يصل إليه ، والحساب يوم القيامة على مافى صحف الملائكة لا على مافى اللوح المحفوظ ، فإن كانت السيئات مثبتة فى اللوح المحفوظ فليس الحساب عليها ، إنما الحساب على ما فى صحف الملائكة التى تقبل المحو والإثبات ، هذا الذى ظهر لى من هذه الآية ، وهناك كلام كثير للعلماء فى تفسيرها ، ولكنه يحتاج إلى عقول عالية الفهم والإدراك لأقوال العلماء الراسخين ، ولكن فسَّرتُ هذا التفسير على قدر عقلى ؛ لأنى من العوام ، وعلى قدر مايفهم العوام .

فالله ـ تبارك وتعالى ـ خلق اللوح المحفوظ ، وكتب فيه كل شيء مما يعمله الإنسان من خير أو شر ، كتابة لا تقبل محواً ولا إثباتاً :

يعنى : إذا صلَّى ، فالصلاة مكتوبة ، وإذا أذنب ، فالذنب مكتوب .

فالمثبت إذا صلَّى كتب صاحب اليمين أن فلاناً قد صلَّى ، وإذا أذنب كتب صاحب الشمال أن فلاناً قد أذنب ، وإذا تاب محَا صاحب الشمال الذنب الذى كتبه ؛ بسبب التوبة .

عند ذلك يظهر لنا معنى ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ : يمحو الله ما يشاء من اللوح الذى على الشمال ، ويثبت فى اللوح الذى على اليمين ، وأما الذى لا يمحى منه ، ولا يُثْبَت على مافيه فهو اللوح المحفوظ .

فاللوح المحفوظ قد كتب الله فيه أمر الإنسان وأعماله قبل خلقه بما لا يعلمه إلا الله تعالى ، هذا هو معنى الآية .

﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ عنده اللوح المحفوظ لا يمحى منه شيء ولا يغيَّر ، ولا يبدَّل ؛ لأن الله كتب فيه كل شيء ، قبل خلق كل شيء .

وهنا يظهر لنا شيء اسمه القضاء ، وشيء اسمه القدر .

فالقضاء والقدر أمران فى السماء ، مُغَيَّبان عنا ، ويجب علينا أن نؤمن بالقضاء والقدر ، من غير بحث أو سؤال ، كما نؤمن بالعرش واللوح والكرسى ، نؤمن بقضاء الله وقدره ، آمنا بالله .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ له أمر ونهى ، نحن مكلفون بالقيام بهما ، وبالإيمان بهما

وبوجودهما فى الكون ، له أمر ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[٢] فيجب علينا أن نقيم الصلاة حتى نحقق هذ الأمر وله نهى كقوله :

﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾[٣] .

فيجب علينا أن نبتعد عن الزنا ، حتى يتحقق فينا الاجتناب لهذا النهى . فالأمر والنهى قد أُمِرْنَا بالإيمان بهما ، وبتحققهما فينا ، أما القضاء والقدر فقد أُمِرْنَا بالإيمان بهما ، ومن غير تحقق شيء فينا ؛ لأننى لا أستطيع أن أفعل شيئا ثم أقول : هذا قضاء وقدر ؛ لأن من فعل ذلك فقد افترى على الله كذباً ، لأنه أمرٌ مُغَيَّب عنِّى ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ سمَّى نفسه (عالم الغيب) .

وَصِيَّة الشيخ عليش رحمه الله :

وكان الشيخ عليش يقول لى : يا صالح : إن الله تعالى يغار على الغيب غيرة شديدة ، فإياك أن تتهجم على الغيب ؛ لأنه صفة من صفاته ـ تعالى ـ . حتى لو رأى الإنسان شيئا ـ مما استتر عن غيره ـ فإنه ينبغى له أن يتستر ولا يظهر ؛ لأن علم الغيب من صفات الله تعالى ، فلا يجوز للإنسان أن يظهر بمظهر من يتصف بصفة هى لله ـ تعالى ـ وحده .

قال تعالى :

﴿ **ولا يُحيطُونَ بشَيءٍ مِنْ عِلْمِه إلا بمَا شَاء** ﴾[٤] .

فالله ـ تعالى ـ عالم الغيب ، والقضاء والقدر من الغيب كيف ذلك ؟ إن القضاء والقدر أمران مُغيَّبان عنا ، والأمر والنهى حاصلان لدينا ، إذا توضأتُ وصليتُ علمتُ أننى صليت ، وإذا انتهيت عن الحرام علمتُ أننى قد انتهيت عن الحرام ، فهذا شيء موجود ظاهر ، وليس من الغيب .

أما إذا قلت : إننى سأقوم غداً وأصلى الفجر ، وإذا سُئلت عن ذلك قلت : أعلمنى ربى ، فمن أين لك ذلك فهذا تهجم على الغيب ، وكذب ، فمن الممكن ألا يصلى من غده ، وقد يُصَاب بمرض أو يموت .

قال الله ـ تعالى ـ على لسان نبيه ورسوله ـ ﷺ ـ :

---

(٢) البقرة : ١١٠ .

(٣) الإسراء : ٣٢ .

(٤) البقرة : ٢٥٥ .

﴿ وما أدْرِى مايُفْعَلُ بِى ولا بكُم ﴾[٥] .

يعنى : فى كل نفس يتردد ، إذا خرج النَّفَسُ فلا أدرى إذا عاد كيف يكون حالى : ﴿ وَما تَدْرِى نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾[٦] .

أتكسب حياة أم موتاً ، فهذا هو علم الغيب الذى لله وحده ، أما الإنسان فلا يعلم شيئا من ذلك .

والأولياء الصالحون لا يعلمون الغيب ؛ لأن الغيب لله ، ولا يتعبدون لله تطلُّعاً إلى علم الغيب ، وإنما يعبدون الله لأجل أن يَصلوُاْ إلى اللذَّات التى كادت أن تفوق لذات الجنة .

وقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ ما فَرَّطْنَا فى الكِتَابِ من شَىءٍ ﴾[٧] .

فعلوم الدنيا كلها فى القرآن ، وعلوم الآخرة كلها فى القرآن ، ولذَّات الدنيا كلها فى القرآن ، ولذات الآخرة كلها فى القرآن .

لذَّات الروح ولذَّات الجسد

وكما خلق الله ـ سبحانه ـ فى الدنيا مطعومات من اللحوم والفواكه ، خلق أيضاً ما تستلذ به الأرواح ، فقد جمع القرآن العظيم كل شىء ، والعارفون يتطلعون إلى هذا الشىء ويريدونه ، وسبيلهم إلى ذلك العبادة والتقوى والإخلاص لله ـ عز وجل ـ ، فإذا قرءوا وجدوا فيه كل شىء ، فتتلذذ أرواحهم بلذَّات تفوق لذات الجنة .

ولذلك قالوا : المشاهدة عندنا أفضل من جنة عدن ! .

وهى مشاهدة الله ـ عزّ وجلّ ـ التى يمنُّ بها ـ سبحانه ـ على من يشاء من عباده .

تلاوة العارفين

ويقول بعض العارفين ـ وهو شيخنا السيد أحمد بن إدريس ، الملقب بشيخ المشايخ ؛ لأنه شيخ السيد الميرغنى ، وشيخ السيد السنوسى ، وشيخ الشيخ الرشيد ، وشيخ الشيخ الأهدل ؛ فلذلك سُمِّى ولُقِّب بشيخ المشايخ ولولاه ما عرفوا شيئا ؛ لأنه عَرَّفهم وعلَّمهم ،

---

(٥) الأحقاف : ٩ .

(٦) لقمان : ٣٤ .

(٧) الأنعام : ٣٨ .

وقَّربهم إلى الله تبارك وتعالى ـ يقول محدثاً عن القرآن وتلاوته : حتى أتلوه بـ « ولسانه الذى يتكلم به » . وهذه إشارة إلى حديث الصحيحيْن : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **ما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلىّ من أداءِ ما افترضتُ عليه ، ولا يزال عبدى يتقرّبُ إلىَّ بالنوافِلِ حتى أُحِبَّه ، فإذا أحببتُهُ كنت سمْعَه الذى يسمعُ به ، وبَصرَه الذى يُبْصِرُ به ، ولِسَانه الذى يتكلَّمُ به ، ويَده التى يَبطِشُ بها ، ورجْلَه التى يمشى بها** ﴾ . ويريد السيد أحمد بن إدريس أن يقول : وأتلو القرآن بـ « وكنت لسانه » . أى : إذا كان الحق لساناً لى ، أتلو القرآن بهذه الحالة ، فهذه هى الحالة التى يفاض فيها على الروح من فيض القرآن . ﴿ **ما فرّطْنا فى الكتابِ من شىءٍ** ﴾ وما معنى ﴿ **كنت سمعَه** ﴾ ؟

يعنى : كنت حافظاً له ، لسمعه فلا يسمع ما يغضبنى ، وكنت حافظاً للسانه فلا يتكلم بما يغضبنى ، فإذا حفظ اللسان مما يغضب الله ، وحفظ القلب إذا قرأ القرآن ، تفجرت ينابيع الحكمة أمامه .

وأما إذا كان لسانه يغضب الله تعالى ، وجرت عليه أنهار الخطايا والقاذورات فإنه عند قراءة القرآن لا يشعر القلب بلذّات القرآن ، ولا تشعر الروح بأنوار القرآن ؛ لوجود ما يمنعها منه ؛ لأنَّ القرآن طهر ، وأنوار وحكم ، ولا يتأتى ذلك مع أفعال الشيطان ، ولهذا أمرنا بالتعوذ منه عند بدء القراءة .

﴿ **فإذا قرأتَ القُرآنَ فاستَعِذْ باللّهِ من الشَّيطانِ الرّجِيم** ﴾[٨] . لأن الشيطان رجس ، وأقواله وأفعاله ووساوسه رجس ، فلا ينبغى أن يجتمع الرجس مع النور والطهارة .

﴿ **إنهُ لقُرآنٌ كَرِيمٌ فى كتابٍ مَكْنُونٍ لا يمَسُّهُ إلا المُطَهَّرُونَ** ﴾[٩] .

فى كتاب محفوظ من التبديل والتغيير ، كما قال تعالى : ﴿ **فى لَوحٍ محفُوظٍ** ﴾[١٠] .

وقد سرى الحفظ الذى فى اللوح المحفوظ إلى المصاحف التى تكتب فى الأرض ، فحفظ الله اللوح المحفوظ من التبديل والتغيير إلى منتهى الزمان ، وفيه القرآن العظيم ، وحفظ الله المصاحف التى فى الأرض من التبديل والتغيير إلى منتهى الزمان ، وحفظ الله القلوب التى وعت القرآن وحفظته إلى يوم القيامة .

---

(٨) النحل : ٩٨ .

(٩) الواقعة : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

(١٠) البروج : ٢٢ .

قال تعالى : ﴿ **إنا نحنُ نزَّلْنا الذِّكْرَ** ﴾ من لوح محفوظ من التبديل والتغيير ﴿ **وإنا له لحافظُونَ** ﴾[11] . حافظون له فى الدنيا ، كما حفظناه فى اللوح المحفوظ ، إذا كان فى مصحف ، أو كان فى قلبِ حافظٍ ، فهو محفوظ بالله إلى منتهى الزمان .

وسرّى هذا الحفظ إلى حَفَظَةِ القرآن ، إلى أجسامهم ، إلى عقولهم ، ببركة هذا القرآن الذى حفظه الله ، وسرى هذا الحفظ إلى الأمة الإسلامية ، إلى كل مَنْ آمن بالله وحده ، وبالنبى ـ ﷺ ـ أنه رسول الله : ﴿ **وما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم** ﴾[12] .

حفظ الله الإيمان فى قلوب المؤمنين إكراماً لهذا القرآن المحفوظ : ﴿ **لاَ يأتِيه الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خلْفِهِ** ﴾[13] .

فلا يستطيع أحد أن يغيره أمام الناس ، ولا أن يغيره فى الخفاء ، فهو محفوظ من الباطل أى : من التبديل والتغيير ، فى الجهر وفى السرّ ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم السرّ ويعلم الجهر .

مسألة دقيقة للشيخ الأكبر

وحَفِظَ المؤمنين من أجل هذا القرآن فى مشارق الأرض ومغاربها ، على إختلاف ألسنتهم وألوانهم ، وتباعد بلادهم ، فلا يستطيع قسيس أن يُنَصِّر مسلماً ولا يستطيع يهودىّ أن يُهَوِّد مسلماً ؛ لأن الله تعالى ـ تولّى حفظ الإيمان فى قلوبهم ، وإذا تولى الله ـ تعالى ـ حفظ شىء فلن يستطيع أحد أن يضيعه . فكما حفظ القرآن ، حفظ الإيمان ، وحفظ المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فلا تستطيع دولة كافرة أن تسيطر على أمة مسلمة ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ولَن يَجْعلَ اللهُ للكافرينَ على المُؤْمنينَ سَبِيلاً** ﴾[14] .

ولمَّا سُئِل الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى ـ رضى الله عنه ـ إننا نرى بعض الكفار قد استولى على بلاد المسلمين ، وإن الله تعالى يقول : ﴿ **ولن يجْعَلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سَبيلاً** ﴾ .

قال : نعم ، إن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، إذا كانوا مؤمنين حقاً ، أما إذا غيَّروا وبدلوا فقد فتحوا الباب بأيديهم ، وجعلوا للكافرين عليهم سبيلا بأيديهم .

هذا كلام الشيخ الأكبر ـ رضى الله عنه ـ .

---

(١١) الحجر : ٩ .

(١٢) البقرة : ١٤٣ .

(١٣) فصلت : ٤٢ .

(١٤) النساء : ١٤١ .

﴿ وَكَانَ حَقاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١٥] . أى : العاملين ، فهم فى سور حصين هو الإيمان والعمل بهذا الشرع ، فإذا تركوا العمل بالشرع فقد فتحوا أبواباً يدخل بها الكافر عليهم ، فما جَعَل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، ولكن بترك العمل بالدين جعلوا للكافرين سبيلاً عليهم .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾[١٦] .

هؤلاء هم : الشيوعيون واليهود والنصارى ، يحدثهم الشيطان ويعدهم أن لهم قوة ومنعة ، وأنهم يستطيعون أن يبدلوا هذا الدين ، وأن يطفئوا سراجه المنير ! وقد تولى الله ـ سبحانه ـ الردّ عليهم رداً يبقى إلى يوم القيامة . ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾ فالذى سيردُّهم ليس مدفعاً ضارباً ولا قنبلة ، ولا جيشاً عرمرماً ، وإنما الذى وقف أمامهم لردهم هو : إباء الله .

﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ ﴾ يمنع ما أرادوا ، ويحقق ما أراده هو . ماذا أراد ؟ أراد أن يظهر الدين الإسلامى على الدين كله ، وأرادوا هم : إطفاء نور الإسلام .

ولمّا أبَى الله ـ سبحانه ـ ظهر من هذا الإباء أنه ردَّهم عن المسلمين بغيظهم ؛ لأنهم لم يحققوا ما أرادوه ، فإذا أرادت النصارى زوال الإسلام فلابد أن يردهم الله فى غيظ ، ولابد أن يخلق الله لهم من يكيد لهم كيداً لا يستطيعون ردَّه ولابد لهم من الغيظ الذى يملأ قلوبهم ، ويقال لهم : صدق الله ـ تعالى ـ حيث يقول : ﴿ وردّ اللهُ الذينَ كفروا بغيظِهِمْ لم يَنالُوا خيراً وكَفَى اللهُ المؤمنينَ القِتَالَ ﴾[١٧] .

فالله ـ سبحانه ـ يقول : هذه الدسائس ، وهذه المكائد ، وهذه المصائب التى بيَّتها أعداء الإسلام للإسلام ، لقد توليتُ الرد عليهم ، وأنا توليتُ أمر قتالهم ، وأرحتُ المؤمنين من القتال ، بقدرة الله وإرادته ردَّهم ، قال تعالى : ﴿ ويَخلُقُ مالا تعلَمُونَ ﴾[١٨] . خلق هتلر ليحطم روسيا ، وخلق الإنجليز ليضربوا الطَّليان ويضربوا هتلر .

قال تعالى : ﴿ ولاَ يَزالُ الذين كفروا تُصِيبُهُم بما صَنَعُوا قَارِعَةٌ أو تَحُلُّ قريباً من دارِهِمْ حتى يأْتِىَ وعدُ اللَّهِ ﴾[١٩] .

---

(١٥) الروم : ٤٧ .

(١٦) التوبة : ٣٢ .

(١٧) الأحزاب : ٢٥ .

(١٨) النحل : ٨ .

(١٩) الرعد : ٣٢ .

القارعة : هى صوت المدافع ، والتى تحلُّ قريباً من دارهم هى القنبلة ؛ لأن السيف لا يحلُّ قريباً من الدار ، وإنما يقطع العنق ، وهذا من معجزات القرآن يعنى : سأخلق لهم قنابل تحلُّ (تسقط) قريباً من دارهم ولا تزال أمريكا تضرب ، ويضربها غيرها[٢٠] ، ونحن خرجنا سالمين ، والحمد لله .

وبعض الناس يهتم ويخاف ويقول : إن النصارى يريدون كذا وكذا ، وإن اليهود يريدون كذا وكذا ، فهو لم يلتفت إلى معانى القرآن .

ونحن ننتظر ما قاله الله ـ تعالى ـ ﴿ **لِيُظْهِرَه على الدِّين كُلِّه** ﴾[٢١] وقد ظهر . ﴿ **ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نُورَه** ﴾ ، وقد تمَّ ، فلا نخاف من عدوٍّ أبداً ، بعد أن أخبرنا الله ـ تعالى ـ بأنه هو الناصر ، وهُوَ المجاهد والمقاتل ، وهو الذى يرد الكفار عنَّا .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لكُم ينصُرُكُم من دُونِ الرَّحمَن** ﴾[٢٢] .

يا مسلمين ! أين جنودكم التى تنصركم وتردّ كيد الأعداء عنكم ؟ هل عندكم جنود تستطيع أن تقاوم أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا ؟

لا يارب . فالله سبحانه وتعالى هو الذى عنده جند تقاوم هذه الدول ولذلك حفظ المسلمين ، وحولهم الأعداء عن اليمين وعن الشمال ، وأعلى قدرهم ، وجعل لهم دولاً ، وجعل لهم جيوشاً ، وجعل لهم رؤساء ، وأعطاهم سلاحاً ، وأعلى كلمتهم بين هذا العالم الذى هو كالرمل عدداً .

فلو لم يكن ـ سبحانه وتعالى ـ جنداً لنا ، ناصراً لنا لما انتصرنا ولما ظهرنا ، كيف خرجت بريطانيا من مصر ومن السودان وقد رأيناهم كالجراد المنتشر ؟ وكيف خرجت إيطاليا من ليبيا ؟ وكيف خرجت فرنسا من تونس ومن الجزائر ومن المغرب ؟

ما حدث ذلك إلا لأن الله ـ تعالى ـ يعلم عباده أنه : قد استولى الأعداء عليكم فنصرتكم عليهم بعد أن ملأوا بلادكم ، فكيف لا أنصركم عليهم وهم فى معزل عنكم ؟ فالله ـ تعالى ـ بقدرته أخرجهم ، وأعطى المسلمين الكلمة والسيطرة فى بلادهم ، ونصرهم نصراً عزيزاً .

فإذا كان الله قد نصرنا والأجانب يحتلون بلادنا ، فكيف لا ينصرنا ونحن الآن فى حرية واستقلال تامين .

---

(٢٠) كان ذلك فى الحرب العالمية الثانية .

(٢١) التوبة آية ٣٣ والصف آية ٩ .

(٢٢) الملك : ٢٠ .

فاللهم لك الحمد ، هذا الفضل منك لا من سلاحنا ولا من جيشنا ، ولا من قوتنا فإذا قال السودان : قد أخرجت بريطانيا بقوتى وسلاحى وعددى فقد كذب ، وإذا قالت مصر : أخرجت بريطانيا بقوتى وسلاحى وعددى فقد كذبت ، وإذا قالت تونس : أخرجت فرنسا بقوتى وسلاحى وعددى فقد كذبت ! لأن الفرق شاسع فى القوة ، وفى العدد ، فمن الذى أخرجهم ؟ هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى أخرجكم من بطون أمهاتكم هو الذى أخرج الأعداء من بلادكم ، وقال تعالى :

﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الذينَ كفَرُواْ بغيظِهِمْ** ﴾[٢٣] . من أين ؟ من بلاد المسلمين ، رجعواْ إلى بلادهم بلا سيف وبلا حرب ، ردهم ولم ينالواْ خيراً ، أرادواْ تكفير المسلمين ، وأرادواْ أن يُنَصِّرُواْ المسلمين ، وأن يهوِّدوهم فما نصَّرواْ واحداً ، ولا هوَّدُواْ واحداً .

وقد جاءت روسيا بعد ذلك ، واستولت على السودان بآرائها وأفكارها ، وجعلت لها أحزابا فيه ، دخلواْ بحجة أنهم يصلحون ، كالذين قال الله عنهم : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لهُم لا تُفْسِدُواْ فى الأَرضِ قَالُواْ إنما نَحْنُ مُصْلِحُون** ﴾[٢٤] . فهؤلاء هم الرُّوس ، أفسدواْ العالم بعقائدهم الفاسدة ، وبأقوالهم وأحكامهم الخاطئة ، فأظلمُ الناس الشيوعيون ، وأكفرُ الناس الشيوعيون ، وأجهلُ الناس الشيوعيون ؛ لأنهم كفرواْ بالله وكتبه ورسله .

أما النصارى فإنهم يؤمنون بالله وبسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ ، وأما اليهود فيؤمنون بالله وبسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ، وأما الروس فلا !لا يؤمنون بالله ، ولا بالكتب ، ولا بالرسل .

بعد أن خرجت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا جاءت روسيا لتلعب بدورها ، فوجدت رب الإسلام والمسلمين قهاراً ، قهرها ، قوياً أخرجها من مصر فى بضعة أيام ، وكانواْ قد ملأواْ مصر بجنودهم وطائراتهم ودباباتهم ، وظنُّواْ أنهم لا يخرجون ، وقد تسلطواْ على جيش مصر بحجة أنهم يُعلِّمون ويرشدون ، فأخرجهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ واحداً واحداً ، وصارت مصر طاهرة من الروس ، كما يطهر الثوب للصلاة ، وقد طهر السودان من الروس الشيوعيين وعاداتهم أيضاً ، واتحدوا مع مصر فى هذه الطهارة .

وقد تجلَّى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على مصر والسودان ، ونظر إليهما نظرة الرضوان والرحمة ، فظهر النور المحمدى ، ورجع الشباب إلى الدين ، وصاروا يتفكرون فى القرآن ،

---

(٢٣) الأحزاب ٢٥

(٢٤) البقرة ١١

ويندمون على ما كان منهم ؛ لأن الحق يعلو ولا يعلو عليه شيء ، ولأن النور لا يصبح ظلاماً ، ومن لم يميز بين النور والظلام فذلك معدود من الأنعام !

الإسلام دين التبصرة والحكمة

وقد رزق الله المسلمين الفطنة والذكاء بسبب هذا القرآن العظيم ؛ لأنه مملوء بالحِكَم ومملوء فطْنة وحِكْمة ، فهذا الدين دين التبصرة والحكمة ، وأما باقي الأديان فإنها تخلو من ذلك ؛ لأنها حُرِّفت وبُدِّلت ، وإذا حرِّفت وبدِّلت فقد تبدَّل نورها ، ولهذا قال الله – تعالى – :

﴿ **ومَن يَبْتَغِ غَيرَ الإسْلامِ دِيناً فلن يُقْبل مِنهُ وهو فى الآخِرَةِ من الخَاسِرِين** ﴾[٢٥] .

فلا دين على وجه الأرض يقبل بعد مجيء هذا الدين ، ولا حكم لنبي أو رسول مع حُكْم هذا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فقد نسخ بمجيئه جميع الأحكام والأديان ، فجميع الشرائع السابقة صارت منسوخة ملغاة ، فلا يعمل بها بعد ظهور النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – كما قال البوصيري رحمه الله تعالى :

فإنـــه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

فالبوصيري – رحمه الله – يقول : إن الأنبياء السابقين كالكواكب – أي : النجوم وأنت يارسول الله كالشمس ، وهل بعد ظهور الشمس بقاءٌ للنجوم ؟ فإذا سمعت من النصارى فإنما تسمع تخريفاً ، الله تعالى بريءٌ منه .

وإذا سمعت من اليهود فإنما تسمع تخريفاً ، الله تعالى بريٌ منه . أما إذا سمعت القرآن فإنك تسمع من النور والعلم ما يجعل قلبك يشهد أن هذا من عند الله ، وليس من عند الخَلْق ؛ لأن الروح تعلم وتفهم ؛ لأنها نورانية ، وتستطيع أن تميز بين الحق والباطل .

﴿ **يا أيُّها الذين آمَنُواْ إن تَتَّقُواْ اللّهَ يجْعَل لَّكم فُرْقَاناً** ﴾[٢٦] فكل مؤمن معه فرقان أي : ذكاء يفرق به بين الحق والباطل ، وبين العلم والجهل ، وكلما اتقى الله تعالى زاد فرقانه ، وكلما تقرب إلى الله زاد بنيانه . فالمؤمن ذو بنيان حصين ؛ لأن الله – تعالى – خلقه فى أحسن تقويم فى الظاهر وخلقه فى أحسن تقويم فى الباطن ، فظاهره أحسن ، وباطنه أحسن ، فإذا سمع أحسن القول واتَّبعه كان أحسن الخليقة ، كان أحسن من يمشي على الأرض ، ومن عجب أنهم

---

(٢٥) آل عمران : ٨٥ .

(٢٦) الأنفال : ٢٩ .

يمشون على الأرض وتسبح أرواحهم ، وتطير مع الملائكة . يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الذينَ آمنُواْ منكُم والذينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجاتٍ** ﴾[٢٧] .

وقال النبى ـ ﷺ ـ : « **من يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقهْهُ فى الدين ويُلْهِمْه رُشْدَه** »[٢٨] ، فمن تفقه فى الدين فقد ظهر له جناح ، فإذا عمل بفقهه ظهر له جناح آخر ، فيسبح بالجناحين فى سماء العلو ، كما تسبح الملائكة الكرام : ﴿ **يرفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمنُواْ مِنكُمْ والَّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجاتٍ** ﴾ وهل يطير الطير بغير أجنحة ؟ وهل يطير الطير بجناح واحد ؟ .

أسِرْبَ القطا هل من يُعيرُ جَناحَه ... لَعَلّى إلى من قد هَوَيْتُ أطيرُ

وأىّ قَطَاةٍ لم تعرْك جناحَهَا ... تعيشُ بِذُلٍّ والجناحُ كَسِيرُ

فلابد من الجناحين : العلم ، والعمل وبهما تصير ملكاً من الملائكة الكرام .

فضيلة العلم والعلماء

﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أنهُ لا إلهَ إلا هُوَ والمَلائِكَةُ وأُولُواْ العِلْمِ** ﴾[٢٩] . جاء ـ سبحانه وتعالى ـ أولاً بنفسه ، ثم جاء بملائكته ، ثم جاء بأُولى العلم من خلقه ، وليس العلم أن تكون حاصلا على العالمية ، وإنما العلم أن تعلم وأن تعرف ربك ، وأن تتعلم الصفات الربَّانية ، وأن تعلم ما أوجبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليك ، وأن تعلم ما نهاك الله ـ سبحانه وتعالى ـ عنه .

فإذا كنت عارفاً بربك ، ممتثلاً للواجبات ، منتهياً عن المنهيات فأنت من أهل العلم ، وكنت مع الملائكة الكرام ؛ لأن الله تعالى يقول : الله واحد ، وأشهد بهذا التوحيد أنا ، وملائكتى الكرام يشهدون أيضاً أننى واحد ، وأمة هذا النبى ـ ﷺ ـ يشهدون أننى واحد ، هذا لمن علم . أما الذى لا يعلم فليس معنا هنا .

فأنت بالتقوى صرت مَلكاً بعد أن كنت إنساناً ، وصرت نورانياً بعد أن كنت تراباً ، وصرت رحمانياً بعد أن كنت شهوانياً .

وقد جعل الله ـ تعالى ـ المَلَك آمناً ، فلا يخاف أبداً إلا من الله ـ تعالى ـ ، ﴿ **يَخافُونَ رَبَّهُم مِن فَوقِهِمْ ويفعلُونَ ما يُؤْمَرُونَ** ﴾[٣٠] . وجعل الله المؤمن آمناً لا يخاف من شىء إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً** ﴾[٣١] .

---

(٢٧) المجادلة : ١١ .

(٢٨) رواه أبو نعيم فى الحلية .

(٢٩) آل عمران : ١٨ .

(٣٠) النحل : ٥٠ .

(٣١) النور : ٥٥ .

وكما قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[٣٢] .

فأنت قد أشبهت الملَك فى أنك لا تخاف إلا من الله ـ تعالى ـ ، وأشبهت الملائكة فى الأمن ؛ لأنهم فى أمْن دائماً ، من جميع خلق الله ، لعلمهم أنهم لا يتسلط عليهم أحدٌ أبداً ، لا من الإنس ولا من الجنّ ولا من الشياطين ولهذا كانت الملائكة آمنين .

وكذلك المؤمن إذا امتلأ قلبه إيماناً بالله ، وعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له انتقل من مقام الخوف من غير الله ، إلى مقام الأمْن بالله ، ودخل فى طائفة الملائكة الكرام ، فهو مؤمن آمِنٌ بإيمانه مما سوى الله ـ تعالى ـ وكان سبباً فى مجىء الملائكة الكرام .

فإذا أقرأ العلم جاءت الملائكة تزدحم حول حلقته ؛ لأنهم يطربون لسماع العلم كما يطرب أحدكم لسماع الموسيقى ! وربما حضرت الأرواح المؤمنة السابقة لأن أرواح الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين مطلقة ، لها مطلق التصرف فى الانتقال من مكان إلى مكان ، بما لا يستطيع العقل أن يتصوره كما أن العقل لا يستطيع أن يتصور قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[٣٣] .

فإذا كان هذا الرجل ـ وهو آصف بن برخيا ـ من الأولياء ، وليس نبياً ولا مرسلاً قد استطاع أن يأتى بالعرش ـ عرش بلقيس ـ وفيه ثمانون غرفة فى طرفة عين ، فكيف بالنبى ـ ﷺ ـ إذا أراد أن يأتى إلى هنا ، وكيف بالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ والأولياء والصالحين ، وأهل بيت النبوة ـ رضى الله عنهم ـ إذا أحبُّواْ أن يكونوا معنا فى أقل من طرفة عين مما لا يتصوره المتصورون .

قال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ ﴾[٣٤] . حلف الله ـ تعالى ـ بما نراه ومالا نراه ، والذى لا نراه أعجب ، ولذلك ستره عنا ، ولو كشف لنا الحجاب ورأينا مالم نكن نراه لتعطلت أحوال الدنيا وما فيها ، ولكن الله ـ تعالى ـ رحمة منه بنا سترعنا أشياء لو رأتها أعيننا لضلت عقولنا ، فالستر من فضل الله علينا ، فالكون ملىء بالملائكة الكرام .

﴿ فَاطِرِ السَّمَـٰوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[٣٥] .

---

(٣٢) قريش : ٤ .
(٣٣) النمل : ٤٠
(٣٤) الحاقة : ٣٨ ، ٣٩ .
(٣٥) فاطر : ١ .

فالكون مملوء بهم ، على اختلاف هيئاتهم وأجنحتهم وأنواعهم ، فلو كشف لك الحجاب لضاع منك عقلك !

من أسرار الكون

والكون مملوء بأرواح النبيين والمرسلين والصالحين ، فلو كشف عنك الحجاب ورأيت ذلك لذهب عقلك ، والكون مملوء بالأنوار والأسرار ، فهذا الكلام الطيب يخرج من فم المتكلم نوراً ، ويصعد إلى السماء .

فإذا قلت : سبحان الله : خرج منك نورٌ يصعد إلى السماء ، ولو رأيت ذلك كيف يكون حالك ؟!

وكذلك العصاة والمذنبون عليهم ظلمة فى الدنيا .....

فسبحان من حجب عنا أشياء كثيرة لأجل أن يختبرنا ، فلو رأيت الطاعة وأنوارها وأعطارها ما تركت الطاعة يوماً ، ولكنه ـ سبحانه ـ حجب عنك ذلك اختباراً وامتحاناً : ﴿ **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ** ﴾[٣٦] . ولو رأيت أنوار الصلاة ، لو شممت أعطار الصلاة ، لو رأيت الملائكة التى تحيط بك ما تركت الصلاة أبداً ، ولكن ستر ذلك عنك ؛ ليكون اختباراً وامتحاناً﴿ **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ** ﴾[٣٧] .

وإن كان الله ـ تعالى ـ قد تكرم على بعض الصالحين بأشياء يستحقونها ، كما قال ابن الفارض ـ رحمه الله ـ :

ولاح سرٌ خفـــــــىٌ يدريـــــه من كان مثلى

وليس المعنى : يدريه كل أحد ، ولكن : يدريه من كان مثلى ، فإن كنت مثل ابن الفارض ، فيمكنك أن تنظر إلى تلك الأنوار اللائحة ، والأسرار المُفَاضة على القلوب .

مع ابن الفارض فى إشاراته

أنتم فروضى ونـــــفلى أنتم حديثـــــى وشغلى

لا يشغلنى الفرض عنك يارب ، ولا تشغلنى النوافل عنك يارب ، ولكن قلبى مشغول بك ، فأنا لا أريد ثوابا من عملى ، وإنما أريد وجهك أنت يارب !

يا قِبْلَتِـــى فى صَلاَتِى إذا وَقَـــفْتُ أُصَلِّـــى

---

(٣٦) المائدة : ٩٤ .

(٣٧) المائدة : ٩٤ .

﴿ فأينَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[٣٨] .

فإذا استقبل الناس القبلة ، فأنا أستقبل وجهك أنت وحدك سبحانك قبل أن أستقبل الكعبة ، وإنما أشاهدك أنت قبل أن أشاهد الكعبة ، فأنت أقرب إلىّ من حَبْل الوريد ، فكيف أنساك وأُشاهد الكعبة التى بينى وبينها آلاف الأمتار !

يا قِبْلَتِى فى صَلاتِى ... إذا وَقَفْتُ أُصَلِّى
آنَسْتُ فِي الحَىِّ ناراً ... لَيْلاً فبشَّرتُ أَهْلِى
قلتُ امكُثُواْ فلَعَلِّى ... أَجِدْ هَوَاىَ لعلِّى
نُوديتُ منها كِفَاحاً ... ردُّواْ ليالَىَ وَصْلِى

لما كشف عنى الحجاب ، وسمعت القرآن منى بجميع جسمى ، كما كان موسى ـ عليه السلام ـ يسمع كلام الله بجميع جسمه ، وظهرت لى أنوار القرآن ، فلما دنوت منها سمعت القرآن من لسانى بجميع جسدى ، وهذا يسمى سماع الروح .

وصِرْتُ مُوسَى زَمانِى

أى : صرت كموسى ـ عليه السلام ـ حينما سمع كلام الله ـ تعالى ـ بجميع جسده أى : بروحه وكان لا يسمع بالسمع فقط ، ولمَّا أخذته صولة الخطاب ، وأحاطت به ـ كما قال شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ :

« ولما أخذته وأحاطت به صولة الخطاب قال : يارب أهكذا كلامك ؟ قال له : ياموسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ، ولى قوة الألسن كلها وأقوى من ذلك ، ولو كلمتك بكنه كلامى لم تك شيئا » .

وصرت موسى زمانى ... مُذْ صارَ بَعْضِىَ كُلِّى

إن التى تسمع هى الأذن ـ وهى بعضى ـ فلما صار جسدى كله سَمْعاً صار بعضى كُلِّى أى : صار جسدى كله سمعاً ، فصرت أسمع القرآن بلسانى ، وتسمعه منى روحى :

ولاح سِرٌّ خَفِىٌّ ... يَدْرِيه مَنْ كان مِثْلِى
صارَتْ جِبالى دَكّاً ... مِنْ هَيْبَةِ المُتَجَلِّى

فلمَّا تجلى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ على روحى وقلبى ، صارت جوارحى ـ من يَدَيْن ورجلَيْن ـ دكّاً أى : خشعت لله ، فصارت جوارحى خاشعة لله ـ تعالى ـ فلا أنظر إلى ما

---

(٣٨) البقرة : ١١٥ .

حرَّم ، ولا أسمع ما حرَّم ، ولا أتكلم بما حرَّم . بل سمعت مالم ـ يا روحى ـ تسمعى ، ونظرت إلى مالم تنظرى ، وعرفت مالم تعرفى فصرت أسمع عن الله ـ تعالى ـ كما قال سيدى عبد الكريم الجيلى ـ رضى الله عنه :

إذا غردت وُرْقٌ على غُصْنِ بانةٍ وجَاوَبَ قُمْرِىٌّ على الأيْكِ سَاجِعُ
فأُذْنِىَ لَمْ تَسْمَعْ سِوَى نَغْمَةِ الْهَوَى وإنِّى مِنْكُمْ لا مِنَ الطَّيْرِ سَامِعُ

فتغريد الطير يخبرنى عمَّن خلقه ، ويخبرنى عمَّن خلق صوته ، فإنى منكم لا من الطير سامع :

فيا عجبا كيف يُعْصَى الإلَهُ أم كيف يَجحدُه الجاحدُ
وفى كل شىء له آيةٌ تدلُّ على أنهُ الواحدُ
وللهِ فى كل تحريكةٍ وتسكينةٍ أبدا شاهدُ

فهؤلاء الذين ترقَّت أرواحهم ، وصفت قلوبهم ، فصاروا ينظرون مالا نبصر ، ويسمعون مالا نسمع ، فسبحان الله !

ولقد جَعَلْتُكَ فى الفؤادِ مُحدِّثى وأبَحْتُ جِسْمِىَ مَنْ أراد جُلُوسى
فالجِسْمُ مِنِّى للجَلِيسِ مُؤانِسٌ وحبيبُ قلْبِى فى الفُؤادِ أنِيسى

الدرس الرابع

فى تفسير قوله تعالى ﴿ **وَخُلِقَ الإنسَانُ ضَعِيفاً** ﴾[1] .

إذا كنت ضعيف العزيمة ، فإن الشيطان يغلبك ـ مع أن كيده ضعيف ﴿ **إن كَيْدَ الشيطَانِ كان ضعِيفاً** ﴾[2] لكنك إذا ركنت إلى الايمان فأنت قوى . ﴿ **قالتْ إحداهُما يا أبتِ استأجِرْهُ إن خيرَ من استأجَرْتَ القويُّ الأمينُ** ﴾[3] .

لما كان أمينا على النساء ، وصفه الله بأنه أمين ، ولمَّا كان قوىّ الايمان وصفه الله بأنه قوى ، قوى الإيمان ، وقوىّ الجسد ؛ لأن قوة الجَسَدِ لا تُمْدَح إلا إذا كانت تستعمل فى طاعة الله . وماذا عمل موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ **فسَقَى لَهُمَا** ﴾ سقى الغنم لبنتى سيدنا شعيب ـ عليه السلام ـ ﴿ **ثمّ تولَّى إلى الظلِّ فقال ربِّ إنِّي لِمَا أنزلْتَ إلَيَّ من خيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[4] . فوصفه الله ـ تعالى ـ بالقوة ، والأمانة ؛ لأنه استعمل قوته فى الطاعة ، لأنه أغاث ملهوفاً ، وسقى لملهوف .. بنتان ضعيفتان سقى لهما ، وكان أميناً عفيفاً معهما ، فكان الجزاء والثواب : ﴿ **إنَّ خيرَ مَنِ استَأْجَرْتَ القويُّ الأمينُ** ﴾ ولأن إبليس اللعين كثيراً ما يضحك من الإنسان ، قال الله تعالى ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ .

قال العلماء فى تفسيرها : أى ضعيف أمام الشهوة والهوى ، قد يكون قوى الجسد ، ولكن إذا دعته الشهوة والهوى كان ضعيفاً ، فالقوى من أطاع الله ـ تعالى ـ والضعيف من عصى الله ـ تعالى ـ .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتِلوا الذينَ يَلُونكُم من الكفَّارِ ولْيَجِدُوا فيكُم غِلْظَةً** ﴾[5]

---

(١) النساء : ٢٨ .

(٢) النساء : ٧٦ .

(٣) القصص : ٢٦ .

(٤) القصص : ٢٤ .

(٥) التوبة : ١٢٣ .

أى : قوة ، فإن قوة الجسد تتبع قوة الإيمان ، فكن قوىَّ الإيمان ، وكن شجاعاً ، قادراً على محاربة أعدائك : إبليس ، والنفس ، والهوى وأهل الأهواء ، كن قويا ، واستعن بالله وجاهد ، ولا يتم الجهاد إلا بقوة العقيدة .

صاح شمّرْ ولاتزلْ ذاكِرَ المو تِ فنسْيانُـــهُ ضلالٌ مبيـــنْ

يعنى : اجتهد ، وتذكَّرْ الله دائماً ، تذكر أنه حى ، وموجود ، ويراك .. هذه واحدة ، وتذكر أنك ستموت ، هذه أخرى ، وهما قوتان تستعين بهما على النصر على أعدائك .

حكم النظر إلى الأجنبيات :

النبى ـ ﷺ ـ يقول : « النظرة سهْمٌ من سِهَامِ إبليسَ من تركَها مَخافةَ اللهِ ، أعطاهُ اللهُ إيماناً يَجِدُ حلاوتهُ فى قَلْبِه »[٦] .

رجل مشى فى الشارع فرأى امرأة جميلة ، فغض طرفه لله ـ حياء منه ـ ففى الحال يرسل الله ـ تعالى ـ له شيئاً يسر قلبه ـ وصدق النبى ـ ﷺ ـ عندما قال « **المجاهدُ من جَاهَدَ نفسَهُ وهواهُ لِلَّهِ** »[٧] .

أنواع الهجرة :

والهجرة البدنية كانت من مكة إلى المدينة ، وبعد فتح مكة انتهت الهجرة الجسدية وبقيت الهجرة القلبية ، فقال النبى ـ ﷺ ـ « **والمُهاجِرُ من هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** »[٨] .

فيكتب عند الله مهاجراً : من هجر ـ أى ترك ـ ما نهى الله عنه ، وفرّ منه بنفسه ، والإنسان عليه دائماً أن يبتعد عن مواطن الشبهات ، ومزالق الخطيئة ، فإذا دخلت بيت جارتى وسلمت عليها ـ وهى أجنبية ـ فوجدت نفسى تحدثنى بالسوء ، وغلبنى نظرى إليها ، عند ذلك ابتعد ، وأفر بنفسى ، ولا أعود لمثلها أبداً .

قال ـ عليه الصلاة والسلام :ـ « **لا يلْدغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتيْن** »[٩] .

فكلما سلمت على امرأة أجنبية ، ولمست يديها ، فمالت إليها نفسك كتبت عليك خطيئة

---

(٦) رواه الحاكم وصححه .

(٧) الترمذى وابن حبان .

(٨) البخارى ومسلم .

(٩) الشيخان وأحمد وأبو داود وابن ماجه .

لأن الشرع قد نهاك عن ذلك ، فإن النبى ـ ﷺ ـ « **لم تمسَّ يدُهُ يَد امرأةٍ أجنَبِيَّة قط** »[١٠] .

لكن الناس فى هذا الزمان لا يكفون عن مصافحة النساء ، مع أن ذلك منهىّ عنه ، ولم يكن من شيمة الأوائل ، الذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام : « **خيرُ القرون قرْنى (الصحابة) ثم الذين يَلُونَهُمْ (التابعون) ثم الذين يلُونهم** »[١١] (مابعد التابعين) « **ثم يَجِىءُ أناسٌ كغثاء السَّيْلِ** »[١٢] (الأوساخ التى يحملها السيل) .

فنحن فى آخر الزمان ، زمان غثاء السيل ، أما خير القرون فقد مضوا : الصحابة والتابعون ، وتابعو التابعين ، وما الذى يدلنا على أن أناس آخر الزمان غثاء كغثاء السيل ؟ هو قول النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الصادق المصدَّق .

فمادام الرجل يصافح النساء الأجنبيات عنه فهو من غثاء السيل ، مادام يعاكس الفتيات فهو من غثاء السيل ، ما دام يحادثهم بدون حجاب أو حاجة ، فهو من غثاء السيل ، مادام يذهب إلى السينما ـ وفيها الخلاعة والمجون ـ فهو من غثاء السيل ، مادام يخالط النساء فى العمل ولا يحتشم فى حديثه معهن فهو من غثاء السيل ! فهل تنتظر قيام الساعة ؟ هذه علاماتها قد بدأت تظهر ، فما يحدث اليوم من علاماتها فقد ذكر منها ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **أن تُشارِكَ المرأةُ الرجلَ فى مِهْنَتِه** »[١٣] . وهاهى المرأة قد صارت مديرة ، ومفتشة ، ووزيرة !! قال الله تعالى ـ « **وقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيةِ الأولى** »[١٤] .

رجل مسلم بنته فى المدرسة ، ماذا تتعلم ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تنزِلُوهنَّ الغُرَف ، ولا تُعَلمُوهُنَّ الكِتابة (يعنى النساء) ، وعلموهُنَّ الغَزْلَ وسورةَ النُّور** »[١٥]

فهل أنت تفعل ذلك ؟

---

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١١) متفق عليه .

(١٢) تشبيه الأمة بغثاء السيل ورد فى حديث أبى داود ولفظه : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال ﷺ « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ... » الحديث .

(١٣) رواه الديلمى عن على كرم الله وجهه بنحوه .

(١٤) الأحزاب : ٣٣ .

(١٥) رواه الحاكم والبيهقى وابن مردويه عن عائشة مرفوعاً .

الاقتداء بالكفار :

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قبلكُم شِبراً بشبرٍ وذِراعاً بذرَاعٍ حتى لو سَلَكُواْ جُحْر ضَبٍّ لسلكتمُوه قال الصحابة : اليهود والنصارى ؟ قال ـ ﷺ ـ فمن ؟!** »[16] .

السينما من أتى بها ؟ المسرح من أتى به ؟ المدارس الأجنبية من أتى بها ؟ إنها جاءت من اليهود والنصارى فى أمريكا ، وإنجلترا ، وفرنسا .. « اليانصيب » من الذى جاء به ؟ إنجلترا وأمريكا وغيرها .

فنحن قد اتبعنا سنن من قبلنا ، إن بلاد الإسلام لم تكن تعرف سينما ، وإنما جاء بها الاستعمار ، بلاد الإسلام لم تكن تعرف ربا ولا بنوك ، جاء بها الاستعمار .

هل أنت غاضب على هؤلاء ؟ إن الله تعالى يقول ﴿ **لَهَا سَبْعَة أبوابٍ لكُلِّ بابٍ منهُمْ جُزْءٌ مقْسُومٌ** ﴾[17] إن الله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس ، ولديه كتاب « **لاَ يُغَادِرُ صَغِيرةً ولا كبيرةً إلا أحْصَاهَا** »[18] .

نحن خالفنا سنة النبى ـ ﷺ ـ أدخلنا بناتنا المدارس وهو قد بين لنا أن مدرسة البنت ليست فى الكتابة أو علوم الرجال ، ولكنه قال : ﴿ **لا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور** ﴾ فهذا ما ينفع النساء ويفيدهن ويناسب طبيعتهن بل إن هناك من المسلمين من يذهب ببناته إلى مدارس أوربا لتتعلم هناك !! . ولماذا نفعل ذلك ؟ لقد تحقق فينا قول النبى ـ ﷺ ـ « **لتتبعن سنن من كان قبلكم** » فاتبعناهم ، وعملنا سينمات ، وحكمنا بالقانون الوضعى ، وأهملنا شرع الله ، والله تعالى يقول ﴿ **ومن لم يحكُمْ بما أنزلَ اللهُ فأولئك هم الكافرُون** ﴾ (الظالِمُون) ، (الفاسِقُون)[19] .

فنحن قد تحققت فينا علامة من علامات يوم القيامة ـ كما أخبرنا النبى ـ ﷺ ـ (أن تشارك المرأة الرجل فى مهنته) .

فالنساء اليوم يعملن فى أعمال الرجال ونحن نسكت على ذلك ولا نهتز ، فهل نحن نؤمن حقاً بيوم القيامة ؟! لقد كان النبى ـ ﷺ ـ يخطب ووجهه الشريف محمرٌّ ـ وهو يقول :

---

(١٦) رواه الشيخان .

(١٧) الحجر : ٤٤ .

(١٨) الكهف : ٤٩ .

(١٩) المائدة آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

« **بعثتُ أنا والساعةُ كهاتَيْن** »[٢٠] .

يعنى : أنا نبى آخر الزمان ، ولا نبى بعدى ، وإنما القيامة بعدى مباشرة ، ﴿ **فهل ينظُرُونَ إلا السَّاعةَ أن تأتِيَهُم بَغْتَةً فقد جَاءَ أشرَاطُهَا** ﴾[٢١] والأشراط : العلامات ، ولكن الناس فى غفلة ﴿ **اقْتَرَبَ للنَّاسِ حِسابُهُم وهُمْ فى غَفْلَةٍ مُعْرِضُون** ﴾ ﴿ **ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ من ربِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا استَمَعُوهُ وَهُمْ يلعَبُون** ﴾ ﴿ **لاهِيَةً قُلوبُهُمْ** ﴾[٢٢] فهم يسمعون القرآن ، ولكن قلوبهم لاهية عنه ، منصرفة إلى جمال الصوت والطرب بالنغمات .. وهذا من علامات الساعة ، ففى الحديث « **وإذا اتُّخِذَ القرآنُ قينة** » أى : وسيلة للطرب ، كما يفعلون بآلات الموسيقى والغناء !! فهذا من علامات الساعة .

فتنة النساء :

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **ما تركتُ بعدِى فتنة أضرَّ على الرجالِ من النسَاء** »[٢٣] .

فاحترس لنفسك ، وتلفت يميناً ويساراً ، وإياك أن تنشغل بالنساء ! ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « **النساءُ حَبائِلُ الشيْطانِ** »[٢٤] .

ومعنى « حبائل » مصائد ، لأن الشيطان إذا أتعبه إنسان ، واستعصى معه ، فإنه يحضر له امرأة تغويه ، أو امرأة لا تعينه على الصلاة والعبادة ، وكل شىء يحدث لنا أخبرنا الله تعالى به ﴿ **ما فَرَّطْنَا فى الكِتَابِ من شَىْءٍ** ﴾[٢٥] ، وأخبرنا به الرسول ـ ﷺ ـ .

وجوب تأديب المرأة بالأدب الشرعى :

كيف تأكل وتشرب وتنام أنت وامرأتك بدون أن تصليا فرض ربكما ؟ إن عدم صلاة امرأتك مسئوليتك أنت ، فإذا لم تصلّ فإنها ملعونة ، واللعنة تصيبك بجوارها ؛ لأنك لم تنهها عن ذلك ، فكأنك راض عن تركها للصلاة ، إن النبى ـ ﷺ ـ يقول :

---

(٢٠) حديث متفق عليه .

(٢١) محمد ١٨ .

(٢٢) الأنبياء ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢٣) رواه مسلم .

(٢٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد .

(٢٥) الأنعام ٣٨ .

« تاركُ الصلاةِ ملعُونٌ وجارهُ ملعونٌ إن رَضِى بِهِ »

والبركة منزوعة من البيت مادام أهله لا يصلون ، يلعنهم الله ، وتلعنهم الملائكة ، امرأة صعيدية من بلادنا ، تلبس الشملة ، والملاية ، والخلاّلة ! ولكنها لا تصلى ، فهى فى الدرك الأسفل من النار ، لا ينفعها لزومها البيت ، ولا تنفعها تغطية وجهها فكل ذلك لا لزوم له ما دامت تاركة للصلاة ، بل ﴿ **حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يصلونَهَا فبِئْسَ المَصِيرُ** ﴾(٢٦) .

س : زوجتى لا تنجب ، وهى لا تصلى ، ولا تسمع كلامى ، ما العمل ؟

جـ : ما دامت لا تصلى ، ولا تسمع الكلام ، وليس لك أولاد منها ، فطلقها وتزوج عليها ، فلا خير فى امرأة كهذه ، أما إذا كان هناك أولاد بينكما ، فمن أجلهم حاول معها بالنصح والتوجيه ، حتى تستقيم وتصلى . إن الزوجة تاركة الصلاة كالنار المشتعلة ، فهل تستطيع النوم مع امرأة تشتعل فيها النيران ؟ ابتعد عنها حتى لا يحرقك لهيبها ، ولو كشف عنك الحجاب لرأيت النار مشتعلة فيها .

لا تقل : مالى أنا وتقصيرها فى صلاتها ، هذا كلام خاطىء إن هذه أحكام الله ، وقد قضى ـ سبحانه ـ بأن جهنم ستمتلىء بأهلها ، قضى وانتهى الأمر ﴿ **ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعَبيد** ﴾(٢٧) . أنت لا تريد أن تتحمل المسئولية ، لا عليك ! إن جهنم لها سبعة أبواب ، وقد فتحت هذه الأيام على مصاريعها ! .

الملائكة من جنود الله :

والله ـ سبحانه وتعالى ـ له ملائكة ، جند كثير ﴿ **وما يعْلمُ جنودَ ربِّكَ إلا هُو** ﴾(٢٨) .

كل إنسان معه عشرة ملائكة ، سواء أكان مسلماً أم كافراً ، عشرة ملائكة ومعه ملكان كاتبان ، فيكون عددهم اثنى عشر ملكاً .

فإن كان الرجل مؤمنا ، فعند موته يجلس الملكان على قبره ، يستغفران الله له ، إلى يوم القيامة ، وإن كان كافراً يلعنانه إلى يوم القيامة .

وهذا العالم ـ عالم الملائكة ـ موجود منذ خلق آدم ـ عليه السلام ـ ، ولم يذكر لنا

---

(٢٦) المجادلة : ٨ .

(٢٧) ق : ٢٩ .

(٢٨) المدثر : ٣١ .

الشرع أسماء الملائكة العشرة ، وإنما ذكر لنا اسمى الملكين : رقيب ، وعتيد ، عن اليمين وعن الشمال ، وكذلك عالم الحياة فى القبر ـ عالم البرزخ ـ ﴿ **ومن وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يوم يُبْعَثُونَ** ﴾[٢٩] برزخ أى : حاجز ، ﴿ **بينَهُمَا برزَخٌ لا يَبْغِيَانِ** ﴾[٣٠] أى : حاجز بين البحرين .

فتنة الشيطان لابن آدم :

فإياك والشيطان ! إنه ينسى أى إنسان ﴿ **وما أَنسَانِيهُ إلا الشيْطَانُ أن أذكُرَهُ** ﴾[٣١] فقد جمع الشيطان أولاده وأوصاهم : ألا تتركوا أحداً من بنى آدم يتذكر أن الله معه أنسوهم أن الله ـ تعالى ـ يراهم ويراقبهم حتى لا يخافوا من المعاصى ، هذه هى الوصية الأولى ، أما وصيته الثانية فهى : اصرفوا أبصارهم عن السماء ، لا تدعوا أحداً يرفع رأسه إلى السماء ، امنعوهم النظر فى ملكوت الله .

« **لما نزل رسول الله ـ ﷺ ـ إلى سماء الدنيا بعد عروجه إلى السماوات العُلَى رأى دخانا وأصواتا ، فقال : ماهذا يا جبريل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على عيون بنى آدم لا يتفكرون فى ملكوت السمٰوات والأرض ، ولولا ذلك لرأوا العجائب** »[٣٢]

سوء الظن بين الزوجين :

فالشياطين موزعون فى وظائف .. فهناك شيطان للوسوسة والوقيعة بين الرجل وزوجته ، يأتى للرجل ، فيقول له : امرأتك هذه فيها كذا وكذا .. ثم يأتى للمرأة ، فيقول لها : زوجك فيه كذا وكذا ، وهكذا يجعل الرجل يشك فى زوجته ، والمرأة تشك فى زوجها ، فإذا غاب عنها تقول له : أين كنت ؟ إنى أشم منك رائحة حلوة ، هل هى رائحة عطر امرأة أخرى ؟! وهذا الشك إنما هو من الشيطان ، دائماً يأمر الإنسان بالسوء كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **الشيطانُ يعِدُكُمُ الفقْرَ ويأْمُركُمْ بالفحْشَاءِ** ﴾[٣٣] .

وسوء ظن الرجل بامرأته حرام ، وإثمه كبير ، ﴿ **اجتَنِبُوا كثيراً من الظَنِّ** ﴾[٣٤] .

وقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه ابن عباس قال : « **سئل رسول الله ـ ﷺ ـ**

---

(٢٩) المؤمنون : ١٠٠ .

(٣٠) الرحمن : ٢٠ .

(٣١) الكهف : ٦٤ .

(٣٢) حاشية الدردير على نجم الدين الغيطى ص ٢٦ .

(٣٣) البقرة : ٢٦٨ .

(٣٤) الحجرات : ١٢ .

عن الشهادة قال : هل ترى الشمس ؟ قال : نعم . قال : على مِثْلِها فاشهد أوْ دَعْ »[٣٥] .

يعنى الشمس ، فإذا تأكدت من صحة الشيء كتأكدك من رؤية الشمس فاشهد بصحته ، أما أن تظن بغير تحقيق فلا .

وقال سيدنا على ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ « الحق قرن بالعين » ووضع إصبعيه على عينيه وأذنيه .

فالشهادة الحق : هى ما اقترنت بالمعاينة والشهود بالجوارح ، أنا رأيت بعينى ، أنا سمعت فلانا بأُذنى بسبب فلانا ، فهذه هى الشهادة ، أما غير ذلك فلا ، نحو : أظن كذا ، أشك فى كذا ، ليس هذا هو الحق ، إنما الحق : أن ترى وأن تسمع .

س : ما حكم من يذهب إلى المصايف ويختلط بالنساء ، ويرى منهن ويرين منه ؟

جـ : جهنم لها سبعة أبواب ، ويوم القيامة ينادى عليهم : أين الذين لم يغضوا أبصارهم ؟ أين الذين نظروا إلى عورات النساء ؟ أين المتبرجات بزينتهن ؟ فيؤتى بهم ! أين أكلة الربا ؟ أين مدمنو المخدرات وتجار السموم ؟ أين اللصوص ؟ فيؤتى بهم ؟ وعلى كل باب من أبواب جهنم ملائكة ، وبيدهم سلاسل وأصفاد كثيرة !

﴿ وترى المُجْرِمينَ يومئذٍ مُقَرَّنينَ فى الأصْفَادِ ﴾[٣٦] أى : مربوطين بعضهم ببعض فى سلاسل من حديد ، القيود : من حديد ، ألم تشاهدوا المسجون لما يحضرونه إلى المحكمة ، فيوضع فى القفص ، والقفص من حديد ، وفى يديه قيود من حديد ؟! ويسأله القاضى عما اقترف ؟! فما لكم لا تخافون من المحاكمة الكبرى يوم القيامة ؟! .

الله ؟ آمنا بالله ، آمنا بيوم القيامة ، لقد أخبرنا بما فيه من الوعد والوعيد ، وضرب لنا أمثلة مما نراه فى الدنيا ، فقال **﴿ أفرأيتُمُ النَّارَ التى تُورُونَ ﴾** : توقدون **﴿ أأنتم أنشأتُمْ شَجَرَتَهَا أم نحنُ المنشِئُونَ ﴾ ﴿ نحن جَعَلْنَاهَا تذكِرَةً ﴾** أى : تذكرة لجهنم **﴿ ومَتَاعاً للمُقْوِين ﴾**[٣٧] أى للمسافرين يتقوون بها من شدة البرد وينضجون بها طعامهم .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخاطب الإنسان : أنا أخبرتك بأن هناك ناراً فى الآخرة والدليل : هذه النار التى بين يديك ، فمن خلق نار الدنيا خلق نار الآخرة .

---

(٣٥) السيوطى فى الجامع بإسناده

(٣٦) إبراهيم : ٤٩ .

(٣٧) الواقعة : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

يا عبدى : أنا قلت لك إن الجنة فيها نخل ورمان ، وانظر أمامك لتؤمن ، فمن خلق النخل والرمان الذى فى الدنيا ، خلق فى الجنة أيضاً النخل والرمان .

﴿ **نحن جعلناها تذكرة** ﴾ فالأشياء التى تراها فى الدنيا تذكرك الآخرة ، فإن كانت حلوة تذكرك الجنة الحلوة ، وإن كانت مُرَّةً تذكرك جهنم المرة ! فلان قرصته عقرب ! إن ألم لدغتها تذكرة هينة بما يكون فى الآخرة من عذاب جهنم !

فلان مريض محموم ، **قال عليه الصلاة والسلام** :« **الحُمَّى من فَيْح جهنَّم** »[٣٨] فمظاهر الآخرة موجودة فى الدنيا ، فاتعظ وتدبر واعقل .

﴿ **إن أصحابَ الجنةِ اليومَ فى شُغُل فاكِهُون** ﴾[٣٩] شُغُل بالضم : الفرح ، والشُّغْل بالسكون ـ يعنى الاشتغال ، فاكهون : فرحون ، يتفكهون بالكلام الطيب .

﴿ **وجَاهِدُوا فى اللَّهِ حقَّ جِهَادِهِ** ﴾[٤٠] ومن الجهاد مخالفة الشيطان ، يقول لك : اشرب الخمر ، تقول له : لا ، يقول لك : اقتل فلانا ، تقول له : لا ، تخالفه ، وتخالف نفسك ، لأنها لحوح ، إذا اشتهت شيئا ألحت عليك إلى أن توقعك ، فالنفس الأمَّارة عدوٌّ شديد ، ولولاها ما تمكن الشيطان من الإنسان ، لأنها هى التى تتآمر معه ، أما الروح فلا تفعل ذلك ، فما الفرق بين فعل النفس والروح ؟ .

إذا جلس ابنك على المقاهى وانحرف ، وخالط الحشاشين ، فهذا من فعل النفس ، فإذا أخذت بيديه ، وجعلته يتوب إلى الله ، ثم أرسلته إلى الأزهر ليتعلم ، ويصبح رجلاً نافعاً صالحاً ، فهذا من عمل الروح ، ﴿ **إن النفس لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ** ﴾[٤١] أما الروح فلا .

ولا يستطيع إنسان أن يجلب السعادة لنفسه بنفسه ، لا أحد يستطيع أن يحول نفسه إلى الصلاح ، لا أحد يستطيع أن يفعل كل ما ينويه ، لماذا ؟ لأن ربنا هو الملك ، ونحن عبيده ، والعبد لا يستطيع أن يفعل ما يريد إلا بإذن سيده .

فإذا استطعت أن تفعل كل شىء تريده فى هذه الحياة الدنيا فأنت ملك إذن ! لكن لابد من أن تغلبك أشياء وتقهرك حوادث لتعلم نفسك أنك عبد ، كما قال الشيخ عليش رضى الله عنه :

---

(٣٨) رواه الطبرانى .

(٣٩) يس : ٥٥ .

(٤٠) الحج : ٧٨ .

(٤١) يوسف : ٥٣ .

نحن والخلائق كلنا عبيد والإله فينا يفعل ما يريد
همك واهتمامك ويحك لا يفيد القضا تحتّمْ فالزم السكون

فلو كان الأمر بيد كل واحد منّا لكان يحج كل سنة ، لو كان بيد الواحد منا لكان يصلى كل وقت فى الجامع ، لو .. لو .. لكن لا ، الأمر بيد الله الملك ، والعبد المملوك لا تصرف له مع سيده ، أحد المغاربة يقول :

أنا عبد رب له قدرةٌ يهون بها كل أمر عسير
وإن كنت عبداً ضعيف القوى فربى على كل شىء قدير

أنا عبد ذليل ، ولكن عبدُ مَنْ ؟ عبد القوى ، من هو على كل شىء قدير .

قال المغربى :

منى ومشيّ عليّا وأنا عبد مملوك
والأشياء مقضيا مافى التحقيق شكوك
ربى ناظر فيّا وأنا نظرى متروك
فى الأرحام وفى الحشا ومن نطفة صوّرنى

فهو القوىّ ، الذى لا يعتريه ضعف ـ سبحانه ـ

وكيف تعلم أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة ؟ عندما تجهل أمراً ، أو لا تعرف عاقبة شىء ، أو يخفى عليك علم ، عند ذلك تعلم أن عالم الغيب والشهادة هو الله .

بين فرعون وإبليس :

كان فرعون جالساً على عرشه ، فجاءه إبليس وطرق الباب ، فقال فرعون : من أنت ؟ فرد إبليس : تزعم أنك إله ولا تعرف من وراء الباب ؟! تزعم أنك الله الذى خلق السموات والأرض وأنت لا تعرف من وراء الباب ؟! عند ذلك عرفه فرعون ، وقال له : أنت إبليس ! .

فإبليس أعقل من فرعون ـ لعنة الله عليهما ـ لأن فرعون كفر بالله وقال ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾[٤٢] ، ولكن إبليس مع كفره لم يدّع الربوبية ، لأنه يعرف أنه كذاب ، ومع ذلك تكبّر .

يا مدعى الكبر هُوَّ الكبر علّى مين ؟
دا الكبر يامّا خفض عُلمّا وعَلاّمين !!

(٤٢) النازعات : ٢٤ .

غفلة المتكبرين :

قالت السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ « كيف يتكبر من أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة » .

فكيف يتكبر من أوله منى قذر مهين ، وهو بعد الموت يصبح مَيْتَةً منتنَةً ، وهو فى أثناء حياته يحمل البراز فى بطنه ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، يحمل صندوق مجارى فى بطنه ، لو شرب ماء تقتله شرقة ، وتنتنه عرقه ، وتقلقه بقّه ، لو جاءته بقّةٌ بالليل ، فإنها تقلقه ، وتمنعه النوم ، ويظل يبحث عنها فلا يستطيع الإمساك بها ! فتقلق منامه ، مع ضعفها وقوته .

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو سفاهة على طبقات الجو وهو وضيعُ

فالمتكبر كالدخان ، وهو لا يساوى مليماً ، والمتواضع كالنجم ، يبدو قريبا ، وهو فى السماء .

صلاة الصبح فى وقتها :

أنا قلت لكم من زمن إن الذين لا يصلون الصبح قال عنهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **فإذا نامَ حتى تطلُعَ عليه الشَّمْسُ بال الشَّيْطَانُ فى أذُنِهِ** »[٤٣] « **فيُصْبِحُ خبيثَ النفس كسلان** »[٤٤] وأنا أرى أمامى اناساً كثيرين لا يصلون قبل طلوع الشمس ، وأنا أشفق عليهم من بول الشيطان فى آذانهم ، فيصبح الواحد منهم خبيث النفس كسلان .

هل تريد أن تعمل شرعاً جديداً ، هل تريد أن تعامل ربنا ـ سبحانه ـ بأهوائك ؟!

إنه يأمرك أن تصحو قبل طلوع الشمس لتصلى ، فجاهد نفسك لتمتثل للأمر .

من خصائص الذكر بـ « لا إله إلا الله » :

لا إله إلا الله . لا إله إلا الله . لا إله إلا الله .

روى عن سيدنا جعفر الصادق ، عن سيدنا محمد الباقر ، عن سيدنا على زين العابدين ،

---

(٤٣) ذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ذكر عند النبى ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه » أو قال : « فى أذنه » متفق عليه .

(٤٤) قال ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه .

عن سيدنا الحسين ، عن سيدنا علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أن الله تبارك وتعالى يقول :

﴿ لا إله إلا الله حصنى ، ومن قالها دخل حصنى ، ومن دخل حصنى أمن من عذابى ﴾(٤٥) .

وقال ابن عاشر ـ رضى الله عنه ـ :

وهـــى أفضل وجـــوه الذكـــر فاشغل بها العمر تفزْ بالذخر(٤٦)

لا إله إلا الله أفضل الذكر ، فاشغل بها عمرك تفز بالذخر فى الدنيا والآخرة .

والشيخ أبو البركات الدردير ـ رضى الله عنه ـ يقول : تذكر على اليمين : لا إله ، وتكمل على الشمال : إلا الله ، فيخرج من القلب ظلام ، ويدخل فيه نور ، بعدد ما تذكر ألفاً ، ألفين .. حتى يمتلىء القلب نوراً . فعش فى أنوار الذكر دائماً ، ولا تخلط ، فلا يستقيم قولك : لا إله إلا الله بلسانك ، وفعلك يناقضه ، تذكر ثم تسب الناس ، أو تعاكس امرأة ، عند ذلك يذهب النور ، ويأتيك الظلام ، فكن نورانيا فى كل حياتك .

﴿ وآخرُون اعْتَرَفُوا بذنُوبِهِمْ خَلَطُوا عملاً صَالِحاً وآخرَ سَيِّئاً ﴾(٤٧) هؤلاء خلطوا النور بالظلمة ، ولكنهم سارعوا واعترفوا بذنوبهم ثم تابوا إلى الله .

العصمة للأنبياء فقط :

هل هناك أحد لا يخطىء ؟ لا . إن الخطأ من طبيعة الإنسان ، ولا يوجد بين الناس اليوم من لم يرتكب خطيئة ، قال سيدنا عمر بن الفارض متسائلا :

من ذا الـــذى ما ساء قط ؟ ومـــن له الحسنـــى فقـــط ؟

فسمع الهاتف يقول :

محمـــــد الهادى الـــــذى عليـــه جبريـــل هبـــط !

فالعصمة إنما هى للأنبياء ، أما أنت فلا ، لسنا بمعصومين ، ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقل لنا : كونوا معصومين ، ولكنه قال : توبوا ، واستغفروا .

---

(٤٥) أخرجه السميلى المدنى فى مسلسله .

(٤٦) متن ابن عاشر ص ٤

(٤٧)التوبة : ١٠٢ .

مكفرات الذنوب :

وقال الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **ما ضَرَّ من استغفر سبعين مرة** »[٤٨] .

أنت حضرت الدرس ، ثم خرجت فقابلك رجل على باب المسجد ، فعاكسك وأهانك فضربته بيدك ، وهذا خطأ فاستغفر الله ، وهكذا كلما أذنبت تبت واستغفرت .

قال الله تعالى : ﴿ **إن الحسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات** ﴾[٤٩] . فالذنوب مغفورة دائما بالتوبة والاستغفار ، والحسنات مثبتة فى صحائف الأعمال ، ولا شىء يضيع الحسنات ويمحوها إلا الكفر فقط .

فحسناتك تسجّل لك من يوم بلوغك ، وتظل تكتب إلى يوم مماتك ، أما السيئات فإن الله تعالى يمحوها عنك بمجرد فعلك للحسن ، تمسح كما تمسح الكتابة من على السبورة !

﴿ **إن الحسناتِ يذهبن السيئاتِ ذلك ذكْرَى للذاكِرين** ﴾[٥٠] .

فالإنسان لا يدعى العصمة ولا يتكبر بسبب الطاعة ، لأنه عندما يقع فى الخطأ ينكشف على حقيقته ، فإن التكبر هو الذى أوقع إبليس وجعله يقول ﴿ **أنا خيرٌ منه** ﴾[٥١] .

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **إنى لأستغفرُ اللهَ فى اليوم سبعينَ مرةً** »[٥٢] .

استغفر الله العظيم ، تبنا إلى الله الكريم ، اللهم اغفر لنا ، اللهم ارحمنا ، اللهم تب علينا ، اللهم اجعلنا من التوابين ، واجعلنا من المتطهرين ، واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، واغفر لوالدينا ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

« الفاتحة »

---

(٤٨) الترمذى وأبو داود بنحوه .

(٤٩) هود : ١١٤ .

(٥٠) هود : ١١٤ .

(٥١) ص : ٧٦ .

(٥٢) رواه الترمذى .

الدرس الخامس

فى معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله »

هذه كلمة قد نقولها ونحن لاندرك معناها ، ولا ننتفع بأسرارها ، والكلام لا ينبغى أن ينطق به الإنسان بغير تدبر ، كمن يمضغ ثمرة ويلوكها بين أسنانه ، يجب أن نفقه معنى « لا حول ولا قوة إلا بالله » فالمفيد هو المعنى ، واللفظ إنما هو كالوعاء له ، فليس المدار على الأوانى ، وإنما المدار على ما فيها ، فالانتفاع بالعسل والحلوى ولذيذ الطعام لابالأوانى ، وهكذا الألفاظ والمعانى ، مامعنى « لا حول ولا قوة إلا بالله » ؟

قالوا معناها : لا تحوّل عن معصية الله إلى طاعته إلا بإذن الله ، لا يستطيع أحد أن يتحول عن المعصية إلا بعصمة الله تعالى له ، وحفظه ، وعند ذلك فقط يبعده عن المعصية .

هو وحده ـ سبحانه وتعالى ـ هو ، عندما يبعدك عن المعصية تبتعد ، وقد يقول العبد : وكيف يبعدنى عنها ؟ فنقول له : ادع ربك واسأله ، والْحِفْ فى الرجاء ، قل يارب ، فهو سميع الدعاء ، وهو رحيم كريم .

قل له : يارب وفقنى ، يارب امنعنى عن المعاصى ، يسمعْ كلامك ، ويستجب لدعائك .

فلا حول ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، فلا تستطيع أن تحجّ إلا إذا وفقك هو ، لا تقدر أن تصلى إلا إذا وفقك هو ، لا تقدر أن تصوم إلا إذا وفقك هو ، ﴿ **وما تَوْفِيقِى إلاَّ بِاللَّهِ** ﴾[1] قولوها وكرروها . « لا حول ولا قوة إلا بالله » إذا وفقك للصيام فإنك تصوم ، إذا وفقك للحج فإنك تحج ، بتوفيقه هو سبحانه ، لا بكثرة الكلام ، ولا بكثرة المال ، ولا بكثرة العلم ، وإنما « بالله » لا تقل أنا صحيح قوى فأنا أقوم وأصلى ، لا تقل أنا عالم ففية أقوم وأصلى ، لا تقل أنا غنى .. ، أنا قوى .. لا تقل هذا ، ولكن قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، قل : إذا وفقنى سيدى ، إذا وفقنى إلهى أقوم وأصلى .

---

(١) هود : ٨٨ .

معنى آية :

﴿ **وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾[٢] .

« **فى غزوةِ بدرٍ أخذَ النبىُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حفنةً من حصباء ، ورماها على وجوهِ الكفارِ ، فأعمت أبصارَ جيشِ الكفارِ كلّه** »[٣] بحول الله وقوته ، فالله تعالى يخاطب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بما معناه : عندما رميت التراب فى وجوه الكفار ، فأعمى التراب عيونهم ، أنت لم تفعل ذلك بنفسك ، (**ولكنَّ اللَّهَ رَمَى**) أى : قدَّر وأراد ، وأذن لك بالرمى فرميت ، القدرة لمن ؟ لله ، الارادة لمن ؟ لله ، التوفيق لمن ؟ لله ، وما دورنا نحن ؟ « لا حول ولا قوة إلا بالله » إذاً ماذا يفيد الهم ؟ لا شىء .

لا تكثر لهمك . فالحادث يهون . ومن الذى يهونه ؟ وكيف يهون ؟ « بالله » وأما همك وتفكيرك فلا يفيدان شيئاً ، هذا لا يقدم ولا يؤخر فى شىء ، فسلّم الأمر لصاحب الأمر .

تيسير الله تعالى القرآن لعباده كى يقرءوه :

قال العلماء : القرآن غالب ، وليس بمغلوب ، كلام الله عظيم ، فلولا تثبيت ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ للأرواح والقلوب ما كنت تستطيع القراءة . ﴿ **وَلَقَد يَسَّرْنا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِر** ﴾[٤] كررها القرآن العظيم كثيراً ، كلام الله عظيم ، ثقيل ، ولكن ربكم ـ سبحانه وتعالى ـ برحمته ورأفته يسَّر لكم القرآن فاقرءوه ، ولولا ذلك ما استطاع أحد أن يقرأ .

فهذا كلام الله ، هذا أعظم شىء فى الدنيا ، هذا أحلى مافى الوجود ، هو كلام الله ، لا تخرب الدنيا وفيها القرآن ، ولا تقوم القيامة حتى يرفع إلى الله ، قال تعالى : ﴿ **وننزِّل مِنَ القُرآنِ ماهُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٥] فهو الشفاء والرحمة ، وما داما موجودين فالخير موجود ، فمتى يجىء الشر ؟ .

من أشراط الساعة :

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وَشْى الثوب حتى لا**

---

(٢) الأنفال : ١٧ .

(٣) أخرجه الطبرانى وعبد الرزاق وابن مردويه وغيرهم .

(٤) القمر : ١٧ .

(٥) الإسراء : ٨٢ .

يُدْرَى ما صيام ولا صدقة ولا نُسُك ، ويُسْرَى على كتاب الله فى ليلة ، فلا يبقى فى الأرض منه آية »[٦] .

فمن الله نزل القرآن ، وإليه يعود ، فلا يبقى فى مصحف ولا فى صدر حافظ آية ، ومن أراد الله به خيرا أبقى فى قلبه « لا إله إلا الله » . ففى زمن يغضب الله تعالى لكتابه ، متى يكون ذلك الزمان ؟ إذا ترك الناس العمل بالكتاب ، الحكام والرعية ، فهذا شر الزمن ، إذا رفع القرآن من الأرض فهذا شر الأوقات والأزمنة ، أما إذا استمر القرآن يتلى ، فالأمة بخير ، والرحمة موجودة بهذا القرآن .

من فضائل القرآن على الأمة :

﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ** ﴾[٧] مادام القرآن موجوداً فإن الشفاء موجود ، شفاء القلوب من الأوهام والكفر والإلحاد ، فكلما تلى القرآن سطع نوره ودخل القلوب شفاؤه .

فقلوب المسلمين بخير مادام القرآن يتلى ، إن شاء الله تعالى نموت على الإسلام مادام القرآن يتلى ، لا شيوعية ولا روسية ولا يهودية ولا نصرانية .

﴿ **وقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ** ﴾[٨] جاء القرآن بالحق ، فلا شرك ولا إلحاد ، ماهو الحق ؟ إنه القرآن ، ماهو الحق ؟ إنه كلام الله ، ﴿ **وَقُلْ** ﴾ يا رسول الله « **جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ** » أى : مات ، وهلك « **إنّ الباطِلَ** » أمام الحق « **كانَ زَهُوقا** » .

فشبه الله تعالى الحق والباطل برجلين : أحدهما ضعيف متهافت ، والآخر فيه قوة أربعين رجل ، فمد القوى يده إلى الضعيف فخنقه من رقبته ! ، فزهق الباطل ، أى خرجت روحه ، الحق خنقه وأماته ، « **وقل جاء الحق** » من الله الحق على النبى الحق ، جاء القرآن الحق للنبى الحق ، « **وزهق الباطل** » انهزم الباطل ، « **إن الباطل كان زهوقا** » ليست له قوة أمام الحق ، هكذا شأن الباطل ، أمام الحق يتلعثم ، ويتدهور ، وينكسر ، وتزهق روحه .

فلا تخافوا ، ولا تهتموا لشىء فى الدنيا مادام القرآن موجودا ، ولا تظنوا أن شيئا فى الدنيا يغلب القرآن ، لأن القرآن من أمر الله ﴿ **واللَّهُ غالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ** ﴾[٩] .

---

(٦) رواه الحاكم وابن ماجه .

(٧) الإسراء ٨٢ .

(٨) الإسراء : ٨١ .

(٩) يوسف : ٢١ .

فالقرآن غالب الشياطين والكفار ، مهما يقولون ، ومهما يكتبون ، ومهما يدجّلون ومهما يَسْخَرُون .

كلمة واحدة من القرآن نور ، وإذا طلع البدر اختفى الظلام ، ومادام القرآن الكريم موجودا فى الأمة المحمدية ، يتلى فيما بينهم ، فلا ظلام .

الحج مغفرة للذنوب :

قد يتمكن إبليس من بعض الناس ، فيلعب بهم فى شبابهم ، ولكن سرعان ما يفيقون ، ويرجعون إلى ربهم ، فيبادرون إلى الحج ، للتطهر من ذنوبهم ، فيأتى الواحد منهم إلى بيت الله الحرام ، وينادى : يارب ، ها أنا قد جئت إليك فى بيتك ، ويقول سائر الحجاج كذلك ، يارب هانحن قد جئنا إليك فى بيتك فسامحنا ياكريم .

يقفون على عرفات ، يفوزون بالمغفرة ، فلا ينزل أحد منهم وعليه ذنب ، يذهبون إلى المدينة ، ويقفون أمام الروضة الشريفة زائرين ومسلّمين :

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، جئنا إليك يا رسول الله نرجو الشفاعة ، فينادَوْن بالبشرى : أبشروا ، لكم الشفاعة ، ولكم الخير ، أبشروا ، أنتم أمة القرآن ، أنتم بخير ، أنتم تسمعون القرآن ؟ أنتم تقرءون القرآن ؟ نعم يارسول الله . هل القرآن محفوظ فى بلادكم ؟ إذن أبشروا بالخير .

فهذا هو القرآن : إذا تُلى تتنزل الرحمة ، فهو رحمة ، وبقراءته تتنزل الرحمة ياهذا ! هو رحمة إذا سمعتم القرآن﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا** ﴾[١٠] هذه رحمة .

وقلبك يستغفر ﴿ **إنه كان غفاراً** ﴾ ماهذا الكرم ! ، هو غفّار ، وينادى علينا ليغفر لنا ! تعالوا فإن ربكم غفّار ، أين أنتم ذاهبون ؟

« غفاراً » يعنى كثير المغفرة ، يارب إن ذنوبنا كثيرة ! ، لا تخافوا ، إن ربكم غفّار ، ربكم أعظم ، ربكم أكرم ، فإلى متى لا تعرفون ربكم ؟!

إنكم تعبدون إلها غفّاراً ، تعبدون إلها كريماً ، تعبدون إلها رحيماً ، تعبدون إلها حليماً ، تعبدون إلها عفواً ، لماذا تخافون ؟ إنه يناديكم : ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا** ﴾ قولوا : أستغفر الله العظيم ، فلا تضيعْ يومك من غير استغفار ، حرك دائما لسانك بـ « استغفر الله العظيم » ﴿ **إنه كان غفّاراً** ﴾ لا تجعل الشيطان يقنطك ويجعلك تقول : إن ذنوبى كثيرة ، وأخشى ألا يقبل الله توبتى ، لأنه غاضب علىّ .

---

(١٠) نوح : ١٠ .

ليس هذا بالصواب ، إذا كان الكفار ـ مع إجرامهم ـ فتح لهم باب العودة ﴿ **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ** ﴾[11] عبّاد الأوثان ، الكفرة ، الظلمة ، قل لهم إذا كنتم تريدون الرجوع عن كفركم وتريدون الإيمان بربكم ، فبمجرد توبتكم أغفر لكم كل شيء ، هذا الكلام للكفار يا مسلم ، هذا كلام الله للكفار يا مؤمن ! .

يقول للكفار : إن رجعتم إلىّ أغفر لكم (ماقد سلف) أى : ما قد كان . فكيف بك أنت يا مؤمن ! يا صائم رمضان كيف بك أنت ! لك عند الله شأن ، يا مؤمنا بالقرآن ! إذا كان الله ـ تعالى ـ يقول لعباد الأوثان : أنهم إذا تابوا ورجعوا غفر لهم ما قد سلف ، فكيف بك أنت ؟ فماذا فعلت أنت ؟ إن الذنوب بجنب الله كهباء بجانب المغفرة . ﴿ **قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ** ﴾[12] لا تيأسوا ، من الذى يقول ذلك ؟ إنه الله ، هو ، هو ، أى لا تخافوا منى ، أى لا تستكثروا ذنوبكم بجانب كرمى ، لا تستكثروا ذنوبكم بجانب حلمى ، فافهم ذلك ، وأحسن الظن بربك .

﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ لماذا ؟ ﴿ **إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ فمهما كانت الذنوب ، مهما كان عددها ، يغفرها ؛ لأن من صفاته القديمة ، وأسمائه الحسنى ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ .

من أسمائه (الغفور) ومن أسمائه (الرحيم) فإذا أتيت الكريم فإنه يغفر لك ، وإلا فلماذا سمى الكريم ؟ سمى نفسه الكريم ، فهو يعطيك بمجرد سؤالك ، سمى نفسه الوهاب ، يعطيك بمجرد سؤالك ، سمى نفسه الغفور ، فبمجرد أن تسأله يعطيك ، قال الشيخ الدردير ـ رضى الله عنه ـ :

وهب لى أيا وهاب

ماذا يطلب الشيخ الدردير ؟ هل يريد الدنيا ؟ لا ، هل يريد قصراً ؟ هل يريد جنيهات ؟ لا ، إذن فماذا يريد ؟ إنه يقول ـ رضى الله عنه ـ :

« وهب لى أيا وهاب علماً وحكمة »

يا سلام ! علماً وحكمة ، وليس شيء فى الدنيا أغلى من العلم ومن الحكمة ، سبقنا علماء كالأقمار ، وألفوا كتباً نافعة .

---

(١١) الأنفال : ٣٨ .
(١٢) الزمر : ٥٣ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ﴾[١٣] يا سلام ! (مِنَّا) ضمير العظمة ، عظيم يارب ، من يغفر الذنوب إلا الله ، هو عظيم ، عنده حاجات عظيمة لا توجد عند غيره ، لا ملوك ، ولا رؤساء ، ولا زعماء ، من يغفر الذنوب ؟ هل يستطيعون ذلك ؟ إنهم يحتاجون المغفرة لأنفسهم .

﴿ يغفر الذنوب جميعاً ﴾ من فى الدنيا يغفر الذنوب كلها ، من فى الدنيا يتوب ، من فى الدنيا اسمه الرحيم ؟ من فى الدنيا اسمه الغفور ؟! .

كم عاش فى الدنيا من أناس ؟ ملوك وسلاطين ، قد يكون سلطانا يتسلط على غيره ، ملكاً يملك أراضى ، لكن لا يقدر أن يملك نفسه ، ملك ومملوك للملك ـ سبحان الله ! أى ملك هذا ؟

معنى أن الله الملك الحق :

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾[١٤] فملك الدنيا مملوك للملك الحق ، فهناك ملك حق ، وملك غير حق ، فالله هو الملك الحق ، وغيره ملك غير حق ! .

وما معنى الملك الحق ؟ إنه الملك الذى لم يرث ملكه عن غيره ، الذى لا يستطيع أحد أن ينزع الملك منه ، الذى لا يموت فهذا هو الملك الحق ؛ لأن ملوك البشر يرثون الملك من غيرهم ، ملوك البشر تموت وتترك ملكها لغيرها .

ملك البشر إذا ضعف أسقطوه ونصبوا من هو أقوى منه . لكن الله ـ سبحانه ـ ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ نحن نسجد لمن ؟ للملك الحق ، هل إلهنا يموت ؟ لا ، هل إلهنا يغيب ؟ لا ، هل إلهنا يغلب ؟ لا ، فهذا الذى يستحق أن نضع جباهنا على الأرض قائلين : الله أكبر ، نسجد لعظمته وكبريائه ، لملكه ، لعلمه ، لرحمته ، لغناه ، من سواه ؟ لا أحد غيره .

معجزة سجود البعير لرسول الله ـ ﷺ ـ :

هاج بعير بالمدينة ، فدخل فى حديقة ، والكل يجرى وراءه ، وسمع بذلك النبى ـ ﷺ ـ وكان شفيقاً ، كان رءوفاً ، كان رحيماً بالأمة ، فلما سمع بالخبر سألهم عن حقيقة الأمر ؟ فقالوا : تأسَّد بعير بنى فلان ، يريد أن يفتك بالناس ، ولم يستطعْ أحد الاقتراب منه ! فذهب

---

(١٣) الأنبياء : ١٠١ .

(١٤) المؤمنون : ١١٦ .

إليه المصطفى ـ ﷺ ـ فلما اتجه البعير نحوه ورآه برك على ركبتيه ، لما رأى أنوار أشجع الناس ، وأثبت الناس ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

المحروم من لم يعرف هذا النبى ـ ﷺ ـ كيف لا يعرف من عرفته البهائم العجماوات ؟ عرفه الجمل ـ البعير ـ .

مالك أيها الجمل ؟ ما شأنك ؟ فقام يكلم المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قائلاً : إن صاحبى رجل من الأنصار ، كان يرهقنى بالعمل الكثير ، وفى يوم قلّل من علفى ، وحملنى بحمل ثقيل ، فلم أستطع القيام به ، فما كان منه إلا أن أحضر الجزار ليذبحنى ، فماذا أفعل وأنا المظلوم ؟ فسأل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أين صاحب هذا البعير ؟ ، فقام صاحبه وقال : أنا يارسول الله ، فقال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ إن بعيرك يشكو قلة العلف ، وكثرة العمل ، وأنت الآن تريد أن تذهب به إلى الجزار ليذبحه ! ، وهاهو حضر يستشفع بى ، وأنا الشفيع المقبول ، وأنا اشتريته منك ، فبكم تبيعه ؟ فباعه الرجل إلى النبى ـ ﷺ ـ ، فالتفت النبى ﷺ ـ إلى البعير قائلاً : اطمئن أيها البعير قد اشتريتك من صاحبك ، وأنقذتك من الذبح ، فرفع البعير رأسه وقال : ها ! فقال النبى ـ ﷺ ـ آمين ، فكرر البعير قوله للمرة الثانية : ها فقال النبى ـ ﷺ ـ آمين ، ثم قالها البعير مرة ثالثة : ها فقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : دعوت الله قبلك فأبى ، أتدرون ماذا قال هذا البعير ؟ قالوا : لا ، قال : فى المرة الأولى قال البعير : اللهم لا تنزل على أمة محمد عذاباً من السماء فقلت : آمين .

وفى المرة الثانية قال : اللهم لا تخسف الأرض بأمة محمد . فقلت : آمين .

وفى المرة الثالثة قال : اللهم لا تسلطهم بعضهم على بعض .

فقلت : دعوت الله قبلك فأبى[١٥] لأن منعهم من أن يتسلط بعضهم على بعض فيه سبق للقضاء .

فالجمل عرف النبى ـ ﷺ ـ وَبَرَك لمّا رأى أنواره ، والسجود لا ينبغى إلا لله .

---

(١٥) رواه البيهقى وغيره بلفظ مقارب . وروى الإمام أحمد فى مسنده قال ﷺ : « سألت ربى ثلاثاً ، فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

من حق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها

وقد قال المصطفى ـ ﷺ ـ :

« لو كنت آمراً أحداً أن يسجُد لغير الله لأمَرْتُ المرآة أن تسجُد لزَوْجِها »[١٦] لماذا ؟ لأن كل شيء حولها من زوجها و بما فضله الله به عليها ، واسألوها : الشقة التى تعيشين فيها من الذى أحضرها لك ؟ إنه زوجك .

الملابس التى تلبسينها من الذى كساك بها ؟ إنه رجلك .

الطعام الذى تأكلينه من الذى أحضره لك ؟ إنه زوجك .

الأطفال الذين تفرحين بهم من أين خرجوا ؟ من ظهر زوجك ! إذاً فمن حق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يقول :

« .... لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

ولكن زوجات هذا الزمان لا يتعظن ، ولا يقمن بحق أزواجهن ، بل إن إحداهن قد تكون متنعمة بخيره ، تأكل من طعامه ، ومع ذلك تشتمه ، ولا تحترمه !

لماذا تفعلين ذلك ؟ هل تشاركينه فى الإنفاق ؟ إذا كنت موظفة وهو يأخذ مرتبك أو تدفعين نفقة البيت كنا نقول : من حقها لأن زوجها نقص من حقه وتنازل عن نصف رجولته ، فمن حقها أن تفعل معه ما تفعله ؛ لأنه السبب !

لكن إذا تحمل الرجل مسئوليته كاملة ، فلماذا الغلط معه ؟

فيستفاد من هذا الحديث أن من أكبر الحقوق التى لبنى آدم بعضهم على بعض : حق الرجل على امرأته ، فهذا أكبر الحقوق .

اللهم سلّم !

فسلّم قلبك لله يسلم عملك ، ولا تنشغل كثيراً بزوجتك ، ولا تجعل قلبك يتعلق بكل حركة وسكون منها ، فإن ذلك يدخل الشك والوسوسة فى صدرك ، تظل فى هم وقلق : هى غابت كثيراً ، لعلها تتكلم مع فلان ! أين ذهبت ؟ لماذا تأخرت ؟ وهناك شيطان مهمته أن يفرق بين المرء وزوجه ويفسد حياتهما ، فتنبهوا له فإن ذلك يحدث كثيرا .

وليكن تعاملك مع زوجتك وأولادك على نهج السنة المحمدية : تدخل بيتك وبمجرد دخولك قل : السلام عليكم ـ ليكثر خيرك وتعم البركة ـ كيف حالك يا أم محمد ؟ كيف

---

(١٦) رواه البزار والطبرانى بنحوه .

حالكم يا أولاد ؟ أهلاً بك يا ابنتى ، كيف حالك ياحبيبتى ؛ لأن البنت تحتاج للحنان والعطف أكثر من الابن ، لتطييب خاطرها ، لأنها دائماً تتعرض للانكسار والمذلة ، وإذا كانت البنت متزوجة ، وعندها أولاد ، فعلى الوالد أن يظهر لها المحبة والعطف أكثر وأكثر ، ليدخل السرور والمحبة على قلبها ، فإذا زارت بيت أبيها فإنه يستقبلها فى فرح وسرور وتهلّل أهلا وسهلا أنت بركة بيتنا !

العجم ـ أى غير العرب من المسلمين ـ كلهم يحبون مصر ، من أجل الأزهر الشريف ، فالأزهر ـ هذا الحصن الحصين ـ جعل لمصر فى قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها محبة عظيمة ، ومنزلة عظيمة ، وما عدا ذلك فهم لا يعرفون شيئاً عن مصر سوى رمز الإسلام فيها ، من أجل الأزهر الشريف .

والفاتحة لسيدنا الحسن والحسين ، بركة مصر هنا ، بركة مصر ، والخير فى مصر بسبب أهل بيت النبوة ، أكرمنا بهم اللهُ ، هم أهل الأسرار ، وأهل الأنوار ، وأهل القرآن .

الدرس السادس

فى تفسير قوله تعالى :

﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ** ﴾[1] . ينصركم أمام الذين يريدون تغيير معالم دينكم ، ينصركم أمام الذين يريدون إفساد عقائدكم ، ينصركم أمام كل دولة كافرة ، وينصركم أمام كل ظُلْم وعدوان . إن الله ـ تعالى ـ لا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، ولا يستطيع أن يغيرّ كلامه وكتابه مخلوق ، لا من الإنس ، ولا من الجنّ .

فالخلق كلهم عبيد الله ، والخالق هو الله ، والملك المتصرف هو الله ، هو الملك الذى لا يُغْلَب ، تولى حفظ كتابه فهو لا يتغير ، وتولى الدفاع عن المؤمنين ، فلا يستطيع غالب أن يغلبهم ، هو ـ سبحانه وتعالى ـ وجنوده ينصرونهم فى أى موقعة ، فلا يستطيع كافر أن يتغلب على مؤمن ، ولكن المدار على الإيمان .

﴿ **وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا** ﴾[2] .

أى : طريقاً يوصلهم إلى قلوبهم ، فيجعلونهم يكفرون بربهم . ﴿ **وَلَن يجعل الله للكافرين على المؤمنين** ﴾ أى : على قلوب المؤمنين سبيلا فلا يكفّر الكافرُ المسلمَ ؛ لأن العقائد ﴿ **صبغة الله** ﴾ فى القلوب لا تزول ، هذا هو الإيمان ، ﴿ **ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾[3] ولا نخاف على ديننا ، ولا نخاف على إيماننا .

بين الشيخ سليم البشرى والخديوى عباس :

ونتذكر هنا الكلمة التى قالها الشيخ سليم البشرى ـ عليه الرحمة والرضوان ـ للخديوى عباس :

« بلغنى عنك يا عباس أنك تريد بالأزهر كذا وكذا ، أنا لا أخاف على الأزهر منك يا عباس ، ولكنى أخاف على أفندينا من الأزهر » ! .

---

(١) الملك : ٢٠ .

(٢) النساء : ١٤١ .

(٣) البقرة : ١٣٨ .

فهزت هذه الكلمة الخديوى عباس حينما قال له : أخاف عليك من الأزهر . أى : أخاف عليك من رب الأزهر ، رب القرآن الذى يتلى فيه ، رب العلم الذى يُدَرّس فيه ، فاهتز أفندينا ، وقال له : وماذا تريد يا شيخ الإسلام ؟ قال : أن يبقى ما كان على ماكان ، لا تغيّر فى الأزهر يا عباس ولا تبدل ! فقال أفندينا : يبقى ما كان على ما كان .

وهكذا تولى الله ـ تعالى ـ الأزهر بعنايته ؛ لأن الأزهر هو مكان العلم والدين ، كما قال القرآن : ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾[٤] أى : لحافظون للقرآن ، ولحفظته ، وللداعين إليه ، وللعاملين به ، تولى الله حفظ القرآن ، وحفظ أهل القرآن .

والقرآن شمس مشرقة ، فلا يمكن لليل أن يطفىء الشمس ، وما دامت ذات لهب ، وما دام القرآن يُتْلَى ، فلا يكون موت لقلوب المسلمين ، بأى حال من الأحوال .

﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة** ﴾[٥] .

لأن المسلم لا يكفر ، إذا تبين للمسلم أن ذلك الرجل عدوٌّ له ، يريد أن يكفّره فيتنبه له ، فإذا تنبه له غلبه ، قال تعالى : ﴿ **ثم يغلبون** ﴾ .

فهذه بشرى للمسلمين ، والمسلم لا ينبغى أن يخاف إلا على إيمانه ، إلا على دينه ، إلا على إسلامه ؛ لأنه إذا كان مؤمناً مسلماً كان الله تعالى معه وملائكته يكونون جنداً له ، وإذا كان الله ـ تعالى ـ معه فلا يغلبه شىء ، ومن تخلى عن الله تخلى الله عنه ، ومن تخلى الله عنه ، لا يبالى به فى أى وادٍ هلك !

أما إذا كان المسلم مع الله فحيثما توجه وحيثما كان أحاطه الله بعنايته ، وأحاطه بالنصر ، وأحاطه بالتوفيق ، وأحاطه بالمعونة .

﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[٦] ، فلا يمكن أن يضيع المسلم العامل ، التقى كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** ﴾[٧] أجره لا يضيع ، وهو لا يضيع .

---

(٤) الحجر : ٩ .

(٥) الأنفال : ٣٦ .

(٦) النحل : ١٢٨ .

(٧) الكهف : ٣٠ .

السمٰوات السّبع والأرضون السّبع

قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً** ﴾[٨] ، فهذا إخبار من الله للمؤمنين ، يخبرهم ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه خلق سبع سمٰوات ، ومن الأرض خلق سبعاً مثلهن ، سبع سمٰوات طباقاً ، نرى واحدة ، ولا نرى ست سماوات أخرى ، فما لا تراه أبصارنا يسمى عالم الغيب ، وما تراه أبصارنا يسمى عالم الشهادة ، فسماء الدنيا من عالم الشهادة ، وما فوقها من عالم الغيب ، والأرض الأولى من عالم الشهادة ، وما تحتها من عالم الغيب .

قال تعالى :

﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾[٩] .

آمنا بالله ـ تعالى ـ ، وأنه خلق سبع سماوات ، وخلق سبع أرضين ، شاهدنا السماء الأولى ، وشاهدنا الأرض الأولى ، وجاءت الأخبار فى القرآن وفى السنة بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ جعل سكان السماء من الملائكة ، فالملائكة الكرام فى السموات السبع ، ما بين راكع وساجد وقائم ... وجعل الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أهل السماء جميعاً من أهل السعادة ، وجعل فريقاً من أهل الأرض من أهل السعادة ، وجعل فريقاً منهم من أهل الشقاوة .

قال الجلال ـ رحمه الله ـ فى تفسيرها ﴿ **خلق سبع سماوات** ﴾ طباقاً ﴿ **ومن الأرض مثلهن** ﴾ أى : سبع أرضين ﴿ **يتنزل الأمر بينهن** ﴾ قال : الوحى بينهن أى : يتنزل به جبريل ـ عليه السلام ـ من السماء السابعة إلى الأرض السابعة .

﴿ **طباقا** ﴾ يعنى : سماء فوق سماء ... وهكذا .

وقد علّق الشيخ ملا على قارى الحنفى ، المحدّث المفسِّر ـ رحمه الله ـ على ذلك الكلام الذى ذكره الجلال السيوطى من أن جبريل ـ عليه السلام ـ ينزل بالوحى من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ـ فقال لم يذكره أحد من المفسرين . فقيل له : وأنت ماذا عرفت من تفسيرها يا شيخ على ؟ إذا أردت الوحى الذى ينزل بالتكاليف الشرعية فكلامك مسلّم ، وإذا أردت بالوحى : القضاء والقدر فكلامك غير مسلّم ...

﴿ **يتنزّل الأمرُ بينَهُن** ﴾ مامعنى ذلك ؟

---

(٨) الطلاق : ١٢ .

(٩) البقرة : ٣ .

ذهب فريق من العلماء إلى أن المراد بالأمر : الوحى أى القرآن ينزل به سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ من السماء السابعة إلى الأرض الأولى فقط هذا قول .

﴿ **يتنزلُ الأمرُ بينهُنّ** ﴾ قيل : أى بين السموات السبع فقط . هذا قول ، ومنهم من فسَّر ﴿ **يتنزلُ الأمرُ بينَهنّ** ﴾ أى : من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ، والمراد بذلك : القضاء والقدر ، وليس الأمر هو الوحى بالتكاليف الشرعية ...

فكيف تفسر يا جلال ﴿ **يتنزل الأمرُ بينهُنّ** ﴾ أنه الوحى ينزل به سيدنا جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ؟

قولك هذا إن أردت به الوحى بالتكاليف الشرعية غير مسلّم . لأن العلماء جميعاً لم يقل واحد منهم بمثل هذا الكلام .

وإنما الذى قاله العلماء : أن المراد بالأمر : الوحى الذى فيه التكاليف الشرعية فينزل من السماء السابعة إلى الأرض الأولى لأن فيها الأنبياء والبشر أو المراد بالوحى : القضاء والقدر ، فينزل به من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ؛ لأن القضاء والقدر نافذ فى الإنس والجن جميعاً

(والحاصل) أن الخلاف بين المفسرين فى كلمة ﴿ **الأمر** ﴾ من قوله تعالى : ﴿ **يتنزل الأمر بينهن** ﴾ هل المراد بالأمر القضاء والقدر ؟

إذا كان كذلك فإنه يتنزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ... هذا قول وإذا كان المراد بالأمر : الوحى أى بالقرآن والتوارة والإنجيل ، فيكون المعنى : يتنزل الأمر من السماء السابعة إلى الأرض الأولى .

فماذا تقول فى تفسير ﴿ **سبعَ سمٰواتٍ طباقاً** ﴾[١٠] .

وكذلك خلق سبع أرضين طباقاً عليهن سكان الأرض الأولى وما بعدها . سئل سيدنا عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن سكان الست الأرضين مَنْ هم ؟ فقال : هم ملائكة أو جن ، فهل عندهم شمس وقمر ؟ بعض المفسرين قال : يصل إليهم ضوء الشمس والقمر ، وبعضهم قال : يخلق الله لهم نوراً .

وبعضهم قال : إن الأرضين ليست طباقاً ، وإنما هى أرضون يتصل بعضها ببعض والسماء فوق الجميع ، والشمس والقمر فوق الجميع .

---

(١٠) الملك : ٣ .

والقول الذى أختاره واطمأنت إليه نفسى : أن الله تعالى خلق سبع سمٰوات فيجب أن نعتقد هذا ، وأن السمٰوات سكانها الملائكة ـ كما جاء فى القرآن والسنة ـ ونعتقد أن الله ـ تعالى ـ خلق سبع أرضين ، نرى الأرض الأولى ، ونعرف سكانها أما ما بعد الأرض الأولى فنفوض الأمر فيه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ نعتقد أن الأرضين سَبْع ، الأولى منها يسكنها الإنس والوحوش والطيور ، كما ترون ! ، أما باقى الأرضين فأمر معرفته مفوض إلى الله تعالى .

والآية صريحة ﴿ **خلقَ سبعَ سمٰواتٍ ومن الأرضِ مثلَهن** ﴾ .

قال الجلال : ﴿ **مثلهن** ﴾ أى : سبع أرضين .

فيجب على المسلم أن يعتقد أن السمٰوات سبع ، وأن الأرضين سبع ، ولسنا مكلفين بمعرفة سكانهم حتى نبحث عنهم ! .

س : يقال إن الأرض قطعة من السماء ؛ لقوله تعالى : ﴿ **كَانَتَا رَتْقاً** ﴾[11] .

جـ : ومن الذى قال ذلك ؟ إنك لا تعرف معنى ﴿ **رَتْقاً** ﴾ !

انظر إلى النجار إذا أراد أن يصنع دولاباً أو صندوقاً ، فإنه يأتى بالخشب ويسمى الخشب خاماً قبل نشره وتصنيعه ، وكذا الحديد قبل أن يصنعه الحداد ، فإنه يسمّى خاماً ، فمعنى ﴿ **رَتْقاً** ﴾ : أن الأرض كانت ماءً ، فقلبها الله سبحانه وتعالى ـ إلى أرض ، وأن السماء كانت دخاناً ، فقلبها الله إلى سماء .

فمعنى الرتق : أنها كانت على غير ماهى عليه الآن ، كالطفل عندما كان نطفة فى بطن أمه ، فإنه يكون (رتقا) ، فإذا انقلب إلى علقة فمضغة ، فإنه يسمى عند ذلك إنساناً .

فكانت السماء دخاناً يعنى (رتقا) ، والأرض كانت ماء يعنى (رتقا) ، فقلب الله ـ تعالى ـ الماء أرضاً ، وقلب الدخان سماء .

فليس معنى (كانتا رتقا) : أن السمٰوات والأرض كانتا مثل البطيخة ، ثم شقها إلى نصفين ؟ فصارت قطعةً أرضاً ، وصارت الأخرى سماءً ، لا . ليس الأمر كما توهمت .

سمعتُ من شيخى محمد بخيت المطيعى ـ رحمه الله ـ قوله : إن السمٰوات السبع لا يعلم حقيقتهن إلا الله ، ثم قال الشيخ رحمه الله :

« قرأت فى جميع الكتب التى وصلت إلى يدى فلم أصل إلى حقيقة قاطعة فى أمر السماء

---

(١١) الأنبياء : ٣٠ .

والحق أن أمرها راجع إلى الله تعالى ، فلا يعلم بها إلا هو ، سبحانه وتعالى هو خالقها ، وهو الذى يعلمها ، ويعلم كيف خلقت .

﴿ **الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن** ﴾ .

على القول بأن المراد بالأمر : الوحى من السماء السابعة إلى الأرض الأولى فهى أوامر إلهية ، تصدر إلى الملائكة كما قال الله ـ تعالى ـ :

﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[١٢] فالسماء فيها أوامر ، لكنها أوامر مطاعة ، والأرض فيها دائما أوامر ، أحياناً تُطَاع ، وأحياناً لا تطاع ؛ لأن أهل السماء سعداء ، هم الملائكة الكرام ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم** ﴾ .

وأما الذين فى الأرض ﴿ **فمنهم شقى وسعيد** ﴾[١٣] .

فيتنزل الأمر بين السموات السبع ، ثم يتنزل إلى الأرض : وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ولا تقربوا الزنا ...

وعلى القول بأن معنى ﴿ **يتنزل الأمر بينهن** ﴾ . أى القضاء والقدر يكون المعنى : يتنزل الأمر من السماء إلى الأرض ، فالسموات السبع فيهن قضاء وقدر ، والأرضون السبع فيهن قضاء وقدر ، فما معنى القضاء والقدر ؟

معنى القضاء والقدر : أن ما رأته عينك ، وما سمعته أذنك فهو مخلوق لله ، من الذى خلقه ؟ الله ، وهو معلوم لمَنْ ؟ لله . مراد لمن ؟ لله . أراد ـ سبحانه ـ فكان ، فلا يوجد فى هذا الكون شىء غير مخلوق لله ، ولا يوجد فى هذا الكون شىء لا يعلمه الله .

معنى الإيمان بالقضاء والقدر :

فمعنى الإيمان بالقضاء والقدر : أن كل مافى الوجود مخلوق لله ، مراد لله ، معلوم لله :

ومعنى (مخلوق لله) أى مقدور لله ، فهو أثر القدرة .

(ومعلوم لله) : أى خلقه بعلمه ، فهو أثر العلم .

(ومراد لله) : أى اراده الله ، فهو أثر الإرادة .

فهذا هو معنى « القضاء والقدر » .

---

(١٢) التحريم : ٦ .

(١٣) هود : ١٠٥ .

﴿ **يتنزلُ الأمرُ بينَهن** ﴾ ... أمر بالخير ، كن فكان ، أمر بالتقدير : كن طويلاً ، كن قصيراً ، كن عريضاً ، كن أبيض ، كن أحمر ، أمر بالمقادير فكانت .

فالأمر الأول : كن بالقدرة ، قدرة الله .

والأمر الثانى : كن بالإرادة .

فالأمر بالقدرة سبق الأمر بالإرادة ، وهذا معنى : ﴿ **يتنزل الأمرُ بينهن** ﴾ .

فما رأته عيناك ، وما سمعته أذناك آثار لقدرة الله ، آثار لإرادة الله ، آثار لعلم الله ، لا خالق إلا الله ، لا معبود إلا الله .

هذا معنى القضاء والقدر ، أنت قد أردت أن تصلى الجمعة ، خرجت من البيت ، وأنت تريد الصلاة فى الأزهر ، هذا هو القضاء ، فإذا أتيت المسجد ، ودخلت وصليت الجمعة فعلاً ، فهذا هو القدر .

فالفعلان وإن اختلفا فى الظاهر قد اتحدا فى الباطن ، اختلفا لفظاً ، واتحدا معنى .

فالذى نويته فى البيت يسمى (قضاء) ، وما حصل منك فى المسجد يسمى (القدر) .

فالقضاء : تعلق الإرادة بالشىء ، والقدر : تعلُّق القدرة بالشىء فإرادة الله ـ تعالى ـ خلقك فى الأزل هذا يُسَمَّى (قضاء) . وأما مجيئك إلى الدنيا ، فإنه يُسمَّى (قدرا) .

فالإرادة ـ أى القضاء ـ كالجسد ، والقدر كالظلّ ، فلا يأتى ظل إلا على قدر جسدك ، ولا يتحرك ظلك إلا بحركة جسدك .

فالقضاء كالجسد ، والقدر كالظلّ .

﴿ **وما تَشَاءُونَ إلا أن يشَاءَ اللَّه** ﴾[١٤] .

يعنى : إلا إذا شاء الله لكم ، وليس معنى ذلك : وما تشاءون الزنا وما تشاءون شرب الخمر إلا أن يشاء الله ، لا . ليس المعنى كذلك ؛ لأن آخر الآية يقول :

﴿ **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾[١٥] .

---

(١٤) الإنسان : ٣٠ .

(١٥) الإنسان : ٣١ .

الدرس السابع

حياة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فى قبورهم

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سيد الأنبياء ـ وهم جميعاً أحياء فى قبورهم يصلون فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ حىٌّ عند ربه .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **مامِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَىَّ ـ وفى رواية عند قَبْرى ـ إلا ردَّ اللَّهُ عَلَىَّ رُوحِى فأَرُدَّ عليه السلام** »[1] ، هذا حديث صحيح ورد فى كتب السنة الصحيحة .

فهم دائماً يسلمون عليه بالليل والنهار ، وهو حىٌّ يردُّ عليهم السلام ـ اللهم صلّ عليه وعلى آله .

وقد جاء فى كتب السنة أن الصحابة قالوا : يا رسول الله : هذا حالنا معك : نصلى ونسلّم عليك ، وتسمعنا ، فكيف حال إخواننا الذين يأتون من بعدنا ؟

قال : « **أسمع الصلاة والسلام علىّ قالوا : كيف وقد أَرِمْتَ ؟ يقولون : بليت قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (إن اللَّهَ حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجسادَ الأنبياء) »**[2] .

وهذا يوافق ما جاء فى صحيح البخارى أن الأنبياء جميعاً جاءوا بأجسادهم وثيابهم ـ فى ليلة الإسراء ـ وصلى بهم النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالحديث الذى تقدم يوافق ما جاء فى البخارى أن الله حفظ أجساد الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . ونبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو أفضل الأنبياء ـ بإجماع العلماء ـ فله المزايا جميعها ، وهو أفضلهم ، لأنهم قد انصرفوا بعد الصلاة ، ورقى هو إلى السماوات ، فرأى آدم ـ عليه السلام ـ فى السماء الأولى ، ورأى سيدنا يحيى وسيدنا عيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فى السماء الثانية ،

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) جاء فى سنن النسائى وأبى داود وابن ماجه وأحمد والبيهقى فى حياة الأنبياء وشعب الإيمان . عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ « أفضل أيامكم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا من الصلاة على فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ . قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ ـ يقولون : بليت ـ فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

ورأى سيدنا يوسف فى السماء الثالثة ، ورأى سيدنا إدريس فى السماء الرابعة ، ورأى سيدنا هارون ـ عليهم السلام جميعا ـ فى السماء الخامسة ، ورأى سيدنا موسى فى السماء السادسة ، ورأى سيدنا إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام أجمعين ـ فى السماء السابعة .

ولا يبعد على المصطفى أن يذهب إلى السماوات بعد الموت ، كما أن إخوانه من الأنبياء صعدوا إلى السماوات بعد الموت ، وكما أنهم اجتمعوا فى الشام وهم أموات فالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس بمستحيل عليه أن يأتينا إلى مصر ، وأن يذهب إلى الشام ، كما فعل إخوانه الأنبياء والمرسلون ـ عليهم الصلاة والسلام .

فهم صوفى لآية كريمة :

وقد صدق الصوفية حينما قالوا : إن الله ـ تعالى ـ قد وصف النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بوصفين : قال له فى القرآن : أنت شمس ، وأنت قمر ، فقال سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إنا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومبشراً ونذِيراً . وداعِياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسِرَاجاً منِيراً** ﴾[٣] .

السراج : هو الشمس ، والمنير : هو القمر !! ، كما قال تعالى ﴿ **وجعلَ القَمَرَ فيهِنَّ نُوراً وجعلَ الشمْسَ سِرَاجاً** ﴾[٤] .

الجلال[٥] يقول : هذه الشمس تنور السماوات السبع ، والقمر : ينوّر السموات السبع ، لقوله تعالى ﴿ **فيهن** ﴾ رأيت هذا الكلام فى تفسير الجلالين .

فالشمس : تسمى سراجاً ، والقمر : يسمى منيراً ، فقال الله تعالى لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ **وسراجاً منيراً** ﴾ أى : أنت سراج ، وأنت منير ، أنت شمس ، وأنت قمر .

فالصوفية قد قالوا : النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ جُعِلَ شبيهاً للشمس ؛ لأنها واحدة ، تُرَى فى جميع الدنيا أنها واحدة ، ونورها قَد عمَّ الكون .

والمصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ له نور ظاهر ، ونورٌ باطن ، فنورُه ـ نورُ نَفْسِه ـ وصل إلى انجلترا ، وإلى تركيا ، وإلى إيران ، وإلى جنوب السودان ، وهو نور دينه وقرآنه وعلمه ، وصل هذا النور الظاهر ، وعمَّ الدنيا . والنور الباطنى ـ الذى هو مرئى لأرباب البصائر ـ هو نور معنوى ملأ القلوب ، فما من مؤمن يسلّم عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا ويدخل النور قلبه .

---

(٣) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) نوح : ١٦ .

(٥) أى سيدى جلال الدين السيوطى فى تفسيره ، ينظر بحاشية العلامة الصاوى ٢١١/٤ .

وله ـ ﷺ ـ نورٌ حِسّىٌّ ، يرى لأرباب البصائر ، فهو شمس الدنيا وقمرها ، والشمس يصل شعاعها إلى جميع الدنيا ، وشعاع شرعه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصل إلى جميع الدنيا ، فهو شبّه بالشمس فى وصول نورها إلى جميع العالم .

سيدى يا محمد يا رسول الله : الشمس واحدة وقد عمَّ شعاعها ، وأنت ـ بين البشر ـ واحد ، وقد عمَّ شرعك جميع الدنيا ، وهذا الشرع من أنوارك المعنوية ، أما أنوارك الحسية فترى لأرباب البصائر .

فالأنوار المعنوية على قسمين : نور الشرع ، والنور المحمدى الذى دخل قلوب المسلمين ، فما من قلب فيه نورٌ محمدى إلا وفيه حبٌّ محمدىٌّ .

ولذلك كانت هذه الأمة المحمدية خير الأمم ، لأنها أوسع الأمم ، بعموم رسالة نبيها ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ القائل « **وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّة** »[٦] .

فأمته هم أوسع الأمم وأكثرها ، وقد وصل نوره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى جميع قلوبهم مع كثرتهم واتساع بلادهم .

وإذا حَلَّتِ الهدايـــةُ قلبـــاً نَشِطت للعبـــــــادةِ الأعضاءُ

وأول هداية تنزل من عند الله ـ تعالى ـ على المؤمن : حبُّ الله ـ تعالى ـ ، وحب نبيه قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **ألا لاَ إيمانَ لِمَن لا محبَّةَ له** »[٧] .

ونحن ـ المؤمنين ـ قد أخذنا الوراثة بالمحبة ، فحب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ متوارث فى قلوب المؤمنين بسبب نوره الذى دخل قلوبهم ، والمحبة تورث الاتباع ، فنحن نحب الآباء والأمهات بسبب أمره ـ عليه الصلاة والسلام ـ لنا بذلك ، وهو قد جاءنا بالقرآن من عند الله ـ تعالى ـ ، وفى القرآن : جاء الأمر بحب الوالدين .

فمن لا يبصر نور الشمس ولا ضوء القمر ماذا نصنع به ؟ نقول له : إن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمامك شمس وقمر ، أما حرَّك قلبك نور الشمس ولا ضوء القمر ؟! .

آلاف المساجد فى جمهورية مصر العربية يؤذَّن فيها ، ويخطَب ويُصلّى ، هذه أنوار الرسالة المحمدية هنا فى مصر ، وهناك فى الشام ، وفى الهند ، .. وغيرها ، فالأنوار قد عمَّت سائر البلدان منك يا رسول الله ! وجميع المصلين لك فى قلوبهم حبٌّ ووداد .

---

(٦) رواه البخارى فى كتاب الصلاة .

(٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

﴿ **وما أرسلناك إلا كافَّةً للناسِ** ﴾[٨] وفى الزيارة بعد الحج نراك يا رسول الله قد صدق الله قولك ﴿ **بُعِثْتُ إلى الناس كافَّةً** ﴾[٩] إلى الأبيض والأسود والأحمر رجالاً ونساء ، بالآلاف ، يسلمون عليك ، صدَّق الله قولك ، وصدَّق ما أخبرتنا « **بُعِثْتُ إلى الأسْوَدِ والأحْمَرِ والأبيضِ** »[١٠] .

هاهم قد جاءوا يسلمون عليك ـ على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ـ يسلمون عليك لأنك حى عند ربك ، يسلمون عليك فى الصلوات ، فى كل صلاة يقولون : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، لم يسلّموا على المعدوم ، وإنما يسلمون على الموجود ، لم يسلّموا على الميت الذى لا يسمع ، وإنما يسلمون على الحى الذى يصلى فى قبره .

فتعالى الله ، سبحان مَنْ أحياك ، ومَنْ أعطاك ، ومَنْ نورَّك ، ومن حَبَّبَ القلوب فيك يارسول الله ﴿ **وكان فضلُ اللهِ عليك عظِيما** ﴾[١١] من يستطيع أن يشرح كلمة (عظيما) ؟ لا أحد يقدر على ذلك ، فهذا الفضل العظيم يعلمه الله « **وعَلّمك مالم تكن تعلَمُ وكان فَضْلُ اللهِ عليك عَظِيماً** » . عليك السلام يا رسول الله .

فاللهم بفضله عندك : اغفر لنا ، وارحمنا ، اللهم اهدنا إليك ، اللهم احفظنا بحفظك المنيع الذى حفظت به السماوات والأرض ، قلت وقولك الحق ﴿ **وَسِع كُرسِيُّهُ السماواتِ والأرضَ ولا يؤوده** ﴾ أى ولا يعجزه ﴿ **حفظهُما وهُو العلىُّ العَظِيمُ** ﴾[١٢] ..

اللهم احفظنا بما حفظت به السماوات والأرض ﴿ **إنَ اللهَ يُمْسِكُ السَموات والأرضَ أن تَزُولاَ** ﴾[١٣] ، ﴿ **ويُمْسِكُ السَّماءَ أن تقَعَ على الأرضِ إلا بإذْنِه** ﴾[١٤] .

المحبة وثمارها :

الخير والشر مغروسان فى أرض الحب ، فما وقع من الخير ما وقع إلا بالحب ، وما وقع من الشر ما وقع إلا بالحب .

---

(٨) سبأ : ٢٨ .

(٩) رواه البخارى .

(١٠) رواه مسلم والدارمى بلفظ مقارب .

(١١) النساء : ١١٣ .

(١٢) البقرة : ٢٥٥ .

(١٣) فاطر ٤١ .

(١٤) الحج ٦٥ .

وأعظم حب : حب العبد لربه ، فهو الهادى إلى طرق الخير فى الحب ، والنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد جمع لنا الحب كله فى كلمات قلائل ، فقال : « **أحبُّوا اللَّهَ لما يَغْذُوكم به من نعم** » أى : يا أمتى أحبوا الله ، وفكروا فى النعم التى يغذّيكم بها ، فسبب الحب : النّعم « **وأَحِبُّونى لِحُبِّ اللَّهِ لى** » أى : فمحبتى لأجل محبة الله ـ تعالى ـ لى ﴿ **وأَحِبُّوا آلَ بَيْتِى مِنْ أَجْلِى** ﴾[١٥] .

فمحبة الله تعالى واجبة شرعاً على كل مسلم ومسلمة ، ولكننا نحب أولادنا ونحب نساءنا ونحب أموالنا ، لأننا لا نعرف هذا الحب الإلهى ، لماذا نحب الله ؟ إن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال « **لِما يَغْذُوكِمْ بِهِ مِنْ نِعَم** » أى هو ـ سبحانه وتعالى ـ حَبَاك لكى تحبه ، ومع الحبّ قدّم إكراماً : خلقك فى أحسن تقويم ، ﴿ **ألَمْ نَجْعل لَّه عيْنَيْن ولِسَاناً وشَفَتَيْن** ﴾[١٦] ، ﴿ **وَرَزَقَكُم من الطَّيِّبَات** ﴾[١٧] ، كل هذا مع الحب ، فالله ـ تعالى ـ قدّم لنا حباً وإنعاماً ، حباً وإكراماً ، فنحن نحبه ـ سبحانه وتعالى ـ وإذا أحببناه فماذا نقدم له ؟ إنه لا يحتاج إلى شىء ؛ لأنه غنىّ عن العالمين ، فهو يحبنا ونحبه ، وكل عمل نتقرب به إليه إنما نقدمه لأنفسنا : صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحجّ ، كل ذلك نقدمه لأنفسنا ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يدعونا إلى فعل الخيرات لماذا ؟ لأنه يحبنا ؟ لأن من يحبك لا يحب لك السوء ، لا يحب لك النار ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لمَّا حَبَانا وهدانا للإيمان ، وأعطانا هذه النعم العظيمة ، حذرنا من المخاطر التى تحيط بنا ، ما دمت أحبكم فلا أحب لكم أن تدخلوا جهنم ﴿ **وَلَا يرضَى لعبادِهِ الكُفْرَ** ﴾[١٨] ، ﴿ **واتقوا النَّارَ التى أُعِدَّتْ للكَافِرِينَ** ﴾[١٩] فأنت يا ربنا الحبيب الحق ، وكيف النجاة من جهنم ؟ قال ﴿ **وافْعَلُوا الخيرَ لَعلكُم تُفْلِحُون** ﴾[٢٠] هناك أشياء تمنع من جهنم : الصلاة ، الحج ، الصيام .. هذه أشياء تقى من نار جهنم .

سبحان الله ! إنه يخاف علينا من أمور قادمة يوم القيامة ، ومن محبته لنا حذرنا منها فقال ﴿ **قُوا أنفسَكُم وأهلِيكُم ناراً** ﴾[٢١] (قوا) اعملوا بينكم وبينها حاجزاً ، اجعلوا بينكم وبينها حجاباً .

---

(١٥) رواه الترمذى فى المناقب .

(١٦) البلد : ٨ ، ٩ .

(١٧) غافر : ٦٤ .

(١٨) الزمر : ٧ .

(١٩) آل عمران ١٣١ .

(٢٠) الحج ٧٧

(٢١) التحريم/ ٦

تصحيح خطأ شائع :

يقول بعض الناس : كن بعيدا عن الشرّ وغَنّ له !! كيف يغنى الإنسان للشر ؟ هل هو فرحٌ به ؟ هذا كلام غير مستقيم ، وإنما الصواب أن يقال : كن بعيداً عن الشرّ وقَنّ له بالقاف ـ أى اعمل بينك وبينه قناة أى حاجزاً .

فمن محبة الله تعالى لنا أنعم علينا بنعم عظيمة ، لماذا هى عظيمة ؟ لأن فيها مظاهر القدرة ودلائل الإعجاز ، أنت وأهلك وأهل البلاد جميعاً هل تستطيعون أن تخرجوا من الطين برتقالة لا ، ولكن الله الخالق المنعم يخرج لكم من الطين برتقالة حلوة ، تأكلونها هنيئاً ، وهذا من محبة الله تعالى لكم .

﴿ **قوا أنفسَكُم وأهلِيكُم ناراً** ﴾ ، أرحم الراحمين ـ سبحانه ـ لا يحب لنا أن نحترق بالنار ، أرحم الراحمين لا يحب لنا الإهانة والمذلة فى الدنيا ، أرحم الراحمين لا يحب لنا السوء ، بل يريد بنا أن نكون فرحين مسرورين منبسطين ، وكيف يكون فرحنا ؟

لقد أخبرنا أن الفرح الحقيقى إنما هو بذكره وبعبادته وفى طاعته ، فما دمت تُصَلّى ، فإن روحك تكون فرحة مسرورة ، وتأتى الجمعة فى جَمْع من إخوانك وأنت فرح ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس معك وحدك ، وإنما مع كل إنسان وفى أى مكان وزمان ، ﴿ **وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنتُمْ** ﴾[٢٢] ، والإنسان عندما يدرك ذلك يقول : واخجلى من عتاب ربى لى ، يقول الإمام البرعى ـ رضى الله عنه :

وَاخَجْلَتِى من عتابِ رَبِّى إن قال أَسْرَفْتَ يا فُلانُ
إلى متى أنت فى المعاصى تسيرُ مُرْخَى لكَ العَنَانُ
لم يَنْهَكَ الشيبُ عن حُدُودِى ولا رَسُولِى وَلَا القُرانُ

فيوم القيامة هو ـ سبحانه ـ معنا يحاسبنا على ما فرطنا ، لماذا يقول لنا (وهو معكم) ؟ لأننا نسمع ونعقل ، فهو يذكّرنا لنتأدب ونستعد للقائه .

من علامات المحبة :

فالذى يحب حقاً لا ينسى محبوبه حتى فى أشد حالات الألم ، كان أحد الشعراء يحب امرأة فمما قاله لها :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

---

(٢٢) الحديد : ٤ .

فهو يقول لها : وأنا فى الحرب أضرب بالسيوف والحراب ، والدم يسيل منى ، لم أنْسَكِ بل تذكرتك فى هذا الوقت العصيب ، فالمصائب لا تُنسى الحب الحقيقى بل تميزه من الحب الكاذب .

فالمؤمن الصادق يكون مصاباً بالحمى وهو يحب ربه ، يحب ربه وهو مريض ، لا يقول : كيف أحبه وهو يصيبنى بالحمى ؟! ، لأن الحمى لها ألف درجة عند الله لمن يصبر ويحتسب ، فكلما أحببت الله ـ تعالى ـ وأنت مريض أكرمك وأحبك ، هو يريد منك الحمد ، تقول : الحمد لله ، فيضاعف لك حسناتك ويرفع درجاتك ، من الذى يبتلى ومن الذى يمنع ؟ هو الله . وإذا أصابك شيء يحزنك فتذكر ماذا فعلت ، تذكر الشيء الذى اقترفته مما يغضب ربك ـ سبحانه وتعالى ـ فإذا أصابتك مصيبة فاعلم أنها بسبب ذنوبك فقل : اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ، ولا تنس ذلك ﴿ **والذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحشَةً أو ظَلَموا أنفُسَهُمْ ذكَرُوا اللَّهَ فاستَغفَرُوا لذنوبِهم ومن يغفِر الذنُوبَ إلا اللَّه** ﴾[٢٤] من سواه ؟ لا أحد اللهم وفقنا إلى حبك .

وصية نبوية :

عن ربيعة بن كعب ـ رضى الله عنه ـ قال « **كنت أبيت مع رسول الله ـ ﷺ ـ فآتيه بِوَضُوئه وحاجتِهِ . فقال لى : سَلْنى . فقلتُ : أسألك مرافقتَكَ فى الجنةِ . قال : (أو غير ذلك) ؟ قلتُ : هو ذَاك . قال : أعِنّى على نفسِك بكثرةَ السجُودِ** »[٢٥] .

أى : أكثر من الصلاة ـ فرضاً ونفلا ـ حتى تدخل معه « **أعنى على نفسك بكثرة السجود** » ليس كلامك فقط ، تقول : أدخل الجنة معك يا رسول الله ، لا ولكن اعمل ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فسَيَرى اللهُ عملَكُم ورسُولُه** ﴾[٢٦] ، اعملوا حتى تدخلوا الجنة .

أنت تسافر إلى القاهرة وتترك أمك فى الصعيد شهوراً طويلة ، وأنت مسئول عنها فهل فكرت فيها ؟ لابد أن يكون قلبك معها ، إن غابت عن عينك فلا ينبغى أن تغيب عن قلبك ، ولا تنس أهلك : خالتك ، عمتك ، جارك ، فلا تسمع كلام امرأتك إذا أبعدتك عنهم ، لأن كلامها لا ينفع ، فاسمع الكلام النافع .

« الفاتحة لسيدنا الحسن وسيدنا الحسين » .

---

(٢٣) ق : ١٦ .

(٢٤) آل عمران : ١٣٥ .

(٢٥) رواه مسلم .

(٢٦) التوبة : ١٠٥ .

تفسير آية :

﴿ **يا أيها الذينَ آمنُوا اتقُوا اللَّه** ﴾ هذا نداء من الله ـ تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا ـ ما معناها ؟ هو : يامن صدقتم بوجود الله ، يامن صدقتم بشرعه ﴿ **اتقوا الله** ﴾ كيف نكون متقين يارب ؟ إنه يعلمنا ما يرزقنا التقوى ﴿ **اتقوا اللهَ ولْتنظُرْ نَفْسٌ ما قدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾[٢٧] اتقوا الله ، واجعلوا أنفسكم تنظر ما قدمت ليوم القيامة ؛ لأن المراد بالنظر هنا الفكر ، لأن يوم القيامة لابد من مجيئه ، ففكروا فيما قدمتم لأنفسكم لذلك اليوم ، ﴿ **واتقوا الله** ﴾ خافوا الله ﴿ **إن اللَّهَ خبيرٌ بِمَا تعْمَلُونَ** ﴾ فهو قد أمرنا أولا بالتقوى ، أى التفكر ففكر أنت فى نفسك : ماذا قدمت ليوم القيامة ، خيراً أم شراً ؟ كل صغيرة وكبيرة فعلتها ستجدها أمامك يوم القيامة ، فإن كانت خيراً فقل الحمد لله ، وإن كانت شراً فاستغفر الله .

وأعمالك التى تعملها الآن اتق الله فيها ، لأنه كرر التقوى مرتين فى هذه الآية ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ ولْتنظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا الله** ﴾ فمعنى ﴿ **اتقوا الله** ﴾ فكروا كثيراً فيما فعلتم ﴿ **واتقوا الله** ﴾ الآن فى أعمالكم ، خافوا من الله ، لماذا ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

أنت يا فلان : ماذا تشرب ؟ البيرة .. إن الله خبير يعرف هذه البيرة وما أصلها ؟ فأنت لن تخادع الله ـ تعالى ـ ، وهو خبير ، يعرف الذى يقعد فى أى خماره ، هو خبير عليم ، وملائكته يعرفون ويكتبون !! .

فاتقوا الله فى الأعمال جميعها فإنه يعلمها ﴿ **إنَّ اللَّه خبِيرٌ بما تعْمَلُون** ﴾ أنت تسير فى الشارع فتنظر لامرأة لماذا تفعل ذلك ؟ إن الله ـ تعالى ـ خبير بك وبها ، والملك يكتب كتابة مفصلة دقيقة « فلان بن فلان بن فلانة نظر إلى فلانة بنت فلان فى ساعة كذا ، فى الجيزة ، فى العتبة ... فى المكان المحدد . وهذا أمر يخاف منه أى إنسان مؤمن .

﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ فلان يتربص بفلان ، ويختبىء له بالليل ، وفى الظلام ثم يضربه بالنبوت (العصا) ثم يفر هارباً ، ويظن أنه أفلت من العقاب كَلاّ ! إن الله ـ تعالى ـ يعلم من كان يحمل النبوت ، إنه فلان بن فلان ، وقد ضرب فلاناً بن فلان فى ساعة كذا ، فى بلدة كذا .. كل ذلك يكتب ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

وإذا أحضر له حبلاً وخنقه به فربنا ـ سبحانه ـ يعرف ذلك ؛ لأنه خبير ، يعلم بالحبل وماذا صنع به صاحبه ، فيكتب فى صحيفة عمله : فلان بن فلان خنق فلاناً بن فلان بحبل ـ مصنوع من ليف أو تيل ـ فى يوم كذا فى ساعة كذا ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

---

(٢٧) الحشر : ١٨ .

فلان توضأ للفجر وتهيأ للخروج ، الملائكة تكتب فى حسناته خروجه ، وصلاته : فلان يمشى إلى مسجد مولانا الحسين ليصلى الصبح ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

الطاعة تورث الفرح والمعصية تورث الغم :

فلتذهب يوماً إلى مسجد مولانا الحسين ـ رضى الله عنه ـ ثم صل هناك ، وبعد الصلاة ادخل عنده وقل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فإنه يرد عليك ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فكل أمر تفعله يرضى الله ـ تعالى ـ يرضيك فى الدنيا والآخرة ، ويدخل فى قلبك الفرح ، وجرب كلامى هذا ، يملأ السرور قلبك ، حتى عندما تعود إلى البيت ينتقل السرور منك إلى امرأتك تجدها تضحك وتفرح لأن الله ـ تعالى ـ يرضيها عنك . أما إذا رقدت حتى طلوع الشمس ـ لا وضوء ولا صلاة ـ فإنك تصبح مكدراً فينتقل ذلك إلى امرأتك ، تجدها غاضبة عليك ، وتأتى لك بما يحزنك ويكدّرك ، لأنك قد أغضبت الله ـ تعالى ـ وما دمت أغضبته فإنه يغضبها عليك ﴿ **جَزَاءً وِفَاقاً** ﴾[٢٨] .

كما أنك إذا زرت أمك وهى عجوز تحتاج إلى العطف والرحمة ، وأخذت معك هدية لها فإنها تفرح ، وترضى عنك ، وتقول : اللهم أفرحه كما أفرحنى ، وأرضه كما أرضانى ، فإن الله ـ تعالى ـ يسمع قولها ويأتى لك بالفرح والسرور أما إذا غفلت عنها ، ولم تعطها شيئاً ، وحرمتها مما أعطاك الله ، فإنها قد تغضب ، وتقول : اللهم احرمه كما حرمنى ولم يسأل عنى ، فلا يستطيع أن يستمتع بالأكل ، ويحزن قلبه ، وتغضب زوجته عليه ، لأن أمه غاضبة عليه .

فالدنيا مرتبطة بالأسباب ، والأم سبب من أسباب نعمة الله التى أمر الله ـ تعالى ـ بالشكر لها ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي ولوالِدَيْكَ** ﴾[٢٩] فإذا غبت عنها فأرسل لها خطاباً واسأل عنها ، وأعطها شيئا حتى لا تنساك من الدعاء ، إن الولد ينسى الوالد ، ولكن الوالد لا ينسى ، فلابد أن ترسل إليهما شيئاً ولو مجرد السلام ، فإن الأم تفرح به وتقول : ابنى يسأل عنى ، اللهم افتح عليه ، وحينما تنساهما فإنهما يحزنان ويقولان : الولد لم يرسل ولو خطاباً واحداً ، وقد يغضبان عليك ، وعند ذلك تضيق بك الدنيا وتضيق بها ، وعلاج ذلك بيدك لو أحسنت إليهما .

إذا ضاق صدرك فاسأل عن السبب ، وفتش فى نفسك ، واسألها : من أغضبت ؟ مَنْ ظلمت ؟ ماذا فعلت ؟ إذا أغضبت الله ـ تعالى ـ فاستغفر وتُبْ ﴿ **فقلتُ استَغْفِروا رَبَّكُم**

---

(٢٨) النبأ : ٢٦ .

(٢٩) لقمان : ١٤ .

إنه كان غفّاراً ﴾[٣٠] ، (كان غفارا) أى كثير الغفر ، وكثير السماح . ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ ربنا وصف نفسه ـ سبحانه ـ بأنه خبير بصير ، يرانا كيف نعمل ، خبير بالعمل ، ووقته وفى أى بلد ، بصير وخبير .

﴿ **ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يعلم ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُون** ﴾[٣١] فاحذر أن تقول : إنى استخفيت فى بيتى فلا أحد يرانى ، أو تقول ذلك حينما تأوى إلى فراشك وتغطى جسمك بالغطاء ولكن تذكر ﴿ **ألا حين يستغشون ثيابهم** ﴾ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم ماذا تصنع .

أما الكفار فهم كالأنعام لا يعرفون شيئاً من ذلك ﴿ **أولئك كالأنعام** ﴾ ، فالبقر والغنم والإبل أفضل من الكفار ؛ لأنها تعرف الله ـ تعالى ـ ، والله ـ تعالى ـ يقول ﴿ **بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾[٣٢] ، سبحانك يا علام الغيوب ، ياعالم الغيب !

أنوار الصلاة :

الصلاة نور ، ولها ثواب عظيم ، سورة (ألم نشرح) لها ثواب عظيم ، عندما تدخل فى صلاتك تقول : الله أكبر ، يحدث لك نور ، ثم تركع ، والركوع له نور ، يقول الله ـ سبحانه ـ لملائكته : ماذا يصنع عبدى ؟ فتقول الملائكة : إنه يركع لك يارب ، فالركوع فيه تواضع وخضوع لله ـ تعالى ـ .

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **مَنْ تواضَعَ للهِ رفعه** »[٣٣] وإذا سجد العبد لله ـ تعالى ـ فإن سجوده منتهى التواضع والتذلل لله ـ تعالى ـ ، وهو للعبد منتهى العزة والشرف ، وعلو القدر ، يقول ابن الفارض :

تواضعت ذلاً وانخفاضاً لعزّها فشرَّف قدرى فى هواها التواضع

أى : تواضعت للحضرة الإلهية ، ثم يقول ـ رحمه الله ـ :

فقلت لها ياقرة العين هل إلى لقاك سبيل ليس فيه موانعُ

والموانع كثيرة جداً ، إلا إذا كتب الله السلامة منها ، فالزوجة كثيراً ما تكون من الموانع ، عندما تكره رؤية المسبحة فى يده ، تكره الكتب التى يقرؤها ، تكره استغراقه فى العبادة ، وتظن أن ذلك يشغله عنها ، فهى من الموانع .

---

(٣٠) نوح ١٠ .

(٣١) هود : ٥ .

(٣٢) الأعراف : ١٧٩ .

(٣٣) رواه الإمام أحمد وابن ماجه

والإنسان لا يدرك شيئاً من ذلك ، ولو كشف الحجاب ما ترك أحد الصلاة ، ففيها الأنوار والأسرار ، والقرب .

من أسرار الصلاة وفوائدها :

قال عليه الصلاة والسلام : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** »[٣٤] .

تفكر فى هذا الكلام : عندما تسجد فأنت أقرب ما تكون منه ـ سبحانه وتعالى ـ تكلمه فيسمعك تقول : اللهم اغفر لى ، تناجيه فيسمع عنك ﴿ **فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾[٣٥] .

الصلاة نعمة عظيمة ! الصلاة نعمة عظيمة ! .

كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا حزبه أمر (أى اشتد عليه)فزع إلى الصلاة .

فاقتد به أيها المؤمن ، إذا اشتد عليك حال فتوضأ وصلّ ـ كما كان ـ ﷺ ـ يفزع إلى الصلاة ، أى يسارع إلى الوضوء والصلاة وإذا قمت إلى الصلاة فصل وأنت توقن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يراك ، وهذا هو مقام الإحسان الذى قال فيه المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** »[٣٦] فهل وقفت يوماً لتصلى وتذكرت أن الله ـ تعالى ـ ينظر إليك ؟ إن الصلاة لها فوائد ، ولها ميازيب تتنزل منها الأسرار ، والميازيب لها مفاتيح ، فهل أنت تذكرت فى صلاتك أن الله ـ تعالى ـ ناظر إليك ، إن فعلت ذلك يأتك المدد من نظر الله لك ، فنظرة الله ـ تعالى ـ إليك عظيمة ، وكل شىء له حلاوة وعلاوة ، فحضور قلبك فى الصلاة ، وتذكرك أنك فى معية الله تنال بسببه جزاء عظيماً من الله ـ تعالى ـ .

فيجب على المصلى أن يعتقد أنه إذا قال :بسم الله الرحمن الرحيم ، فإن الله ـ تعالى ـ يسمعها قبل أن يسمعها هو من نفسه ، والعبد ينال ثواباًعظيماً بذلك الاعتقاد . « **إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وأَرَى** »[٣٧] فإذا كانت لك حاجات تطلبها ، أو شكوى تبثها فيجب عليك أن تعتقد أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلمها من قبل أن تنطق بها :

ويمنعنى الشكوى إلى الناس أننى عليل ومن أشكو إليه عليل
ويمنعنى الشكوى إلى الله أنه عليم بما أبديه قبل أقول

---

(٣٤) رواه مسلم وأبو داود عن أبى هريرة
(٣٥) طه/ ٧
(٣٦) رواه البخارى ومسلم
(٣٧) طه/ ٤٦

فإذا كنت تصلى بهذه الكيفية : تذكُر أن الله ناظر إليك ، وتذكر أن الله سامع كلامك ، وتذكر أن الله عالم بك وبقلبك ، فاعلم أن هذا عطاء لا يقدر أحد أن يأتى بمثله ، عطاء لا يباع ولا يشترى ولا يوهب ، إنه غالٍ يجيىء بمحض فضل الله ، أما إذا جاء الحجاب فإنه يصيّر القلب كالحجر ، فتقف فى الصلاة وتنسى أن ربنا ناظر إليك ، وأن الله يسمعك فأنت مثل قطعة الحجر ، ولكن عندما تتذكر أن الله معك يسمع ويرى ، فأنت مَلَك ، لأن الملائكة « **يسبِّحونَ الليلَ والنهارَ لايَفْتُرونَ** »[٣٨] ، « **وَهُمْ لَايَسْأَمُونَ** »[٣٩] يذكرون الله وهم يدركون أن الله ناظر إليهم ، وسامعٌ كلامهم . عندك علم كثير ، فأين تذهب به ؟ ما ذكرته لك هو العلم الحقيقى الذى ينفع ، العلم هو أن نعتقد أن الله يسمعنا ، أن نراقبه وأن نعلم أنه ــ سبحانه وتعالى ــ يرانا ، كلمتان خير من الدنيا وما فيها ، « **إننى مَعَكُمَا أَسْمع وأَرَى** »[٤٠] أى كل كلمة تتكلمها ، حتى فى داخل بيتك ، بينك وبين زوجتك ، هو يسمعها ، إن كانت عدلًا أو ظلماً ، أى شىء تفعله معها فهو يراك ، إذا ضربتها فهو يراك .

موعظة نبوية بليغة :

قال ــعليه الصلاة والسلام : ــ « **عجبتُ لغافلٍ وليس بمغفولٍ عنه ، وعجبتُ لمن يضحَكُ بملِ فِيهِ وهو لايدْرِى أَرَضِىَ اللهُ عليه أم سَخِط** »[٤١]

لماذا تضحك ؟ إذا عرفت أن ربنا راض عنك فلك حق فى ذلك ، وإذا لم تعرف فأنت جاهل ، تضحك ولا تعرف أن الله راض عنك أم غضبان ! . إن النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ يتعجب ممن يضحك بملء فيه « أى يقهقه » ولا يدرى أرضى الله عنه أم سخط . يارب ذكّرنا وعلّمنا . ماهو أغلى علم فى الدنيا ؟ أغلى علم فى الدنيا معرفةالله ، ومعرفة صفاته ــ سبحانه ــ « **يدبّرُ الأمْر من السمَاءِ إلى الأرضِ** »[٤٢] لماذا تحمل الهم ؟ « **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** » ، لماذا تشغل نفسك بالتدبير ؟ إن أمرك مدبر ، فهو يدبّر وأنت تسعى .

---

(٣٨) الأنبياء/ ٢٠
(٣٩) فصلت/ ٣٨
(٤٠) طه/ ٤٦
(٤١) رواه ابن عدى والبيهقى
(٤٢) السجده / ٥

الدرس الثامن

فى تفسير قوله تعالى :

« ألا إن أولياءَ الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزَنون . الذين آمنوا وكانوايتقونَ لهم البُشْرى فى الحياةِ الدنيا وفى الآخرةِ لاتبديلَ لكلماتِ اللهِ ذلك هو الفوزُ العظيم »«١» صدق الله العظيم .

فضل السيدة فاطمة الزهراء :

فى الصحيحين عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت :

كُنَّ ازواجُ النبى ـ ﷺ ـ عنده . فأقبلتْ فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ تمشى . ما تخطىءُ مِشْيتُها من مِشيَةِ رسول الله ـ ﷺ ـ شيئا فلما رآها رحّب بها ، وقال « مرحبًا يابنتى » ثم أجلَسَها عن يَمينه ـ أو عن شِمَالِه ـ ثم سَارّها فبكت بكاءً شديدا ، فلما رأى جَزَعَها سارَّها الثانية ، فضحكتْ ، فقلت لها : خصَّك رسولُ الله ـ ﷺ ـ من بين نِسَائِه ـ بالسِّرار ، ثم أنت تبكينَ ؟ فلما قام رسول الله ـ ﷺ ـ سألتُها : ما قال لك رسولُ الله ـ ﷺ ـ ؟ قالت : ما كنت لأفشىَ على رسولِ الله ـ ﷺ ـ سرَّه ، فلما توفى رسولُ الله ـ ﷺ ـ قلتُ : عزمتُ عليكِ بمالِي عليك من الحق لما حَدّثْتِينى ما قال لك رسولُ الله ـ ﷺ ـ ؟ فقالت : أما الآن فنعم ! أما حين سَارَّنِي فى المرةِ الأولى فأخبرنى أن جبريلَ كان يعارضُهُ القرآن فى كل سنةٍ مرةً أو مرتين ، وأنه عارضَه الآن مرتين ، « وإنى لَأَرى الأجلَ إلا قد اقتَرَب ، فاتَّقِي الله واصبرى ، فإنه نعم السلفُ أنا لكِ . فبكيتُ بكائِى الذى رأيْتِ ، فلما رأى جَزَعى سارّنى الثانية فقال « يافاطمة أما تَرْضَينَ أن تكونىَ سيدةَ نِسَاءِ المؤمنين ـ أو سيدةَ نِسَاءِ هذهِ الأُمَّةِ » ؟ فضحكتُ ضحِكِى الذى رأيت » .

وقد أجمع العلماء على أن السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ تفضل السيدة مريم بنت عمران ـ رضى الله عنها ـ لأنها قطعة من رسول الله ـ ﷺ ـ وبشرها النبى ـ ﷺ ـ بأنها تفضل نساء العالمين فى الجنة .

---

(١) يونس ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

فالحمد لله أن جعل لنا فى ديننا وفى أمتنا أولياء ، ووليات ، وأفضلهن السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ .

وفى زمن سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ كان فى قومه ولىٌ عظيم . ذكره الله ـ تعالى ـ لنا فى القرآن الكريم « **قال الذى عندهُ علمٌ من الكتابِ أنا آتِيكَ به قبل أن يَرتد إليك طَرْفُك** »[٢]

حكمة وجود كرمات الأولياء :

فقد ذكر لنا الله ـ تعالى ـ الولى وكرامة الولى ، أى : فهذا ولى كان فى زمن سليمان ـ عليه السلام ـ فعل كذا وكذا ـ من الخوارق ، وفى كل زمان ومكان عندى من عبادى أولياء ، ولهم كرمات .

فذكر هذا الرجل ـ الولى ـ فى القرآن تكرمة للأولياء والصالحين ـ وذكر كرامته ـ لالنشرك بالله ـ تعالى ـ بل لنزداد إيماناً بالله ـ تعالى ـ ، لأن معجزات الرسل وكرمات الأولياء تزيدنا إيماناً بالله ، وبقدرته ، وبتأييده لعباده الصالحين . قال ـ تعالى ـ « **وإذَا تُليتْ عليهم آياتُه زادَتْهم إيمَاناً** »[٣] سواء أكانت الآية قرآنية أم كونية ـ كالمعجزة من معجزات الرسول ـ ﷺ ـ ، فكان الصحابة كلما رأوا منه ـ ﷺ ـ معجزة زادتهم إيمانا وحباً فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وكلما رأى المؤمنون كرامة من ولىّ ازدادوا حباً فى الله ، وإيماناً بالله ، وإيماناً برسوله ـ ﷺ ـ .

طريق الولاية :

كيف أصبح السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ ولياً ؟

ـ لأنه أحب الله ـ تعالى ـ وعمل بكلام الله ، وأحب رسول الله ـ ﷺ ـ وأطاع النبى ـ ﷺ ـ فلما عمل بكل ذلك ، أعطاه خالقه وسيده ـ سبحانه وتعالى ـ كرامات ، وحبَّب عباده فيه .

فعباد الله ـ سبحانه وتعالى ـ نواصيهم بيده ، لا بيد أحد سواه ، وقلوبهم بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ جل وعز ـ .

---

(٢) النمل ٤٠

(٣) الأنفال ٢

فلما أطاع الولىّ ربه وأحبَّه : حبَّب فيه المؤمنين فى حياته وبعد مماته ، يدعون له بالخير ، ويقرءون القرآن ، ويتصدقون ، فتكون له حسنات ، ولهم أيضاً حسنات . فمن دعا للسيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ له ثواب الدعاء ، ويصل ثواب دعائه إلى السيد ـ رضى الله عنه ـ ومن تصدق برغيف ـ مثلا ـ ووهب ثواب صدقته إلى السيد ، فيأخذ المتصدق عشر حسنات ، والسيد البدوى يأخذ عشر حسنات أيضا ، فمن أكرم السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ وأحبه فكأنما أحب الله ـ تعالى ـ لأن السيد البدوى ولى من أوليائه .

فالسيد البدوى وغيره من الأولياء أحبوا الله ـ تعالى ـ فأحبهم ، وحبب فيهم خلقه ، فلا تجد أحداً يحب ملكاً أو حاكماً ـ من قلبه ـ ويزوره كما يزور الأولياء ، لأن الأولياء هم الأكابر ، السادات ، وقد سهروا الليالى يذكرون الله ـ تعالى ـ وأحبوا الله ، وحب الله ـ تعالى ـ أفضل من العبادة ـ أى أن الحب القلبى لله ـ تعالى ـ أفضل من العبادة الظاهرة ، لأنها قد لا تثمر المحبة القلبية ، والحب القلبى هبة من الله ـ تعالى ـ ولو نزل على جبل لتدكدك الجبل ، كما قال الصوفى : تدكدكت الجبال والرجال رجال

فالرجال هم : أصحاب المحبة القلبية لله ، والمشاهدة القلبية لله ، والخوف القلبى من الله ، فهؤلاء عندهم أحوالٌ تدكدك الجبال . وليست العبادة صلاة فقط ، أو تسبيحاً فقط ، أو حجا فقط ، فكل مسلم يصلى ويحج ويسبّح ، ولكنها ـ مع ذلك كله ـ حب وقرب ، فالسيد البدوى ـ وأمثاله من الأولياء ـ لهم عنايات ربَّانية ، وتجلّيات قلبية روحية ، لو نزلت على الجبال لتدكدكت الجبال ، فماذا تريد أنت من عبادتك ؟

إذا تقربت إليه خطوة تقرب إليك عشراً ، والله تعالى يقول فى الحديث القدسى : « **أنا عند ظَنّ عبدى بى** » « **وإذا تقَّرب إلىَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ..** » **الحديث .** **لا أحد قريب مثل ربنا ، لا أحد سميع مثل ربنا ، لا أحد مجيب مثل ربنا . الإنسان عندما يُغضب أمَّه فإنها تقول له : لا تكلمنى ، لست راضية عنك ! لكن الله ـ سبحانه ـ القريب ، حينما يناديه الكافر ويقول : يارب : أريد أن أسلم ، فالله ـ سبحانه ـ يقول له : لبيك : إن أسلمت غفرت لك ما قد مضى ولو مائة سنة !**

والمؤمن العاصى حينما يقول : يارب أريد أن أتوب ، يقول له : لبيك ! هل تريد أن تتوب ؟ إن تبت غفرت لك مهما كان ذنبك .

فيجب أن تنتبهوا إلى هذا جيداً ، يجب أن نعرف كرمه وجوده سبحانه ، لنعرفه حق المعرفة ، هو يكرمنا ويتحفنا ، وينعّمنا ، وليتنا نؤدى حق ذلك بالشكر والحمد ياليتنا ! وهل تنفع شيئا ليتُ ! .

« تتودَّدُ إليَّ بالنعم وأنا أتبغَّض إليك بالمعاصى ! فلم أرَ ربّاً مثلك » !! أنت يارب تعطينى كل الأشياء التى هى كفيلة بأن يمتلىء قلبى بمحبتك ، وأنا أعمل المعاصى التى تغضبك ، ومع ذلك فلا تصرف عنى وجهك ، ولاتمنع عنى إحسانك ! فلولا رحمتك وعفوك وصبرك لهلك العالم ! فسبحان من سمى نفسه : « الصبور »

« ولو يُؤَاخِذُ اللهُ الناسَ بما كَسَبوا ماتَرَكَ على ظهرِهَا من دابَّة »[٤]

فلو لم يكن ربك صبوراً ، وحاسب الناس على ذنوبهم ، لغضب عليهم ، وأهلك الدنيا وما فيها ـ حتى الحيوان ـ الجمل والبقر والغنم كان يهلك بسبب غضبه على بنى آدم « **ما ترك على ظهرها من دابَّةٍ** »

فضل الله على الأمة المحمدية :

ولكن فضل الله تعالى ورحمته بالأمة المحمدية منع خراب الأرض ، وإن ينزل عذابك يستأصل الأمة بعمها ، وإنما منع ذلك بسبب وجود النبى ـ ﷺ ـ فى الأمة فقد طلب من الله ـ تعالى ـ ودعا أن لا يهلك الأرض بمن فيها بسبب ذنوب الناس . فإذا عذّب : عذب العصاة والمذنبين فقط ، فأجاب الله ـ تعالى ـ دعاء النبى ـ ﷺ ـ .

فليست أمة محمد ـ ﷺ ـ مثل الأمم السابقة ، يرسل عليهم ريحا صرصراً تدمرهم ، أو طوفانا يغرقهم ، ولكن الله ـتعالى ـ استجاب دعاء نبيه ـ ﷺ ـ وقد أرسله رحمة للعالمين ، وقد قضى الله ـ تعالى ـ ذلك الأمر وحكم بهذا الحكم قبل أن يطلبه النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال الله ـ تعالى ـ « **وما كان اللهُ لِيُعذِّبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ** »[٥] فرفع العذاب عن الأمة المحمدية ، المؤمنون أم الكفار ؟

الأمة تشمل الكل : الذين أسلموا يسمّون أمة إجابة ، والذين لم يسلموا يسمون أمة دعوة ، أى ينتظرون من يدعوهم إلى الإسلام ، ويجب على المسلمين فى كل زمان ومكان أن يدعوا الكفار إلى الإسلام ، لأنهم يدخلون فى أمتنا ، فهم أمة دعوة ، وقد دخلوا معنا فى خصوصية رفع العذاب ، فلا يعذبهم الله عذاباً عاماً بعد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **وما كان اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ** » فى حياتك يامحمد : كنت موجوداً فيهم ، وكانوا يرونك ، وبعد مماتك أنت فيهم أيضاً وهم لا يرونك ، ولكنك تراهم بأوضح مما كنت تراهم فى حياتك ، فأنت فى روضتك بالمدينة ، ترى الدنيا وما فيها .

---

(٤) فاطر ٤٥

(٥) الأنفال ٣٣

فقد عمت بركاتك الكون ، وعمت أنوارك الأرض ومافيها ، ورفع الله العذاب عن أهل الأرض من أجل وجود أنوارك وأسرارك عليها ، فأنت يارسول الله الشفيع المشفع ، تشفع فينا ، فاللهم أغثنا من أجل نبيك ـ ﷺ .

أفضل الدعاء ماجاء فى القرآن :

« ربَّنا لاتُزِغْ قلوبَنا بعد إذْ هَدَيْتَنا وهبْ لَنا من لدُنك رحمة إنك أنتَ الوهَّاب »(٦)

فتعلموا هذه الآية ، وادعوا بها بعد كل صلاة ، لأن هذا الدعاء عَلمنا الله ـتعالى ـإياه ، قولوا يارب ندعوك بالدعاء الذى علمتنا **« ربنا لاتزغ قلوبنا » الآية** ففكر فى هذا الدعاء وفى معانيه ، هذا الدعاء الذى علمه الله لنا ، من كلامه لامن كلام نبى ولاولىّ .

لقد علّمك ربك الدعاء ، وأسمعه لك ، لأجل أن تدعو به ، ويسمعه منك ، وهو سبحانه ـ وتعالى ـ مجيب كل دعاء ، ولكنه أسرع إجابة للدعاء الذى علمك فى القرآن .

وفى الحديث : كان من أكثر دعائه ـ ﷺ ـ : **« ربنا آتِنا فى الدنيا حَسَنةً وفى الآخرة حَسَنةً وقِنا عذابَ النَّارِ »**(٧)

دعوة جامعة ، جمعت خير الدنيا ، وخير الآخرة ، وحسنات الدنيا كثيرة جداً ، الله يعلمها أكثر منّا ، فاطلب من الله الحسنة التى قالها فى القرآن ولاتتعب نفسك فى الشرح والبحث وسلّم له ـ سبحانه ..

« آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » حسنة الآخرة أنت تعلمها يارب وأنت علام الغيوب ، فأعطها لنا يارب .

ماهى حسنة الدنيا ؟

قال بعض العلماء : إن الحسنة فى الدنيا هى الزوجة الصالحة ، وقالوا فى تفسير ذلك كلاماً كثيراً ، ولكن : هل كل ماقاله العلماء يفسّر كلمات الله ؟ الجواب : لا ، قال البوصيرى :

لها مَعَانٍ كموجِ البَحْرِ فى مَدَدٍ

« آتنا فى الدنيا حسنة » كلمة عامة ، يعنى : أعطنا فى الدنيا كل شىء يكون عندك حسناً ، وترضى به عنّا ، واصرف عنّا كل شىء يكون عندك مكروها ، ويكون سببا فى غضبك علينا ،

---

(٦) آل عمران : ٨

(٧) رواه الشيخان

هذا معنى « **آتنا فى الدنيا حسنة** » ، ليس الزوجة الصالحة فقط ، هناك أشياء كثيرة جداً ، « **آتنا فى الدنيا حسنة** » مشاهدتك القلبية أفضل من مليون زوجة ! ، نشاهدك يارب بقلوبنا ، أعطنا يارب خوفاً منك عند المحرَّمات .

أفضل الذكر :

قال الحسن البوصيرى ـ رضى الله عنه ـ :

« أفضل ذكر الله عند ماحّرم الله » .

وليس أفضل الذكر أن تقول « لا إله إلا الله » « لا إله إلا الله » بلسانك فقط ، ولكن الذكر الحق : يكون عندما تحدثك نفسك بمعصية ، فتذكر أن الله معك ، ناظر إليك ، هذا الخاطر الذى يرد على قلبك أفضل من الدنيا وما فيها ، فإذا أطعت قلبك الذى يذكّرك ربك ، ولم تغفل عنه ، وامتنعت عن المعصية ، كان ذلك سبباً فى دخولك تحت ظل العرش يوم القيامة كما ذكر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من السبعة الذين يظلهم الله فى ظله ، يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه : « **ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال : إنى أخافُ اللهَ** »

فيارب أمتنا ونحن على باب عفوك ومغفرتك وكرمك .

من الحزب المغنى لسيدى أويس القرنى :

اللهم بك استعنت فأعنى ، وبك استغنيتُ فأغْنِنى ، وعليك توكلت فاكفِنى ياكافى اكفِنى المهمَّات من أمور الدنيا والآخرة ، يا رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما .. إلهى ، أنت الغافر وأنا المسىء ، وهل يرحم المسىء إلا الغافر ؟ مولاى مولاى ،إلهى أنت الربّ وأنا العبدُ ، وهل يرحمُ العبدَ إلا الرب ؟ مولاى ، مولاى ، إلهى ، أنت القوىّ وأنا الضعيفُ ، وهل يرحمُ الضعيفَ إلا القوىّ ؟ مولاى ، مولاى ، إلهى ، أنت المالكُ وأنا المملوكُ ، وهل يرحم المملوكَ إلا المالكُ ؟ مولاى ، مولاى ، إلهى ، أنت العزيزُ وأنا الذليلُ ، وهل يرحم الذليلَ إلا العزيز ؟ مولاى ، مولاى ، إلهى ، أنت الكريمُ وأنا اللئيم ، وهل يرحم اللئيمَ إلا الكريمُ ؟ مولاى ، مولاى ، إلهى ، أنت الرزاقُ وأنا المرزوق ، وهل يرحم المرزوقَ إلا الرازق .

من إعجاز الخلق :

« **وفى الأرضِ آياتٌ للموقِنِينَ . وفى أنفُسكِمُ أفلا تُبْصِرونَ** »

---

(٨) الذاريات ٢٠ ، ٢١

ما معنى الآيات فى النفس ؟

الآية فى لغة العرب : العلامة ، فهو يقول ـ سبحانه وتعالى ـ عندى علامات كثيرة تدل علىّ فى الأرض ، من جبال ، وأشجار ، وبحار ، وأنعام ، وغير ذلك .

وأيضاً فى أنفسكم يابنى آدم لى علامات ـ آيات ـ كيف تنظر عينك ، وتسمع أذنك ؟ سبحان الله ! بصَّر عينك وهى من الشحم ، وأسمع أذنك وهى من العظم ، وأنطق لسانك وهو من اللحم .

فلا الأذن ترى ، ولا العين تسمع ، ولا اللسان يبصر ، كل عضو له وظيفته التى خصَّه الله بها ، فهذه آيات تدل على أنه الواحد ، كيف ذلك ؟ لأنه لا أحد يخلق مثله ، هل سمعت أن أحداً خلق مخلوقاً له سمع وبصر ولسان ويدان ورجلان ؟ بالطبع لا ، إذن فهو إله واحد . قال تعالى « **هلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللهِ** »(٩) [فاطر ٣] ربنا ـ عز وجل ـ يتجلى بالعظمة وينادى هل من خالق غير الله ؟ ياعبادى : هل هناك أحد يخلق مخلوقات مثلى ؟ لا يارب ! ، إذن : فأنا الواحد ، فآمنوا أنه ليس أحد مثلى .

قال ـ تعالى ـ «**ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السميعُ البَصِيرُ**»(١٠) « **وفى أنفسِكُم أفلا تبصِرُون** »(١١)

فضيلة مراقبة الله :

نقول إن من يخاف الله يستظل بظل العرش يوم القيامة ، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **ورجل** » أى من المظلّلين تحت العرش « **دعته امرأة ذاتُ منصبٍ** » **أى ذات هيئة** « **وجمالٍ فقَالَ إنّى أخافُ اللهَ** » وكلام الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ مأخوذ من معنى هذا الحديث الشريف « أفضل ذكر الله عندما حرّم الله » ، ليس أن تذكر بالسبحة فقط ، ولكن أن تذكر بقلبك أنه حاضر معك ، فتمتنع من الحرام ، فهذا هو أفضل الذكر ، فالنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول : رجل من أمتى دعته امرأة ، أى طلبته إلى نفسها ، فقال : إنى أخاف الله » ، فله جزاء ، وهو أن يدخل يوم القيامة تحت ظل العرش ، لم يخف من حاكم ، ولا من أحد ، ولا من زيد ولا من عمرو ، وإنما خاف الله وحده ، وترك المحرَّم من أجل الله وحده .

---

(٩) فاطر ٣

(١٠) الشورى ١١

حكاية عجيبة :

حكى لنا شيخنا الشيخ السمالوطى ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ وكان يلقى الدرس فى مسجد سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ صباحاً ، ولعل بعضكم قد رآه ، فالأيام تمرُّ بسرعة ، قال :

كان أحد طلبة العلم يمر بحارة بجوار الأزهر ، فرأى امرأة واقفة بباب بيتها ، فقالت له : إنى أريد أن تقرأ لى خطابا ، فقال لها : لا ،بيت من غير رجل لاأدخله ، فقالت له : الرجل مريض ، وأنا أريد من يقرأ لى الخطاب ، فلما سمع الطالب أن الرجل مريض ، رقَّ قلبه لحالها ، فدخل دار المرأة ، فإذا بها امرأة سيئة ـ والعياذ بالله تعالى ـ فقامت وغلَّقت الأبواب ، وعرضت نفسها عليه فتمنع منها وقاوم إغراءها ، فهددته وتوعدته ومنعته من الخروج ، ففكر فى نفسه ثم تظاهر بالموافقة على طلبها ، وقال لها : أنا منذ ثلاثة أيام لم آكل شيئا وأكاد أموت من الجوع ، فجهزى لى طعاماً دسماً حتى آكل وأشبع وأمتّعك !!

ففرحت المرأة ، وذهبت لتعد له الطعام ، ودخل الطالب المرحاض ـ يقول الشيخ السمالوطى : إن المراحيض فى الماضى كانت واسعة ، وكان لها مدخل واسع ـ فتوضأ الطالب ، وصلى ركعتين ، ورفع يديه بالدعاء قائلا : هذه التقوى فأين المخرج ؟ ـ يريد أن يقول : يارب أنت قلت « **ومن يتَّقِ اللهَ يجْعل له مَخْرَجاً** »[١١] وأنا اتقيتك ، وها هى المرأة تجهز الطعام ، وهى تريدنى ، وأنا عملت حيلة معها وفررت إليك يارب ، وقد قلت « **ومن يتق اللهَ يجعل لَّه مخرَجًا** » ، فهذه التقوى فأين المخرج ؟ ـ فانشق له الجدار فخرج منه !! .

فسبحان الله العليم ، الذى علم بعبده ، فأخرجه من هذا المأزق .

بين « عليم » و « عالم » :

قال تعالى « **وهو بكلِ خلقٍ عليم** »[١٢] أى : بكل مخلوق عليم ، وعليم تدل على معنى أكثر من كلمة « عالم » ؟ لأنك عندما تقول : أنا عالم بفلان ، فأنت تريد : عالم بشىء من صفاته ـ اسمه فلان بن فلان مثلا ـ لكن « عليم » : أى بكل شىء فيه ، حتى أظافره ، ولونها ، وجلده ، وعروقه وعددها .. الخ .

قال تعالى « **يخلقُكُمْ فى بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ خلْقًا من بعْدِ خلْقٍ فى ظُلماتٍ ثلاثٍ ذلكُم اللهُ ربُّكُمْ له المُلكُ لا إلهَ إلا هُوَ فأنَّى تصْرَفُونَ** »[١٣]

---

(١١) الطلاق ٢
(١٢) يس ٧٩
(١٣) الزمر ٦

فكما خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ابن آدم فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ـ وهذه هى الظلمات الثلاث ـ خلقاً بديعاً ، كذلك يخلقه يوم القيامة ،ويبعثه كاملًا ، كما خلقه أول مرة كاملا ولهذا قال ـ تعالى ـ « **قل يُحْيِيها الذى أنشأها أوَّلَ مرَّةٍ** »(١٤)

أنتم لم تروه عند بدء الخلق ، ماذا فعل ، وكيف خلق ، وكيف أخرج من البطن إنساناً كامل الخلقة ، فالذى أخرج الطفل من بطن أمه كامل الخلقة ، هو الذى يبعث الناس من التراب كاملى الخلقة ، فآمنوا أيها الناس ، قولوا : آمنا يارب !

« **قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرة** » ـ وأول مرة هذه تحتاج إلى فريد تفسير : فالذى خلقهم أول مرة معتدلين منظمين : عيون فى محلّها ، ورأس فى محلها ، ويدان فى محلهما .. خلق مُبدَع ومنظَّم ، فالذى أبدع فى الخلق الأول ، يبدع فى الثانى ، والذى خلق فى الأول ، يخلق فى الثانى . « **وهو بكل خلْقٍ عليم** » أى : لما خلقتهم أول مرة كانوا فى بطون أمهاتهم ، ولكنهم الآن مجرد عظام مختلطٌ بعضها ببعض ، ورءوس « جماجم » يشبه بعضها بعضاً ، ولكننى عالم بكل مخلوق على حده ، كأنه وحده ، إذا خلقته كأنى أخلقه وحده ، فلا يختلط مخلوق بمخلوق ، إنه « العليم » ياهذا !

يا عالم بكل علـــوم ٭ يا سامع دعا المظلوم
لا تجعل فى مجلسنـــا ٭ شقيـــــاً ولا محروم

فهو عالم بكل علوم ـ سبحانه وتعالى ـ يعرف العالم ويزيده علماً ، ويعرف المظلوم لينصره ، ويعرف الفقير ليغنيه ، ويعرف المريض ليداويه ، ويعرف الضالّ ليهديه ، والهداية أمر عزيز صعب ، لا يملكه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا تقل إن علمك يهديك ! لا ، ولا تقل إن قوتك تهديك ! لا .

قال تعالى « **من يهْدِ الله فهو المهْتَدِ ومن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِدًا** »(١٥)

منك يارب الفضل ، وأنت رب الفضل ، اهدنا يارب ! ففى كل صلاة تقول : اهدنا الصراط المستقيم ، لا نقولها لأحد غيره ، وإنما نقولها له وحده ـ سبحانه ـ وبإذنه لن نخيب ، من سأل الكريم لا يخيب .

---

(١٤) يس ٧٩
(١٥) الكهف ١٧

حول وجود سيدنا الحسين فى مصر :

ـ بعض الناس ينكرون وجود سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى مصر ، ويكتبون هذا الكلام فى الجرائد ، فماذا نقول لنرد عليهم ؟

ـ اعلم ياأخى أن هناك فى بلدنا شيوعيين ، وهم ينكرون الديانات ، ويصفونها بأنها خرافات ، وينكرون زيارة أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ ومن أنكر زيارة سيدنا الحسين أنكر زيارة جدّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد سمعت من بعضهم مثل هذا الكلام ، أنكروا زيارة المصطفى ـ ﷺ ـ ، فلا تقرأ لهم ، ولا تلق إليهم بالًا ، وعليك بسماع كلام العلماء المحققين ، فإن كل إنسان لا يعلم قدر سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه ـ فإن قلبه أظلم من الليل إذا عسعس .

من كلام سيدى عبد السلام الأسمر :

قال سيدى عبد السلام الأسمر :

اسمع كلامى بعد اليوم * عليك بهذه الطريقه
انا اللى قطعت البحر عوم * وانا اللى يعرف طريقه
أنا الشيخ الأسمر وانا المعلوم * وانا شيخ الطريقه
أعطانى ربى بركات وعلوم * وانا اللى اخذت الوثيقه
أنصر لمريدى لو كان مظلوم * وخلصه مما يضيقه

الموجود هوّ الله * المقصود هوّ الله
الموجود هوّ الله * المعبود هوّ الله
لا إله إلا الله * لا إله إلا الله

كلمة حبيبه « لا إله إلا الله » .

وقال سيدى عبد السلام الأسمر ـ رضى الله عنه :

الحمد لربّى قد هدانى * كلمه خفيفه على لسانى
هى علامة على الإيمان * ويوم القيامه ما وزنها شيى
يارب غيرك مايرتجاش * وماجاك سائل روّح بلاش

فنحن نزور الأولياء لله تعالى ، ونزور النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لله تعالى ، ونزور الكعبة لله ، ونطوف لله ، ونذهب للحج لله تعالى :

المقصود وجـــــــهُ الله * والموجـــــــود هو الله

وأنا أبرُّ الوالدين لله ، وأتأدب معهما لله ، وكل شيء حسن فهو لله . « **إن الله يأمرُ بالعدْلِ والإحْسَانِ وإيتاءِ ذى القُربىَ وينهَى عن الفَحشَاءِ والمُنكر والبَغْى** »(١٦)

فالله تعالى كامل ، يأمر بالكمال فى سائر الأفعال ، وهو ـ سبحانه ـ حليم ، هل تريد أن توقن بأن الله حليم ؟

انظر إلى الناس ، لا يوجد فيهم من لا يعمل المعاصى ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يصبر عليهم فمعصيتك له ، وحلمه عنك أكبر دليل على حلمه ـ سبحانه وتعالى ـ سواء أكانت المعصية عمداً أم خطأ ، فهو الحليم الصبور . الملائكة طافوا حول العرش ، وصور الموجودات كلها فى الكون مصورة فى دوائر تحت العرش ، والعرش له أربع دوائر ، الملك طار سبعين ألف سنة ليطوف بواحدة منها فما بلغها ، وفى هذه الدوائر صور الموجودات من بدء خلق العوالم إلى يوم القيامة ، ولما طافت الملائكة ، ورأت صور الموجودات وقد أظلمت عليها ذنوب الخلائق أسدل العرش أستاره ، فقالت الملائكة : سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح !! سبحان من لا يأخذ بالجريرة ، ولا يهتك السريرة ! سبحان الله ! اسمه الودود ، يتوَّدد لعباده دائماً ، ولا يتبغض ، سبحان الله ، ما معنى يتودد ؟ يعنى : يفعل معك المعروف الذى تحبه ، لأجل أن تحبه ، وما معنى لا يتبغض ؟ أى لا يفعل معك المكروه الذى تكرهه .

فالله تعالى يتودد للعباد ، والعباد يتبغضون ، فهو يصنع معهم أو يعطيهم الأشياء التى يحبونها لأجل أن يحبوه ، فهو يرزقهم اللحم والفاكهة وغيرها ، يطعمهم الطعام اللذيذ الهنىّ لماذا ؟ لأنه الودود ، يتودد إليك لأجل أن تحبه ، خاصة إذا آمنت واعتقدت أنك ملاقيه ، فإذا أحببته وأحبك فلا بد من الرؤية كما قال ـ تعالى ـ « **وُجُوهٌ يومئِذٍ ناضِرةٌ** » ـ منيرة ـ « **إلَى ربِّهَا نَاظِرةٌ** »(١٧) أى : فى الجنة .

رؤية الله فى الجنة :

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **إنكم سَتَرَونَ ربَّكُمْ** » يعنى فى الجنة « **كما ترَوْن هذا القمرَ لا تُضَامُّونَ** » أى لا تزاحمون « **فى رُؤيَتِهِ** » **رواه الشيخان وأحمد**

أى : ترون ربكم فى الجنة من غير كيفية ، والتشبيه ليس للمرئى ، ولكن التشبيه فى عدم

---

(١٦) النحل ٩٠

(١٧) القيامة ٢٢ ، ٢٣

المزاحمة ، « **لا تضامُّونَ** » أنتم فى الدنيا عندما ترون القمر ليلة اكتماله بدراً ، هل ترونه بازدحام أم كل واحد يراه وهو فى بيته ؟ نعم نراه بسهولة ، كل منا يراه وهو فى بيته ، فكذلك أمر الرؤية فى الجنة ، إذا تجلى الله ـ عز وجل ـ لعباده رآه كل واحد منكم وهو فى غاية الراحة ، من غير تدافع ولا ازدحام ؟ لأن الله ـ عز وجل ـ ليس شخصاً محدوداً ، يزدحم عليه الناس ، بعضهم يراه ، وبعضهم لا يراه ، وإنما هو ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فمعنى « **لا تضامون فى رؤيته** » لا تزاحمون فى رؤيته ، بل ترونه فى سهولة تامة ، فهو ـ سبحانه ـ يتودد إليك ، ويقول لك : إنك سترانى فى الجنة ، وأنا صاحب النعيم الذى معك فى الدنيا ، فاذكر نعيمى حتى ترانى فى الجنة ، فهناك ناسٌ يرونني وأراهم فى الجنة ، وهناك ناس لا يرونني ، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ « **كَلَّا إِنَّهُم عن ربِّهِم يومئذٍ لَّمحْجُوبُون** »(١٨)

الصلاة وحضور القلب :

عليك أن تحضر الصلاة بجسمك وقلبك وسائر إدراكاتك ، فليست الصلاة ركعات تؤديها ثم تجرى ! كلا ، وإنما تقف فى الصلاة وأنت تتذكر أنك حاضر بين يدى خالقك ومولاك ، فتخاطبه بروحك ولسانك : إلهى وسيدى ومولاى : جئتك هارباً من الدنيا وما فيها ، جئتك بذنوبى ، وأنت الغفور الرحيم .

تصلى الصلاة وقلبك معه ، وإياك أن تصلى وقلبك مشغول بغيره ، لقد فرض عليك الصلاة لأجل أن تفرغ لعبادته ، فلا تأتى للصلاة ـ التى هى وقت لله وحده ـ فتجعل فيها الدنيا ، لا ! .

حتى إذا كانت الصلاة قصيرة ، فلا تفكر فيها بشيء من الدنيا ، لا تفكر فى زراعتك أو تجارتك ، فالصلاة صلة بين العبد وربه ، صلة ، يعنى لا تجعل أحداً بينك وبينه ، أى اجعل قلبك له وحده ، وفى أثناء ركوعك وسجودك ، وقيامك وقعودك لا تجعل فى قلبك شيئاً نحو أحد غيره ـ سبحانه وتعالى ـ لأنه يغار على عبده المؤمن ، كيف تشرك أحداً معه وأنت تصلى له ؟! .

حكاية :

الشيخ أبو حامد الغزالى كان من أساطين العلماء ، وكان له أخ من الأولياء العارفين ، فكان

---

(١٨) المطففين ١٥

يصلى يوماً خلفه ، فخرج من الصلاة ، ولم يصلّ وراء أخيه ، فلما فرغ الشيخ الغزالى من صلاته ، سأل شقيقه : لماذا لم تُصَلِّ ورائى ؟ فقال : إنى رأيتك مخضباً بالدماء ، ففهم الغزالى إشارة أخيه ، وعرف أنه ـ وهو فى الصلاة ـ فكر فى درس كان سيلقيه فى المسجد بعد الصلاة ، وهو درس فى الحيض والنفاس .

فإذا كان الأخ المجذوب رأى أخاه الإمام الشيخ الغزالى مخضباً بالدماء ، فتركه لخروجه عن الصلاة فما بالك بمن يفكر فى الدنيا ! فى البيع والشراء وغير ذلك !

سبحان الله ! فينبغى للمصلى ألا يفكر فى شىء وهو فى الصلاة ، فالقلب مثل الساعة ، والله تعالى يرى قلب المؤمن وهو فى الصلاة ، فإياك أيها المصلى أن تفكر فى شىء وأنت فى الصلاة .

زيارة السيدة فاطمة الزهراء للنبى ـ ﷺ ـ :

سمعت من شيخنا الشنقيطى ـ رحمه الله ـ يقول : بعد دفن النبى ـ ﷺ ـ جاء أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ وقال للصحابة ـ رضى الله عنهم ـ إن الزهراء تستأذنكم فى زيارة قبر أبيها ـ ﷺ ـ فأفسح الصحابة لها الطريق ، فكانت زيارتها على مرأى ومسمع من الصحابة ـ رضى الله عنهم .

قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه « الوفا بأحوال المصطفى » :

لما قُبِرَ رسول الله ـ ﷺ ـ أخذت السيدة فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ قبضة من تراب قبره الشريف ـ ﷺ ـ وجعلته على عينها وبكت ، ثم قالت هذين البيتين :

ماذا على مَن شَمَّ تربة أحمد * ألَّا يشمّ مدى الزمان غَوالِيا
صُبَّتْ علىَّ مصائبٌ لو أنَّها * صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ لياليا

فقد كانت ـ رضى الله عنها ـ فى حالة حزن شديدة ، فلم يحزن أحد فى المدينة على فراق النبى ـ ﷺ ـ مثلها ، ولا بكى عليه مثلها ، فلما شمت الروائح المسكية من قبره الشريف ، دخلت السكينة قلبها ، وألهمتها الصبر ، وأنشدت هذين البيتين :

ماذا على من شمَّ تربة أحمد ... يعنى من شمَّ تراب قبرك لو عاش بعدها ألف سنة لم يشم رائحة غيرها ، فإنه لا يحتاج إلى عطر أو طيب ، لأنه قد شم عطر الجنة ، فلا عليه إن لم يشم عطوراً من عطور الدنيا على مدى الزمان .

رضى الله عنك يازهراء ، يابضعة رسول الله ـ ﷺ .

الدرس التاسع

فى تفسير قوله تعالى « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[1]

مهجتى قد نلتِ كلَّ الأرَبِ * هذه أنوارُ طه العَرَبـــي
هذه أنوارُه قد ظهرتْ * وبدتْ من خَلْفِ تلكَ الحجُبِ
يارسولَ اللهِ إنى مُذنِبٌ * ومن الجُودِ قبُولُ المذنِبِ

كل عام وأنتم بخير ، هذا يوم مبارك ، وهو اليوم الذى ظهرت فيه إلى الدنيا شمسُ النبوة والرسالة .

الفرح بالله تعالى :

قال تعالى « **قُلْ بفَضْلِ اللهِ وبرحمتِهِ فَبذَلك فليفْرَحُوا** »[2]

فالفرح : بكل شىء يحبه الله تعالى ، والحزن : من كل شىء يبغضه الله تعالى ، فإذا فرحت بشىء يحبه الله تعالى فإنك تثاب عليه ، وإذا حزنت على وقوع شىء يبغضه الله تعالى فإنك تثاب عليه ، ثواباً تدركه روحك . وابن آدم بروحه لا بجسده ، والروح هى التى قال عنها الله تعالى : « **ويسألُونَك عنِ الرُوحِ قُلِ الرُوحُ مِنْ أمْرِ ربّي** »[3]

المعنى : أنتم تسألون عن الروح ، وهذه حقيقة كبرى لاتدركها عقولكم ، وهى من الأشياء التى اختص الله تعالى بعلمها ، أما أنتم فلا ؟

لماذا : لأنها كبيرة على عقولكم فلن تدركوها ، سبحان الله ، سبحان الله ، ما كان عملك ؟ ذكر الله ! ولماذا حَللْتِ فى هذا الجسد ؟ لأذكّره الله ! أتيت لأظهر العجائب ! لأجعل الجسد الترابى الظلمانى يذكر الله ، ويقرأ القرآن ، ويتنوّر ، ومن قال لك هذا الكلام ؟

---

(١) الأنبياء ١٠٧
(٢) يونس ٥٨
(٣) الإسراء ٨٥

قال لى ربى هذا الكلام ! قال تعالى « **وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعْبدُون** »(٤)

هل الجسد وحده يعبد ؟ لا ، الروح والجَسَد يعبدان ، لأن الجَسَد جماد ، فالله ـ تعالى ـ نفخ فيه الروح للعبادة ، فالجَسَد يأكل ويشرب ، والروح لا تأكل ، ولا تشرب ، ولا تنام ، فماذا تفعل الروح ؟ تذكر الله تعالى ، وتعبده ، فالعبادة باقية إلى يوم القيامة ، والروح باقية إلى يوم القيامة .

مصير الجسد والروح بعد الموت :

أنت ياجسد : مصيرك إلى القبر ، إلى التراب ، بلحمك ودمك وعظمك ! ، وأنت ياروح مع الصلوات والزكوات ، والحج والصيام ، مع العبادات كلها تنتظرون إلى يوم القيامة .

سبحانه ! حكيم ، عليم .

جاء يوم القيامة ! أين الأجساد ؟ صارت تراباً ، أين الأرواح ؟ ها هى حاضرة ! ياأجساد لبّيك ربى ! ارجعى ، كونوا كما كنتم .

سبحان من جمع بين السماء والأرض ! من أين أتت الروح ؟ من السماء ، من أين أتى الجسد ؟ من الأرض ، سبحان الله ، سبحان الله ! فالروح نُورانية ، والجَسَدُ ظلمانى ! سبحان الله ، سبحان الله ! .

ابن آدم بين الروح والجسد :

يا ابن آدم : فيك العجائب والغرائب ! فيك روح ملائكية ، وفيك جَسَدٌ ترابى حيوانى ، فإن تغلبت روحك على جسدك صار الجسد روحانياً ، والروح روحانية .

وإذا تغلّب الجسد على الروح صارت حيوانية . ة لجسدك . فهذه قدرة عظيمة ! روح لا تأكل ولا تشرب ، ولا تنام ، ولا تموت ، ولا تُقتل ، لا ينال منها مدفع ولا رصاص ! وجَسَد يأكل ويشرب وينام ويقتل ، ويموت ، ويفنى .

فأنت يا ابن آدم غريب وعجيب !

فالجسد يقول للروح : من أين أتيت ؟ فتقول الروح : أنا ماكنت أبداً من أرضكم ، ولكن أتت بى المقادير ، من أين أتيت ؟ من السماء ، ألم تكونى تعرفين الأرض ولا سكانها ؟ لا ، إذن : وأنت فى السماء ، ماذا كنت تصنعين ؟

---

(٤) الذاريات ٥٦

قال تعالى « **كَمَا بدأكم تَعودُون**»[٥] فيعود الجَسَدُ كما كان ، يحشر المرء على ما كان عليه عند وفاته ، شباب ، شيب ، أبيض ، أسود ، كما يكون . لقد أمسك إسرافيل بالصور ونفخ فيه بالنداء : يا أرواح : نعم ! كل روح منكن تعرفُ جسدها ، الله تعالى علّمها ، فلتذهب كل روح إلى جسدها ، فتأتى الأرواح تسبح كالطير ، والأجساد قد رجعت تنتظر الروح ، فتأتى الروح إلى الجسد ، فتدخل الجسد من الرأس ، « **فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ** »[٦]

« **كما بدأكم تعودون** » إن مات وهو شائب يبعث وهو شائب أيضاً ، وإن مات وهو شابٌ بعث وهو شاب ، تدخل الروح الجسد وهو على صورته التى كان عليها فى الدنيا ولكن المجنون فى الدنيا يبعث عاقلا ، يعرف كل شىء !

حال الإنسان بعد بعثه من قبره :

الإنسان عند الحشر لا يفكر إلا فى نفسه ، لا فى امرأته ، ولا أولاده ، ولا أمه ولا أبيه ، فإذا وقف على قدميه ، إن كان مؤمنا قال « **هذَا ما وَعَدَ الرحمنُ وصَدَقَ المُرسَلُون** »[٧]

فلا تنس هذا اليوم ، قال الصوفيون : مجنون من ينسى ذلك اليوم ، يوم الرحيل ويوم الخروج من الدار . فهذا حق لا شكَّ فيه ، هل نبعث بعد موتنا ؟ نعم ! انظر حولك : ألا ترى الناس فى الهند والسند وغيرها من بلاد الله أحياء ؟ ألا يرزقون ؟ بلى ، أليس لكل واحد منهم بيته وموطنه ؟ بلى ، فهؤلاء خلق الله ، كما ينظمهم فى الدنيا ، ويدرى بهم ويعرفهم مع كثرتهم كذلك يعرفهم يوم القيامة واحداً واحداً مع كثرتهم .

كيف يحاسب الله الخلق مع كثرتهم ؟

سئل الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ هؤلاء الخلق كثيرون جداً ، فكيف يحاسبهم الله يوم القيامة مع كثرتهم ؟

فقال ـ رضى الله عنه ـ : يحاسبهم فى لحظة واحدة مع كثرتهم ، كما كان يرزقهم ـ فى الدنيا ـ فى لحظة واحدة مع كثرتهم .

أنت لا ترى الدنيا ؟ من الذى يرزقهم فى الدنيا ؟ الله ، فكما رزقهم فى الدنيا يحاسبهم يوم القيامة ، ملك واسع ، وعلم واسع ، وأمرٌ عجيب ، وشىء غريب .

---

(٥) الأعراف ٢٩

(٦) الزمر ٦٨

(٧) يس ٥٢

الطيور تعرف الله تعالى وتتوكل عليه :

العصافير ترى نور الفجر ، فتسبح الله ... سبحان الله ، سبحان الله ، وتقول الآن يطلع النهار ، ونأكل الحب ، ونشرب الماء ، سبحان الله ، سبحان الله .

أيتها العصافير : من أين عرفت أنك ستأكلين من الحب ، أو ستشربين من الماء ؟

تقول العصافير : نحن لا نفكر فى ذلك ، نحن علينا أن نطير فقط ، ونسعى ، فنجد حباً وماء ، نحن متوكلون على الله ! كيف توكلكم ؟

قال المصطفى ـ ﷺ ـ « **لو أنكُم تَتوكَّلُون على اللهِ حقَّ توكلِه لرزقكُمْ كما يرزُقُ الطيرَ ، تغدُو خِمَاصاً ، وتَروحُ بِطَاناً** » رواه الترمذى .

لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله كالطير ، لا تعتمد على الدكان ، ولا على الوظيفة ، ولا على العزبة ، ولا على الحرفة ، على من إذن ؟ « على الله » يتوكل على الله ، فيجد الحبّ ، ويجد الماء ، ويجلب الطعام لعياله . « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله » : فهل نترك العمل ؟ لا ، ليس ذلك ، وإنما الثقة بالله ، يكون مفتاح الدكان فى جيبه ، ولا يفكر فى الدكان ولا فى مفتاحه ، وإنما يتوكل على الله ، ويثق فى أنه وحده الرزاق .

الجمع بين الأسباب والتوكل :

فالأسباب لا تتعارض مع التوكل ، نعمل ونتوكل ، أنت لا تدرى ! أن العصفور ـ وهو الطير الأعجم ـ له أجل معلوم ، ورزق مقسوم ، وبيت يسكن فيه ، وزوجة تأتى إليه ، هذا للعصفور !! .

« **وما ربُّكَ بِظَلَّام للعَبِيد** »[٨] فما كتبه لك يأتيك : امرأة تتزوجها ، عيال ، ذرية ، وظيفة ، ما الخبر ؟ جاءك ما وعدك به ، يأتيك كل شىء بميعاد ، الرغيف بميعاد ، الماء تشربه بميعاد ، سبحانه ! قدَّر كل شىء ، ودبَّر كل شىء ، ومن تدبيره : يوم وفاتك ، تموت فى يوم كذا ، كل شىء فى الدنيا يمكن أن تعرفه إلا هذا اليوم .

للموت أجل محدد ومكتوب :

قال تعالى « **وجاءتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحقّ ذلكَ ما كنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** »[٩] تكون فى الجيش ، تحارب فى الميدان ، ولا تموت ، وسط دوىّ القنابل ، ولا تقتل ، يعود الجندى من الحرب سالماً ، لماذا ؟ لم يأت ذلك اليوم بعد ، لم يأمر الحق ـ سبحانه ـ بذلك .

---

(٨) فصلت ٤٦

(٩) قّ : ١٩

الرزق مكتوب عند الله تعالى :

قال تعالى « **وما مِن دَابَّةٍ فى الأرضِ ولَا طائرٍ يَطيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أمثالكُم** »[١٠] فكل شيء يحدث فى الدنيا من عند الله ، وبأمر الله ، فلا تحزن لشيء ، زوجتك إن كانت مُتْعِبة ، فهى نصيبك ومكتوبة لك ، فلماذا تغضب منها ، وتقول : أنا مخاصم امراتى ؟ أنت لا تؤدى شكر النعمة ، نعمة الزواج من امرأتك ، اشكر رب النعمة ، اذكر ربَّ النعمة ، ثم توضأ ، وصلّ ، وأمر زوجتك بالوضوء ، وبالصلاة ، ثم ادعوا ربكما وقولا : يارب ، ما لنا غيرك ، اشف الأولاد المرضى ، وأصلح الأحوال ، واصرف الأعداء ، لاأحد غيرك ندعوه ، ليس لنا سواك .

عودة إلى الفرح بالله تعالى :

وربنا ـ سبحانه ـ قال « **قُلْ بفضْلِ اللهِ وبرحمتِه فبذلك فلْيفْرحُوا** »[١١]

من الذين يفرحون بك يارب ؟ إنهم المؤمنون ، لماذا يارب ؟ لأنى عرفتهم بى ، ودللتهم على الباب فهم يصلون لى ، ويدعوننى ، ويدفعون أيديهم لى ، فبذلك فليفرحوا .

الكفار أضل من الأنعام :

أما غيرهم ـ كالشيوعيين مثلًا ـ فإنهم يتخبطون ، ولا يعرفون شيئا . « **إن هُم إلا كالأنعَام** » كالبقر ، والغنم ، فتحتج الأغنام قائلة : هل نحن كالكفار ؟! فيقول الله تعالى : لا ، أنتم أحسن منهم ، « **بلْ هُم أضَلُ سَبيلًا** »[١٢] الكفار أضل ، لأن الأنعام تعرف الله ، سبحانك ياعالم الغيب .

أنوار الصلاة :

أما المؤمن فإنه يصلى ، والصلاة ملأى بالنور « الله أكبر » كلمة لها نور ، ولها ثواب عظيم ، الفاتحة : لها نور ، ولها ثواب عظيم ، سورة « ألم نشرح » لها نور ، ولها ثواب عظيم ، أقول : الله أكبر ، ثم أركع ، الركوع له نور ، والتكبير لها نور ، الله تعالى يقول : ماذا يصنع عبدى : إنه يركع لى .

قال عليه الصلاة والسلام ـ « **من تواضَعَ للهِ رَفَعَه** » **رواه أحمد وابن ماجه** .

تواضعت ذلًا وانخفاضاً لِعزِّها ٭ فشرَّف قدرى فى هواها التواضعُ

---

(١٠) الأنعام : ٣٨

(١١) يونس ٥٨

(١٢) الفرقان ٤٤

ابن الفارض يقول هذا ، أى : أنا تواضعت للحضرة الإلهية ، ثم يقول :

فقلت لها ياقرة العين هل إلى * لِقاكِ سبيلٌ ليس فيه موانعُ

الموانع كثيرة ياابن الفارض ! إذا لم يسلّم الله ، فالموانع كثيرة جداً ،ألا تدرى أن المرأة فى البيت قد تكون من الموانع ؟ إذا كرهت السبحة ، وكرهت الكتاب ، وكرهت العبادة ، ومنعت الرجل من التسبيح والقراءة فهى من الموانع :

فقلت لها ياقرة العين هل إلى * لقاكِ سبيلٌ ليس فيه موانع

فالإنسان لا يرى حقيقة الوجود ، ولو كشف الحجاب ماترك أحد الصلاة أبداً ، لأنه يرى مافيها من الأنوار ، والأسرار ، والبركات .

من أسرار الصلاة :

قال عليه الصلاة والسلام « **أقرب مايكونُ العَبْدُ من ربه ـ عز وجل ـ وهو ساجد ـ فأكثروا الدعاء** »[١٣] فتفكّر فى هذا المعنى : عندما تسجد تكون أقرب ما تكون من ربك ،سبحانه وتعالى ـ تكلمه فيسمعك ، ليس بصوت مرتفع ، ولو وشوشة فإنه يسمعها : « **فإنه يَعْلمُ السرَّ وأخفى** »[١٤] فالصلاة نعمة عظيمة ، عطية عظيمة .

« كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا حَزَبَهُ « أى اشتد عليه » أمر فزع إلى الصلاة » .

فافعل مثله يامؤمن ، عندما يشتد عليك حال توضأ ، وصلّ ياأخى ،

لا تكن غافلًا فى صلاتك ، ولكن : صلّ وآمن أنه يراك ـ سبحانه ـ كما قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الإحسان : « **أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** »[١٥] فلو وقفت تصلى ، وتذكرت أن الله ـ تعالى ـ ناظر إليك ، فخشعت فى صلاتك ، لوجدت للصلاة فوائد ، ولها ميازيب ، وأسرار ، لو صليت هكذا لأتاك المدد من نظر الله ـ تعالى ـ إليك ، فرؤية الله تعالى لك عظيمة ، فهذه زيادة ومنحة من الله تعالى لك أيها المصلى .

تقول : يارب أنا أفكر فى أنك تسمعنى حينما أقول : بسم الله الرحمن الرحيم . قلبى يخبرنى بأنك قد سمعتها من قبل أن اسمعها من نفسى ، أنا أقرأها ، ولكنك ـ سبحانك ـ تسمعها قبل سمعى لها ـ سبحانك .. فأنت تأخذ منحة من الله على كونك تعتقد أن الله ـ تعالى ـ يسمعك وعلى أنك تلاحظ هذا فى صلاتك .

---

(١٣) رواه مسلم

(١٤) طه ٧

(١٥) رواه الترمذى

قال تعالى « **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** »[١٦] فهل عندك حاجات تريد قضاءها ؟ نعم ، إذن فاعتقد أنه ـ سبحانه ـ يعلمها قبل أن تقولها :

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني ٭ عليلٌ ومن أشكو إليه عليلٌ
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه ٭ عليم بما أبديه قبل أقولُ

فهل أنت تصلى هكذا ؟ هل أنت تذكر فى صلاتك أن الله ناظر إليك ؟ تذكر أن الله سامع كلامك ؟ تذكر أن الله ـ تعالى ـ عالمٌ بقلبك ؟

مُنَّ علينا يارب ، فهذا عطاء لا يستطيع أحد أن يأتى به ،لا يباع ولا يشترى ولا يوهب ، أشياء غالية نفيسة ، ولكنها تأتى بمحض فضل الله .

أنت موجود ، حاضر بجسمك ، ولكن عندما يأتى الحجاب تكون كقطعة الحجر ! مادمت تقف فى الصلاة ناسياً أن الله ـ تعالى ـ ناظر إليك ، ناسياً أن الله ـ تعالى ـ يسمعك ، فأنت قطعة حجر ! .

ولكن عندما تتذكر أن الله ناظر إليك ، وأن الله سامعك ، فأنت مَلَك ! .

لأن الملائكة « **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لاَ يَفترون** »[١٧] أى لا يسأمون ، يذكرون الله مع تذكرهم أن الله ناظر ، وأن الله سامع . أنت عندك علم كثير ، فاين تذهب به ؟ ماذا تصنع بعلمك ؟ إن العلم الحقيقى النافع هو أن نعتقد أن الله تعالى يسمعنا ويرانا ، كلمتان خير من الدنيا وما فيها .

« **أَنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى** » أنت داخل بيتك ، والباب مغلق ؟ نعم ، ولكن أى كلمة تتكلم بها مع امرأتك فهو ـ سبحانه ـ سامعها إن كانت عدلًا أو ظلماً ، وأى فعل تفعله ، هو يراك ، إذا ضربتها فإنه يراك !

الحذر من الغفلة عن الله تعالى :

قال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **عَجِبْتُ لِغَافِلٍ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عنه** » . من أى شىء تتعجب يارسول الله ؟ من رجل غافل والله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس بغافل عنه ، « **عَجِبْتُ لِمَنْ يَضْحَكُ بِمِلْءِ فِيهِ** » . يعنى : يقهقه « **وَهُوَ لاَيَدْرِى أَرَضِى اللهُ عَلَيْهِ أَمْ سَخِطَ** »[١٨] لماذا تضحك هكذا ؟ هل عرفت أن ربك راض عنك ؟ إذا عرفت فأنت على

---

(١٦) طه : ٤٦ .
(١٧) الأنبياء ٢٠
(١٨) رواه ابن عدى والبيهقى

حق ، وإذا لم تعرف فأنت ذاهل غافل ! . فالنبى ـ ﷺ ـ يتعجب من هذا الذى يقهقه وهو لا يدرى أرضى الله عنه أم سخط .

يارب ذكّرنا وعلمنا ، ماأغلى علمٍ فى الدنيا ؟

قالوا : أغلى علم فى الدنيا هو معرفة الله تعالى ، ومعرفة صفاته ـ سبحانه ـ ، هذا هو العلم الغالى .

« **يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ** »[١٩] لماذا تحمل الهمّ هكذا ؟ ياأخى إن أمرك مدبَّر ، قال المغربى :

تدبيرك ما يسوا شى * ومن تدبيرك دعنى

عودة إلى المولد النبوى :

السيدة آمنة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما جاءها المخاض ليلة الميلاد ، حضرت السيدة مريم بنت عمران ، والسيدة آسية التى كانت امرأة فرعون ، حضرتا الولادة ، وهما زوجتا النبى ـ ﷺ ـ فى الجنة ، وقد رأت السيدة آمنة الأنوار والمعجزات من النبى ـ ﷺ ـ فى هذه الليلة المباركة فى الثانى عشر من ربيع الأول من عام الفيل[٢٠] .

---

(١٩) السجدة/ ٥

(٢٠) انظر الفصل السابع من كتاب السيرة النبوية المحمدية للمؤلف رضى الله عنه

الدرس العاشر

قال الله تبارك وتعالى :

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً »[1]

اللهم إنا نسألك النصر الدائم ... اللهم انصرنا على أنفسنا ... اللهم انصرنا على شيطاننا ... اللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى ..

الإنسان بين حالين :

فهذا حال الإنسان دائما : إما أن يكون منصوراً ، وإما أن يكون مخذولًا .. وإما أن يكون مع الله تعالى ... وإما أن يكون مع الشيطان والنفس .

لا يخلو حاله عن هذين الوصفين :

• فإن كان مع الله ـ تعالى ـ كان منصوراً ... وإن كان مع الشيطان كان مخذولًا .

فيجب على كل مسلم أن يحافظ على نفسه ، وأن يعلم : مع مَنْ هو ؟ هل هو مع الله ـ تعالى ـ فى طاعة ؟ أم هو مع الشيطان ؟ لابد من المعرفة ، لأن الإنسان إذا لم يعرف هذا عاش فى الدنيا مغروراً مخدوعاً . هل أنت مع ربك ؟ إذن لك السعد والفوز .

هل أنت مع الشيطان والنفس والهوى ؟ فأنت أغضبت ربك .

على نفسه فليبْكِ مَن ضَاعَ عمْرُهُ • وليسَ له فيها نَصِيبٌ ولا سَهْمُ

فنصر الله : معه فتح الله ، فإذا كنت قد أرضيت ربك ، فقد جاءك فوزك وسعدك ، وإذا كنت قد أغضبت ربك ، فهذا هو التعس ، وهذا هو الخذلان .

إذا أرضيت ربك ، فهو معك ، وأنت معه ، ويا سعد من كان الله معه ، وكان مع الله .

---

(١) سورة النصر

أما الرضى ففى الطاعة ، لابد من الطاعة ، والطاعة هى امتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، افعل كما قال الله افعل ، ولاتكن حيث نهاك .

قال الله تبارك وتعالى :

« **إن اللهَ مَعَ الَّذين اتَّقَواْ والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون** »[٢] فإذا عرفت أن الله معك ، فهذا فرح عظيم « **مع الذين اتقواْ** » مع المتقين والتُّقَى معروف ، « **اتقواْ** » من الوقاية ، أى : جعلوا وقاية بينهم وبين غضب الله ، بأى شىء ؟ بطاعة الله « **والذين هم محسنون** » أى : إلى أنفسهم :

« **مَنْ عَمِل صالِحاً فلنفسِهِ ومَنْ أَسَاءَ فعليهَا** »[٣] «**والذين هم محسنون** » أى : إلى أنفسهم بطاعة الله . إذا سُقْتَ نفسك إلى الطاعة فقد أحسنت إليها إحساناً عظيماً ، وإذا قرَّبت النفس من خالقها فقد أحسنت إليها إحساناً عظيماً ، إذا أخذت بها إلى رضوانٍ من خالقها ، وعرَّفتها به فقد أحسنت إليها ، إذا أحسنت إلى نفسك بالطاعة ، فقد نصرت نفسك ، والنصر من الله ، فإذا نصرك الله على نفسك ، فقد جاءك نصرٌ من الله . ومعنى : أن تنتصر على نفسك الأمارة بالسوء : أن الفتح قد جاءك من الله .

أول الفتح :

« **إذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ** » ومن لم ينتصر على الشيطان والهوى ، فلا فتح له . فأول الفتح : أن ينصرك الله على نفسك ، وكيف النصر على النفس ؟ قال : مخالفتها ، لأنها تأمر بالسوء ، فمن خالفها ، وفَعَل الخير ، فقد جاءه الفتح « **إن النفسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوء** »[٤] هذا كلام الله .

وهل تأمر نفسك بالسوء ؟ نعم ! مَنْ يأمر بالزنا ؟ النفس ، مَنْ يأمر بشرب الخمر ؟ النفس ! مَنْ يأمر بالقتل ؟ مَنْ يأمر بالسرقة ؟ النفس . ومَن الذى يغضب لذلك ؟ إنه الله ! وماذا تفعل ؟ ربنا سبحانه وتعالى ـ قال : « **وأَمَّا مَنْ خافَ مَقَامَ ربِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عن الهَوَى** »[٥] « **إن يتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وما تهْوَى الأنفُسُ** »[٦] إنها النفس ! كيف نعرف أنها

---

(٢) النحل / ١٢٨
(٣) فصلت/ ٤٦
(٤) يوسف / ٥٢
(٥) النازعات / ٤٠
(٦) النجم / ٢٣

أمرت بالسوء ؟ كل أمر يغضب الله ـ تعالى ـ يسمى سوءًا « **إن النفس لأمارةٌ بالسوء** » « **إن اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحْسانِ وإيتَاءِ ذِى القُرْبى** »(٧)

من الذى يقول لك : برَّ والديْك ؟ الله ! ولكن : من الذى يقول لك اضْرِبْ والدك ولا تعطه شيئاً ؟ إنه الشيطان ومعه النفس الأمَّارة فالله ـ تعالى ـ يأمر بالخير ، وينهى عن الشر .

جاء رجل إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال : يا رسول الله مَنْ أولى الناس بمعْرُوفى « بخيرى » ؟ قال ـ ﷺ ـ : « **أمُك** » ، **قال : ثم مَنْ ؟ قال : « أمُك » ، قال ثم مَنْ ؟ قال « أمُك » . قال : ثم مَنْ ؟ قال « أبوك »** رواه البخارى .

. فكرّر الرسول ـ ﷺ ـ الأمر بالإحسان إلى الأم ، فاجْعَلْ خيرك ومعروفك دائما موجهاً إلى أمك ، هى أولى من أى إنسان فى الدنيا ، وهذه وصية من الله ـ تعالى ـ ورسوله يوصينا بالأم الوصية الكبرى .

وفى رضا الأم يحصل لك يُسْر ، وتحصل لك عافية ، ويحصل لك خير كثير ، وفى غضبها تنعكس عليك الأمور ، ويضيق صدرك ، والناس يكرهونك ، لأن غضبها يغضب الله ـ تعالى ـ له ، ومن يغضب الله عليه يغضب عليه كل شىء .

فإذا أردتم الخير كله ، فعليكم ببرّ الوالديْن :

عليك بِبرِّ الوالِدَيْن كِلَيْهما * وبرِذوِى القُرْبى وبرّ الأبَاعِدِ

فالمعروف يأتى بالمعروف ، والخير يأتى بالخير ، والشر يأتى بالشر ، كما تزرع تحصد ، فعليك بفعل الخير ، وعليك بفعل البرّ .

إذا أردت أن تعيش سعيدًا فكن مع الله ، تر الله معك ، والسعد يأتى لك « اللى مع سيده ما حد يكيده ، واللى مع ربه ماحد قدّه ! » فالله ـ تبارك وتعالى ـ هو المعطى ، أوصانا بالوالدين ، لضعفهما :

« **إما يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكبَر أحدُهُمَا أوْ كِلاهُمَا فلا تقُل لَّهُمَا أفٍّ ولَا تَنْهَرْهُمَا وقُل لهما قَوْلًا كَرِيمًا . واخفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ من الرحمةِ وقل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كما رَبَّيَانِى صَغِيراً** »(٩) كنت ضعيفاً فربَّياك ، فإذا كبرا وصارا ضعيفين فقد جاء دورك لترد الدَّيْن الذى

---

(٧) النحل / ٩٠

(٩) الإسراء / ٢٣ ، ٢٤

عليك ، اعمل معهما أحسن ممَّا عملا معك ، ولا تنس ذلك ! وقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

« **النظر فى ثلاثة أشياء عبادة : فى وجهِ الوالِدَيْنِ ، وفى المصحفِ ، وفى البحرِ** »(١٠)

فالنظر فى وجوه الوالدين بالمحبة : عبادة ، الله سبحانه وتعالى ـ يثيبك على ذلك ، والنظر إلى وجوه العلماء بالمحبة : عبادة ، لأنهم ورثة النبى ـ ﷺ ـ ، وحبهم يأتى بالوراثة ، والنظر إلى البحر ، لأنه يملأ القلب بالحكمة والموعظة .

من فضائل الصوم

ونحن الآن فى شهر رمضان ، والملائكة تحيط بنا ، لماذا تحيط الملائكة بنا ، وتتكاثر حولنا ؟ لأننا تشبَّهنا بهم ، فاقتربوا منا ، وانجذبوا إلينا ، وقال الشاعر :

* شبيه الشَّىْءِ مُنجذبٌ إليه *

ولما تشبهنا بهم ، وتركنا الطعام والشراب ، وتطهرنا أحبونا ، وأحاطوا بنا ، فحافِظْ على صحبة الملائكة ، وحَافِظْ على صحبة رمضان . والصوم يشهد عليك يوم القيامة ، لأن الأيام تشهد على الإنسان ، قال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ :

ما من يومٍ ينشقُّ فجرُهُ إلا نادى مُنادٍ من قِبَل الحق : ياابن آدم : أنا خلقٌ جديدٌ ، وعلى عَمَلِكَ شهيدٌ ، فتزوّدْ مِنّى بعَمَلٍ صالحٍ ، فإنى لا أعُودُ إلى يومِ القيامة » . فكل يوم من رمضان يشهد عليك كسائر الأيام ، وما أسوأ حال من ارتكب المعاصى فى شهر رمضان . إذا كنت صائماً حقاً ، فاجعل صيامك يشهد لك بالخير ، لا تجعل صيامك يقول يوم القيامة : إنه شتم هذا ، وسَبَّ هذا ، وضرب هذا ..

كل يوم من أيام رمضان يشهد عليك : هذا تسحَّر ، هذا نوى الصيام هذا أمسك عن الأكل والشُّرْب .. إلى المغرب .

فإذا بدأ الناس فى تناول إفطارهم ، جاءت الملائكة لتهنىء الصائمين : لقد ظَلُوا جياعًا ، عطاشاً ، الطعام أمامهم ، والماء أمامهم ، ومع ذلك امتنعوا خوفاً من الله تعالى ، مع شدة جوعهم ، مع شدة عطشهم يراقبون الله ـ تعالى ـ .

قال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ : « أفضلُ ذِكْرِ الله عندما حرَّم الله » .

يعنى : عندما تحدثك نفسك وتقول لك : اشْرَبْ قليلًا من الماء ـ وأنت صائم ـ ، ثم يأتى

---

(١٠) رواه أبو نعيم فى الحلية

قلبك ويذكّرك ربك ، فتذكر الله تعالى ، وتمتنع قائلًا : إن الله ـ تعالى ـ معى ، يرى ما أفعل ، فهذا أفضل ذكر ، تمتنع عن الحرام إذا ذكرت الله ، هذا أفضل ذكر ، لأنك راقبت الله ، وعظّمت الله ، وخفت الله . يقول الله ـ تعالى ـ :

« **إن الذين يخشَوْنَ ربَّهُم بالغَيْبِ** »[11] أى : يخافون ربهم مع أنهم لا يدركونه بأبصارهم ، لأنهم يؤمنون بأنه معهم أينما كانوا : « **لَهُم مغفِرَةٌ وأجرٌ كَبيرٌ** » فالصائم قد خاف من الله ، فامتنع عن الطعام وعن الشراب وعن الحرام ، وتذكّر الله ـ تعالى ـ ، ولم يتذكر الناس ، لأن من يتذكر الناس ويخافهم ينتظر ثوابه عند الناس ، ولكننا نراقب الله ، نصوم لله ، نخاف من الله ، نعبد الله ، نُصَلّى لله ، نرجو الثواب من الله .

قال تعالى : « **يَرْجُونَ تِجَارَةً لن تَبُورَ** »[12]

فأولئك هم المؤمنون ، الذين يعاملون الله فى تجارة رابحة أبداً ، تجارة تنجيهم من عذاب الله ، تجارة لن تبور :

يا قلبُ ثِقْ بالله إنك لله راجعْ
وارْضَ بقضاء اللهْ الخِيرةُ فى الواقعْ
لا تذكرْ إلا اللهْ فى سِرِّك والإعلانْ
واعْلَمْ بأن اللهْ حاضِرٌ فى كل مكانْ
إنْ كان نَفْعَكَ اللهْ حاشا يُضُرُّكْ إنسانْ

فلا بد أن تتذكر حضور الله ـ تعالى ـ معك ، لأنه عليم بنا وبما نقول ونفعل فعلينا برّ الوالدين ، لأن فى برهما منفعة كبيرة ، وسعادة عظيمة ، فأمورك تتيسر ببرّ الوالدين .

المحافظة على الصلوات الخمس

وعليك بالصلوات الخمس ، وبالمحافظة على الوضوء ، فإن الصلاة هى عماد الدين ومن لا صلاة له ، لا دين عنده .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **آية مابيننا وبين المشركين : الصلاة** » يعنى : العلامة التى يعرف بها بعضنا بعضاً ، والتى تفرق بين المسلمين والمشركين الصلاة .

فإذا رأيت الإنسان يتوضأ ويصلى عرفت بذلك أنه مسلم ، ليس بمشرك ولا يهودى ، ولا نصرانى ، ولا شيوعى .

---

(١١) الملك / ١٢
(١٢) فاطر / ٢٩

فالصلاة هى العلامة ، وسعيد النفس مَنْ لزم العلامة أى : لزم علامة الإسلام وهى : الصلاة . قال ـ ﷺ ـ :

« **خمسُ صَلَواتٍ كتبهنّ اللهُ على العبادِ ، فمن جَاءَ بهنَّ ولم يضيعْ مِنهنَّ شيئاً استخفافًا بحقّهِن كان له عِنْد اللهِ عهْدٌ أن يُدْخِلَه الجَنّة ، ومن لم يأتِ بِهِنَّ ، فليسَ له عند الله عَهْدٌ . إن شاءَ عذَّبه ، وإن شاءَ أدْخلَه الجَنة** » رواه أبو داود والنسائى

كتبُهُّن : أى فرضهن ، فمن حافظ على الصلوات دخل الجنة ، ومن ترك الصلاة ، دخل النار . قال ـ عليه الصلاة والسرم ـ : « **العَهْدُ الذِّي بيننَا وبينهُمُ الصّلَاةُ ، فمن تركَهَا فقد كَفر** » رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم

فالمسلم من غير صلاة لافائدة فى إسلامه . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **إن المصلّى يُنَاجِى ربَّه** » رواه أحمد فى مسنده .

أى :يتكلم مع ربه ، كل يوم خمس مرات ، تتكلم مع الملأ الأعلى ، إن الواحد منا يحلم بأن يتكلم مع وزير ، ويشمخ بأنفه إذا تكلم مع الرئيس ، فما بالك يامسلم إذا وقفت خمس مرات بين يدى رب العرش العظيم ؟! « الله أكبر » تكبيرة الإحرام أول مانفعله فى الصلاة ، فيقبل الله ـ تعالى ـ علينا ، وياسعد من أقبل الله ـ تعالى ـ عليه ، ماذا يريد بعد ذلك من الدنيا ؟ الله ـ تعالى ـ مقبل عليك ، ناظر إليك ، سامع دعاءَك وقراءتك ، فكم درجة وكم نيشان حصلت عليه ؟! ناظر إليك ومقبل عليك ، وسامعٌ لك . الله ! ففكر فى الدُّرَر الغوالى التى فى الصلاة ، لا يساويها شىء فى الدنيا ، كل آية تقرؤها يردُّ عليك ، كلما تناجيه بكلمة يردُّ عليك ـ سبحانه وتعالى ـ وكلما عوَّدتَ نفسك على التعامل مع الصلاة على أنها مناجاة وحضور وخطاب ارتاحت نفسك ، وتجد آثارها فى قلبك ، تجد حلاوة الصلاة ، تجد لذة الصلاة ، وتجد لذة العبادة . هو ـ سبحانه وتعالى ـ ناظر إليك ، فيا سعدك ياسعيد ، ربك ناظر إليك ، سيدك ناظر إليك ، أنت تقوم بالعمل الذى كلَّفك به سيدك . « **ياأيها الذين آمنواْ اركَعُواْ واسجُدُواْ** »(١٣)

مَنِ الذى يقول هذا ؟ ربك يقول ذلك ، هو ناظر إليك ، وراضٍ عنك ، لأنك سمعت كلامه ، وأطعت أمره ، « الله أكبر ـ سبحان الله العظيم » هو حاضر وقريب « الله . الله » ، إذا قال العبد « الله » فتحت أبواب السماء وقيل : إنه الاسم الأعظم ، وأسماء الله

---

(١٣) الحج / ٧٧

كلها عظيمة . سَجَدَ المصلى وكبرَّ « الله أكبر » ، « **اركعوا واسجدوا** » « **يامريم اقْنُتِى لِرَبِّكِ** » ادعى ربك « **واسْجُدِى وارْكَعِى مع الراكِعِين** »(١٤)

فكانت من القاتنات فى الدرجات العُلَى . ماهى أفضل عبادة ؟ لقد سُئِل العلماء عن ذلك ، فقالوا : الصلاة . أفضل عبادة دينية هى الصلاة ، ففيها قرآن ، وفيها تسبيح ، وفيها تحميد ، وفيها تكبير ، وفيها خشوع ، وفيها خضوع : قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **الصلاةُ عِمَادُ الدين ، مَنْ أقامَهَا فقد أقَامَ الدِيّنَ ، ومن تركَها فقد هَدَمَ الدِيّنَ** »رواه البيهقى

الصلاة عبادة ، فمن أقام الصلاة فقد شيد أعمدة يرفع دينه عليها ، ومن ترك الصلاة تهدَّم دينه وتهاوى ـ لماذا ؟ لأن أعمدته قد تهدمت . الصلاة صلة بين العبد وربه ، قال تعالى : « **وأقِم الصلَاة لِذكْرِى** »(١٥) ياعبدى : أقم الصلاة لذكرى ، لأجل أن تذكرنى ، فإن لى عليك حقوقاً كثيرة .

الحذر من الغفلة عن الله تعالى :

ربك ـ سبحانه وتعالى ـ له حقوق عليك ، خلقك وصوَّرك ورزقك من الطيبات ، ولا يريد منك ثمناً ولا أجراً ، وإنما يريد منك ـ فقط ـ أن تذكره « **وأقم الصلاة لذكرى** » .

أطـــع أمرنا نرفع لأجلك حُجْبَنَا ٭ فإنا منحنا بالرضا من أحبنا

أطعْ أمرنا : نرفع لأجلك حُجبنا ، حُجُب حسية ، وحُجُب معنوية ، هى التى تحجبك عنه ، أنت فى بيتك مشغول بأولادك ، محجوب عنه بأولادك وزوجتك وطعامك ، والذى يحجبه الطعام عن ربه لا يساوى قدر الكتكوت ، لأن الكتكوت ليس لديه عقل ، فهو ينشغل بالأكل ، فلا يشغلك عن الله ـ تعالى ـ شاغل .

« **وأقم الصلاة لذكرى** » . أنت مشغول عنّى ، وقد تركت لك أوقاتاً تشتغل بها بشئون حياتك ، تعمل ، تزرع ، وتتاجر فيها ، ولكنى جعلت لك أوقاتاً تتفرغ فيها لعبادتى ، فلا تضيع الأوقات التى لله ، أنت تحافظ على وقت الأكل ، تحافظ على وقت الشرب ، تحافظ على وقت النوم ، فلماذا تُضَيِّع أوقات ربك ؟ لماذا تهمل أوقات الله ؟ ليس العلم بكثرة

---

(١٤) آل عمران / ٤٣
(١٥) طه / ١٤

الكلام ، ولكن العلم أن نعمل ، ونحاسب أنفسنا ، ونعرف أنفسنا ـ كيف نسير ؟ وإلى أى غاية نمضى ؟

الإنسان الذى لا يعرف طريقه ، لا يستحق الإنسانية ، إن الحمار ـ الحيوان الأعجم ـ يعرف ويدرك أنه فى بيت صاحبه .

ياابن آدم : أين أنت ؟ فى أرض الله « **فامشوُاْ فى مَنَاكِبِهَا** »(١٦)

جعل لى رِجْلَيْن أمشى بهما ، وقَلْبًا أفهم به ، مادمت تعرف فلماذا تنساه ؟ أعطاك رِجْلَيْن تمشى بهما ، وأعطاك أرضاً تمشى عليها ـ لماذا تعصيه ؟ لماذا ؟

إن الكائنات كلها تنبهك وتقول لك : اعمل لربك حساباً ، الأرض تقول لك : ألم تستح وأنت تفعل السوء ؟ ألم تخف ربك ، وفى يوم قريب ستكون تحتى هنا ؟ تعصى ربك وأنت تمشى على ظهرى ؟ هل نسيت القبر ؟ فلابد من أن يعرف الإنسان .

« **جَعَل لكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا** »(١٧)

لم يجعلها وعرة صلبة ، ولكنه سخرها وألانها كالفراش الممهد ، تمشى عليها ، تنام عليها ، هذه هى الأرض التى جعلها الله لنا مَهْدًا وتعرف ذلك عندما تطلع الجبل ، فترى الفرق بينه وبين الأرض . هل تعرف معنى « المهد » ؟

إن المرأة عندما تلد طفلًا ، فإنها تجهز لفافة طرية لينة لينام عليها فهذا ما يعرف فى لغة العرب « بالمهد » . فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ عندما يقول لنا : جعلت لكم الأرض مَهْدًا ، فإنه يقول لنا : أنا أُريد لكم الراحة ، أفلا تستحى من هذا الإكرام ؟ إن الإنسان يعصى الله على الأرض ، وهى تكلمه ولكنه لا يسمع ، لو كان العالم يسمع ماتقوله الأرض ، ماوجد أحد عاصياً ، فهى تكلم الإنسان وتقول له : اتق الله .

« **وإن مِن شىْءٍ إلا يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ** »(١٨)

فالأرض تُسَبِّح ، المتحرك والساكن يُسَبِّح ، أنت تأكل البلح وترمى النواة ، النواة تسبِّح ، الكون كله يقول : « سبحان الله » !! النملة تسبِّح ، والنواة تسبِّح ، وابن آدم يلهو ويلغو ويعبث ! الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول : « **ولقد كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ** »(١٩)

---

(١٦) الملك / ١٥
(١٧) طه / ٥٣
(١٨) الإسراء / ٤٤
(١٩) الإسراء / ٧٠

أنت يامكرَّم لاتُسبِّح ولاتعبُد ، والنواة ـ الجماد ـ والحصاة الصغيرة ، والنملة تُسبِّح ـ كيف حالك مع الله ؟! عندما تغفل عن سيدك ؟! أنت تغفل عن سيدك ، وهو لايغفل عنك ، تريد ماء ، تريد هواء لتتنفس يحضره لك الله ، تريد ذرية ، ليل ، نهار ، تريد أن تتزوج ، كل شيء تريده يعطيه لك : « **وما ربُّك بغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** »[٢٠] لايغفل عنك طرفة عين ـ فكيف تغفل عنه ؟ لماذا ؟

تغفل عمن لايغفل عنك ، وتقصّر مع من لايقصّر معك ، وتبخل على من لايبخل عليك ، وفى الحديث القدسى : « **ماأقلَّ حياءَ من يطمعُ فى جنتى بغيرِ عَمَلٍ ، كيف أجُودُ برحْمَتِى على مَن بَخِلَ بطَاعَتِى** » . هو باخل بالطاعة ، وطامع فى الرحمة !

السرّ فى الأمر بالطاعة والنهى عن المعصية

طاعتك له هو غنى عنها ـ سبحانه وتعالى ـ فلماذا يشدِّد فى النهى عن المعاصى مادامت طاعتك لاتنفعه ، ومعصيتك لاتضرُّه ؟ لماذا يُشَدِّد فى النهى عن ذلك ؟ مَنْ يعرف السبب ؟ العصاة لايضرونه شيئاً ، والمتقون لاينفعونه شيئاً ـ فلماذا يُشَدِّد فى المسألة ؟

الجواب : لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ رحيم ، ينظر إلى يوم القيامة ، وإلى الجنة ، وإلى النار ، ينظر إلى أهل النار ، وإلى عباده الذين يسيرون فوق النار ! فمن رأفته بنا يحذرنا : لاتلقوا بأنفسكم فى النار ، احذروا المعاصى فإنها طريق النار ، مَنْ زنا فقد دخل النار ، ومَنْ قتل فقد دخل النار ، ومن سرق فقد دخل النار ، فابتعدوا عن المعاصى ! فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ لايحب للمسلمين أن يدخلوا النار ، فعلينا أن نتوب عن المعاصى وننظر إلى رحمة ربنا بنا .

« **إن اللهَ هو الرزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المتِين** »[٢١]

أكثر من صفة متوالية ذكرها ـ سبحانه وتعالى ـ الرزَّاق ، ذو القوة ، المتين ، لماذا كرر تلك الصفات عند الحديث عن أمر الرزق ؟ ربك ذو قوة ، ومتين ، ربك يخرج لك من الطين قمحاً تصنع منه رغيفاً طريّاً تأكله ، ويخرج لك من الأرض ماءً حلواً تشربه ، ويخرج لك من الطين تمرة حلوة تأكلها ، فهو حقاً قويّ ، ومتين . وأنت من غير الطعام ضعيف لاتقوى على شيء ، لو منع منا الماء لمتنا ، ولو منع منّا الهواء لمتنا ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ القويّ الرزَّاق ، « **ذو القوة المتين** » : ذو القوة العظيمة ، « المتين » : القويّ سبحان الله ! انْظُرْ إلى الأسد : يرفع كفّه فيضرب بها « الثور الجبلى » ضربة واحدة فيكسر بها دماغه ، كما تكسر أنت البطيخة ، من أين أتته هذه القوة ؟ من الله القويّ .

(الأنعام/ ١٣٢

(٢١) الذاريات / ٥٨

ففكر فى المخلوقات تعرف مَنْ أوجدها ، « **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » ربك رزّاق ، وذو قوة ، ومتين : عظيم القوة .

ضمان الرزق عند الله تعالى

فكيف تخاف على أمر الرزق ؟ يحضره لك ذو القوة المتين ، يأتى به من الكويت ، ومن الحجاز ، ومن ليبيا ، ومن المغرب ، ومن تركيا : « **ذو القوة** » ، ويأتيك به من الصعيد ، ومن الفلاحين .. تكون مقيمًا فى القاهرة ، وقد كتب فى اللوح المحفوظ عنده ـ سبحانه وتعالى ـ أنك ستتعشى بـ « عيش مرحرح » ! من الفلاحين فى الريف ، فيحضره لك ذو القوة المتين إلى بيتك ، لتتعشى .

مَنْ يفعل ذلك ، مَنْ يقدر على ذلك غير ربنا « **ذو القوة المتين** » كل تمرة كتب الله عليها اسم صاحبها ، لا تدخل سوى فمّ صاحبها ، كل لقمة لها آكلها . والعوام يقولون : كل لقمة تنادى أكالها . أى : آكلها المكتوب لها ، فليست أمور الدنيا بالفوضى ، فانتبه لنفسك فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل للدنيا قانوناً ونظاماً ، وجعل لكل شىء وقتاً وأواناً هو رحيم بك ، يحب لك الخير ، أنت غافل ، لاهٍ ، لا تحافظ على الصلوات ، وهو يُرتّب لك حياتك ، كتب لك المرأة التى ستكون زوجتك واحتفظ بها لك ، فإذا جاء الأوان أحضرها لك .

فهذا الخير كله من فضل الله وحده ، لا من أبيك ، ولا من أمك . كل ذلك من الله ، أعطانا كل شىء ، ولا يريد منا شيئاً إلا الطاعة . خلق لك زوجتك وكتب اسمها لك من قبل خلقك ، وأنت فى حيرة ، تفكّر فى المهر ـ كيف أُدبّره ؟! ـ وهو ـ سبحانه ـ قد جهز لك كل شىء ، يأتيك من حيث لا تحتسب : « **ومن يتّقِ اللهَ يجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** » مخرجًا : يعنى فرجاً . « **ويَرْزُقْهُ من حيثُ لا يَحْتَسِب** »(٢٢)

ـ أنت يامحمد : لماذا لم تتزوج إلى الآن ؟!

ـ أنا لم أتزوج لضيق ذات اليد « الغيط على قدّ البيت » ربنا يرزق ويسهل ! فربما لا يقوم محمد هذا من جلسته إلا وقد جاء الفرج ! يأتى أخوه من الكويت أو من قطر ، قائلًا : السلام عليكم ، لقد أحضرت لك المهر معى يامحمد والحمد لله ، هات العروس ! فقد رَزقه الله من حيث لا يحتسب حقاً .

والرزق أنواع لا رزق واحد ، كلها على الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولو ترك أمر الرزق للخلق ساعة واحدة لمات الناس جميعاً .

---

(٢٢) الطلاق / ٢ ، ٣

نَفَسٌ واحدٌ لو خرج من الإنسان ولم يرجعه ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ لمات الإنسان من فوره :

تضيقُ بنا الدُّنيا إذا غِبْتُمُ عنا ٭ وتزهقُ بالأشواقِ أرواحُنا مِنَّا
فَبُعْدُكُمُ مَوْتٌ وقربُكمُ حيا ٭ ولو غبتُمُ عنَّا ولو نَفَساً مِتْنَا

٭ ٭ ٭

فلو سمعَتْ أذناكَ حُرَّ خطابِنَا ٭ لمِتَّ غراماً واشتياقاً لِوَصلِنَا
أما تستحي منَّا ويَكْفيكَ ماجَرَى ٭ أما تستحي من عَرْضِنَا يومَ حَشْرِنَا
أما تستحي من قولنَا لكَ عَبْدَنَا ٭ أيا عبْدَ سُوءٍ ماقرأت كِتابَنَا

قراءة القرآن والعمل به

الكتاب موجود ، هو القرآن الذى أنزله ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ وفى الماضى كان القرَّاء قِلّة ، كنت تسير مدة طويلة حتى تعثر على قارىء تسمع منه آية .

أما الآن ، فإن قراءة القرآن ملأت البيوت والحقول ، حتى الفلَّاحين يسمعون القرآن من الراديو ، وهم يعملون فى الحقول ، فلا عذر لأحد فى عدم القراءة الكل يسمع كلام الله : **« ولا تقرَبُواْ الزِّنا »**(٢٣) **« والسارق والسارقة فاقطَعوا أيديَهُمَا »**(٢٤) **« وافْعَلُواْ الخيرَ لعلكُم تُفْلِحون »**(٢٥)

فالقرآن ملأ أرجاء الكون ، فحيث ما كنت فالله معك ، محيط بك ، وكلامه موجود ، محيطٌ بك ، يذكّرك إذا كنت ناسياً ، كلامه يذكّرك ، لأن فيه صفاته .

« واعْلَمُواْ أن اللهَ يعلمُ ما فى أنفسِكُمْ فاحْذَرُوه »(٢٦)

فربكم يعلم ، فلا ترتابوا فى ذلك ، احذروه : خافوا منه ، لا يظن أحدكم أنه لا يعلم بما يهمس به ، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم بالهمس ، فاحذروه وخافوا منه ، لأنه يسمع ما فى أنفسكم .

« إن الذينَ يخْشَونَ ربَّهُم بالغيبِ لهم مغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ »(٢٧)

---

(٢٣) الإسراء / ٣٢
(٢٤) المائدة / ٣٨
(٢٥) الحج / ٧٧
(٢٦) البقرة / ٢٣٥
(٢٧) الملك / ١٢

هؤلاء أناس لم يروا ربهم بأعينهم ، ولكنهم يخافونه ويراقبونه ، فجزاؤهم عند ربهم : مغفرة عظيمة ، وأجر كبير .

والمغفرة مقدمة على الرحمة ـ لماذا ؟

لان المغفرة تنظف الإنسان وتطهره ، ثم يأتى بعد ذلك الأجر . فربنا ـ سبحانه وتعالى ـ عنده رحمة ، تطهر العباد وتنظفهم ، وعنده أجر سبحان الله !

« **ولباسُ التقوى ذلِكَ خيرٌ** »(٢٨)

الأجر : جنات ، وحرير ، وحورعين ، وسُرُر : « **مُتَّكِينَ على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إسْتَبْرَقٍ** » مخدات من حرير « **وجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ** »(٢٩)

« **جَنَى** » يعنى : فاكهة ، وفاكهة الجنة قريبة من أهلها ، وهو متكىء على سريره بمجرد أن يشتهى العنب ـ مثلا ـ يأتيه عنقود العنب ، فيمد يده إليه ويأكله ، فإذا أكله خرج إليه واحد مكانه ، وهكذا . والفاكهة فى آنية ـ صُحُون ـ فضية جميلة ، والماء المثلج الجميل ، ذو رائحة زكية طيبة ، ويقال له : كُلْ واشْرَبْ واهناً . « **دانٍ** » : فهذه الفاكهة قريبة من المتكئين ، فلا يذهب الرجل ويتسلق الشجرة ، ليحضر الفاكهة ، فى الجنة لايوجد ذلك ، وإنما كل شىء قريب منه . اللهم أنْعِمْ علينا بنعيم أهل الجنة .

« **حُورٌ مقْصُورَاتٌ فى الخِيَامِ** »(٣٠)

فى خيام من حرير ، أجمل من القصور ، « **مقصورات** » يعنى لايغادرن خيامهن ، لا يرين أحداً غير أزواجهن ، حورٌ خلقهن الله فى الجنة بقوله : كن .

« **لم يطْمِثْهن إنسٌ قبلَهُم ولا جَان** »(٣١)

لم يتزوجهن أحد من قبل ، لا من الإنس ولا من الجنّ . كل هذا النعيم يذكرنا الله به فى القرآن ، لأجل أن نتعظ ونعمل ، ونرجو ، لكنك غافل ، لاتقوم لتتوضأ وتصلى ، مع أن الدنيا أمامك تراها بعينك والآخرة موجودة يذكرك بها القرآن .

سؤال : عن الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ

---

(٢٨) الأعراف / ٢٦

(٢٩) الرحمن / ٥٤

(٣٠) الرحمن/ ٧٢(٣١) الرحمن / ٧٤

جـ ـ « **إن الله وملائكته يصلون على النبىّ يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** »[٣٢] الأنبياء ، والمرسلون ، والملائكة ، والجن ، والإنس ، يُصَلُّون على النبى ـ ﷺ ـ :

ياام الحسين أفرحـــــى * جبريـــل جا لابوكـــى
ياام الحسين افرحـــــى * جبريـــل جا لابوكـــى
ياللى العـــرب والعجـــم * الكـــــل عرفوكـــــى

* * *

أفاطم أنت فى الدنيا كشمس * ومنك النيِّران ومنك زينبْ

سؤال ـ عن صفة أهل الجنة :

ورد أن أهل الجنة ـ جميعاً ـ تقلب صُوَرهم إلى أحسن صورة ـ عند دخولهم فيها ـ فى جمال سيدنا يوسف ، وعُمْر سيدنا عيسى «٣٣ سنة » وطول أبينا آدم ـ ستون ذراعاً ـ ، وعرضه ١٢ ذراعاً . فيكون فى أجمل صورة ، وفى أتم قوة ، ليتمتعوا بما يشاءون من نعيم الجنة : « **وَلَحْمِ طَيْرٍ مما يَشْتَهُونَ** »[٣٣] **روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ فى سننه أن فاطمة الزهراء ـ رضى الله عنها ـ كانت إذا دخلت على النبى ـ ﷺ ـ قام إليها وقبّلها ويقول : « مرحباً يابنتى فاطمة »**

وقال ـ ﷺ ـ : « **من كنتُ مولاه فعلىّ مولاه** »[٣٤] سيدنا على ـ اضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ أبو الحسنين ، كان راكعاً فى صلاته ، فجاءه سائل فقير ، فخلع الخاتم الفضى من يده ، وقدمه للسائل ، فنزل قول الله ـ تعالى ـ :

« **إنما وَلِيكُمُ اللهُ ورسولُهُ والّذِينَ آمنوا الذين يُقيمُونَ الصلاةَ ويُؤتُونَ الزكاةَ وهم رَاكِعُونَ** »[٣٥]

أبو الحسنين أوّاهـا تراهُ * بجوف الليل بكّاءًا حَزِينَا

رضى الله عنهم وأرضاهم ، ونفعنا الله ببركاتهم . وقال ـ ﷺ ـ « الحسنُ والحسينُ سيِّدا شَبَابِ أهلِ الجنّة »[٣٦] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **مَنْ أحبَّ هَذَيْن** ـ وأشار إلى

---

(٣٢) الأحزاب / ٥٦
(٣٣) الواقعة / ٢١
(٣٤) رواه النسائى
(٣٥) المائدة/ ٥٥
(٣٦) رواه الترمذى

حسن وحسين ـ **وأباهُمَا وأمَّهُما ، كان معى فى دَرَجتى يَوْمَ القيامةِ** »[٣٧] وقال ـ ﷺ ـ : « **أحِبُّواْ اللهَ لما يغذُوكُم به من نِعَمه ، وأحبُّونى لحبِ اللهِ ، وأحبواْ أهلَ بيْتى لحبىِّ** »[٣٨]

قال تعالى : « **ولله الأسماءُ الحُسْنى فادعُوهُ بها** »[٣٩] هذا إجمال ، ثم بيَّن وفصَّل فى قوله تعالى : « **قُلِ ادعُواْ اللهَ أو ادْعُوْا الرحمَن** »[٤٠] أى : قل يالله يارحمن ، سبحانه ، سبحان الله العظيم ، فبأى اسم دعوته يجيبك

سؤال ـ عن الدعاء المأثور :

« **اللهم إنى أعوذُ برِضاكَ من سَخطِك ، وبمعافاتِكَ من عُقُوبَتك وأعوذُ بِكَ مِنك ، لا أُحصِى ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنَيْتَ على نفسِكَ** » رواه مسلم .

هذا دعاء ورد فى حديث نبوى شريف ، ومعنى « أعوذ بك منك » : أى : من غضبك .

سؤال ـ عن السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ وعن بعض مناقبها :

ـ روى أنها حفرت قبرها بيدها ، وقرأت فيه ٣٦ ستاً وثلاثين ألف ختمة :

نفيسة كَمْ لَهَا فَضْلٌ نَفِيسٌ * مِنَ المَوْلَى يُرَى للنَّاظِرينا
فكم تلتِ الكتابَ مَكانَ قَبْرٍ * تكونُ بِهِ لقومٍ صالحينا
وكم سُئِلت دعاءً مستجاباً * وكان الشَّافِعِى فى السَّائلينا
عليكِ رضاءُ رَبِّى يانفيسة * على مرِّ الزمان تقبلينا
فلا عجبٌ فللمختار تُنْمَى * إلى الحسن المُثَنَّى تَنْتَمِينا

فجدها الحسن بن على ـ كرم الله وجهه ـ فهى السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن سيدنا الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين ـ وأهل البيت ـ رجالاً ونساءً ـ جدهم المصطفى ـ ﷺ ـ سيدنا الحسن ، وسيدنا الحسين ، والسيدة زينب ، والسيدة فاطمة النبوية ، والسيدة سكينة ، والسيدة رقية ، والسيدة عائشة ، والسيدة أم كلثوم ، وسيدنا حسن الأنور ، وسيدنا زيد الأبلج ، وسيدنا محمد الأنور ، والسيد البدوى ، والسيد إبراهيم الدسوقى ، فهؤلاء كلهم جدهم رسول الله ـ ﷺ .

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ * غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم

قال سيدى أبو العباس المرسى ـ رضى الله عنه ـ :

« لو غاب عنّى رسول الله ـ ﷺ ـ طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين » .

فانظروا إلى أنفسكم ، أين أنتم من هؤلاء ، أين أنتم من آل بيت النبى ـ ﷺ ـ قبل أن يقول أحدكم : أنا مثل سيدنا الحسين ـ رضى الله عنه .

---

(٣٧) رواه الترمذى وأحمد

(٣٩) الأعراف/ ١٨٠

(٤٠) الاسراء/ ١١٠

فهـــرس درس الجمعـــة

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٩
مقدمة شيخ عموم الطريقة	١١
مقدمة الجزء الأول	١٣
مقدمة الجزء الثانى	٢٣
افتتاحية الدرس	٢٦

الـــدرس الأول

فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾	٢٧ : ٤١
العبادة لا تكون إلا الله	٢٧
معنى (أعطى كل شىء خلقه)	٢٨
موعظة الدهر لابن آدم	٢٩
نصيحة من لبيب مغربى	٣٠
من أحوال الصحابة عند زيارة النبى ـ ﷺ ـ	٣٢
شبهات حول حقيقة الاستعانة	٣٥
الفرق بين سؤال الخالق وسؤال المخلوق	٣٦
حادثة طريفة لتركى ذكى مع أهل الحجاز	٣٧
أسئلة والجواب عنها	٣٨
حكم العمل فى رمضان	٣٩
حكمة عدم تمثل الشيطان به ـ ﷺ ـ	٣٩
مدة مكث يونس ـ عليه السلام ـ في بطن الحوت	٤٠
نصيحة لراغبى الزواج	٤١

الموضوع	الصفحة

الـــدرس الثانى

المحافظة على وحدة المسلمين	٤٣ : ٥٤
حياة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ	٤٣
مع أبيات فى المدح للإمام الفخر الرازى	٤٣
دفاع عن الإمام البوصيرى	٤٤
مناظرة بين الشيخ ورجل من السودان	٤٥
أصول الأحكام فى الإسلام	٤٦
الحرص على توحيد المسلمين	٤٦
حكم وضع اليد على المقصورة	٤٨
معنى البركة والتبرك	٤٩
المسلمون أمة واحدة	٥١
بين الشيخ وتلاميذ الشيخ السبكى	٥٢
صلاة الإمام عارى الرأس	٥٣
الصلاة على النبى ـ ﷺ ـ بعد الآذان	٥٣

الدرس الثالث

(يمحو الله ما يشاء ويثبت . . .)	٥٥ : ٧٠
تفسير إجمالى للآية	٥٥
وصية الشيخ عليش	٥٧
لذات الروح ولذات الجسد	٥٨
تلاوة العارفين	٥٨
مسألة دقيقة للشيخ الأكبر	٦٠
بين الإسلام وأعدائه	٦١
نصر الله لدينه	٦٢

الموضوع	الصفحة
الإسلام دين التبصرة	٦٤
فضيلة العلم والعلماء	٦٥
من أسرار الكون	٦٧
مع ابن الفارض فى إشاراته	٦٧
الدرس الرابع	
(وخلق الإنسان ضعيفا)	**٧١ : ٨٣**
تفسير إجمالى للآية	٧١
حكم النظر للأجنبيات	٧٢
أنواع الهجرة	٧٢
أحكام شرعية للمرأة المسلمة	٧٣
الاقتداء بالكفار	٧٤
فتنة النساء	٧٥
وجوب تأديب المرأة بالأدب الشرعى	٧٥
واجب الزوج نحو زوجته العاصيه	٧٦
الملائكة من جنود الله	٧٦
فتنة الشيطان لابن آدم	٧٧
اختلاط الرجال بالنساء فى المصايف	٧٨
تسليم الأمر لله	٨٠
بين فرعون وإبليس	٨٠
غفلة المتكبرين	٨١
صلاة الصبح فى وقتها	٨١
من خصائص الذكر بـ « لا إله إلا الله »	٨١
العصمة للأنبياء فقط	٨٢
مكفرات الذنوب	٨٣

الموضوع	الصفحة
الـــدرس الخـامـــس	
فى معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله)	٨٥ : ٩٤
المعنى الإجمالى	٨٥
معنى آية ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾	٨٦
تيسير الله ـ تعالى ـ القرآن لعباده	٨٦
من أشراط الساعة	٨٦
من فضائل القرآن على الأمة	٨٧
الحج مغفرة للذنوب	٨٨
معنى أن الله الملك الحق	٩٠
معجزة سجود البعير للنبى ـ ﷺ ـ	٩٠
حقوق الزوجية	٩٢
الـــدرس السادس	
﴿ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾	٩٥ : ١٠٢
المعنى الإجمالى	٩٥
بين الشيخ سليم البشرى والخديوى عباس	٩٥
إخزاء الله للكافرين	٩٦
السموات السبع والأرضون السبع	٩٧
معنى (رتقًا)	٩٩
معنى الإيمان بالقضاء والقدر	١٠٠
الـــدرس السابع	
حياة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فى قبورهم	١٠٣ : ١١٤
معنى حديث (ما من أحد يسلم علىّ . . .	١٠٣

الموضوع	الصفحة
فهم صوفى لآية كريمة	١٠٤
الأنوار المحمدية	١٠٤
المحبة وثمارها	١٠٦
تصحيح لخطأ شائع	١٠٨
من علامات المحبة	١٠٨
وصية نبويه	١٠٩
تفسير ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾	١١٠
الطاعة تورث الفرح والمعصية تورث الغم	١١١
أنوار الصلاة	١١٢
من أسرار الصلاة وفوائدها	١١٣
موعظة نبوية بليغة	١١٤

الـــدرس الثامن

تفسير ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ﴾	١١٥ : ١٢٨
فضل السيدة فاطمة الزهراء	١١٥
حكمة وجود كرامات الأولياء	١١٦
طريق الولاية	١١٦
فضل الله على الأمة المحمدية	١١٨
أفضل الدعاء ما جاء فى القرآن	١١٩
حسنة الدنيا	١١٩
أفضل الذكر	١٢٠
من الحزب المغنى لسيدى أويس القرنى	١٢٠
من إعجاز الخلق	١٢٠
معنى الآيات في الأنفس	١٢١
فضيلة مراقبة الله	١٢١
حكاية عجيبة	١٢٢
بين « عليم » و« عالم »	١٢٢

الموضوع	الصفحة
حول وجود سيدنا الحسين فى مصر	١٢٤
من كلام سيدى عبد السلام الأسمر	١٢٤
رؤية الله فى الجنة	١٢٥
الصلاة وحضور القلب	١٢٦
حكاية الإمام الغزالى مع بعض العارفين	١٢٦
زيارة السيدة فاطمة الزهراء للنبى - ﷺ -	١٢٧
الـــدرس التاسع	
تفسير ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾	١٢٩ : ١٣٦
الفرح بالله	١٢٩
مصير الجسد والروح بعد الموت	١٣٠
ابن آدم بين الروح والجسد	١٣٠
حال الإنسان بعد بعثه من قبره	١٣١
كيف يحاسب الخلق مع كثرتهم ؟	١٣١
الطيور تعرف ربها وتتوكل عليه	١٣٢
الجمع بين الأسباب والتوكل	١٣٢
للموت أجل محدد	١٣٢
الرزق مكتوب عند الله	١٣٣
عود إلى الفرح بالله	١٣٣
الكفار أضل من الأنعام	١٣٣
أنوار الصلاة	١٣٣
من أسرار الصلاة	١٣٤
التحذير من الغفلة عن الله	١٣٥
عود إلى المولد النبوى	١٣٦

الموضوع	الصفحة
الـــدرس الـــعـــاشر	
تفسير سورة النصر	١٣٧ : ١٥٠
الإنسان بين حالين	١٣٧
أول الفتح	١٣٨
بركات رضا الوالدين	١٣٩
من فضائل الصوم	١٤٠
المحافظة على الصلوات الخمس	١٤١
التحذير من الغفلة	١٤٣
ضمان الرزق عند الله	١٤٦
قراءة القرآن والعمل به	١٤٧
صفة الحور العين فى القرآن	١٤٨
سؤال عن الصلاة على النبى ﷺ	١٤٨
سؤال عن صفة أهل الجنة	١٤٩
فى فضائل أهل البيت ـ رضى الله عنهم ـ	١٤٩
سؤال عن دعاء (اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك	١٥٠
سؤال عن السيدة نفسية رضى الله عنها	١٥٠
مع سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه	١٥٠
الفهرس	١٥١